وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 08 ماي 1945 قالمة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

المماليك والصليبيون في المشرق الإسلامي
دراسة في تاريخهم الدبلوماسي
فترة المماليك البحرية: 648ه-741ه/1250م-1340م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ وحضارة المشرق الإسلامي

إعداد الطالبين:
❖ نوادري سفيان
❖ بزغوش زكرياء

إشراف الأستاذ الدكتور:
-كمال بن مارس

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
أولاد ضياف رابح	أستاذ محاضر(أ)	رئيسا	جامعة08 ماي 1945
بن مارس كمال	أستاذ التعليم العالي	مشرفا	جامعة08 ماي 1945
مباركية عبد القادر	أستاذ مساعد(ب)	عضوا مناقشا	جامعة08 ماي 1945

السنة الجامعية1440ه-1441ه/2019م-2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)

صدق الله العظيم

شكر وعرفان

نحمد الله ونشكره على توفيقه ومنه الذي يسر لنا إتمام الرسالة ، في البداية نتوجه بوافر الشكر والعرفان والامتنان والاحترام والتقدير للأستاذ الجليل (الدكتور: بن مارس كمال) ، الذي كان لنا الشرف ان تتلمذنا على يده واستفدنا منه في مشوار دراستنا في الماستر، كما سعدنا كثيرا بأشرافه على رسالتنا وإكمال مشوارنا العلمي لشهادة الماستر علي يده، حيث لم يبخل علينا بتوجيهاته ، راجيين من الله أن ويحفظه ويجعل خير الجزاء في ميزان حسناته ، وأطال الله في عمره ،و أبقاه ذخرا لجامعتنا.

ونتقدم أيضا بالشكر لرئيس وأساتذة قسم التاريخ وبالأخص الدكتور الفاضل والطيب :أولاد ضياف رابح الذي لطالما أستفدنا منه و نصحنا ووجهنا وشغلناه بهمومنا ومتابعنا ولا يسعنا إلاأن ندعوا له بالصحة والعافية وطول العمر والترقية في المشوار المهني، دون أن ننسى أساتذتنا الذين شاركوا في تدريسنا خلال طور الماستر.

إهداء

- أهدي ثمرة جهدي المتواضع إلى روح أبي الطاهرة، الذي سهر في تربيتي وبصرني بدروب الحياة حتى بلغت أشدي ، فطيب الله ثراك يا أبتي ، وتغمدك برحمته الواسعة ، وأسكنك فسيح جنانه
- إلى أمي الغالية التي كانت سندا لي في حياتي وستارا لي بدعائها، حفظها الله ورعاها وأطال في عمرها.
- إلى كل العائلة ،الأهل والأخوة والأقارب.
- إلى ريحانتي حياتي أبنائي حفظهما الله (ركن الدين بيبرس وضياء الدين)
- إلى جميع الإداريين وعمال النظافة وحراس الأمن العاملين على مستوى الكلية والإقامة.
- إلى عمال المكتبة وبالأخص الإنسان الطيب (عمي علاوة).
- إلى أصدقائي في المسار الجامعي / حسين وإبراهيم.

سفيان

إهداء

- أهدي هذا العمل المتواضع لمن لهم الفضل في ذلك ولمن أوصاني بهم الرحمان برا وإحسانا إلى روح أمي الطاهرة رحمة الله عليها، والى سندي وملجئي أبي (عبد العزيز) الذي تلقيت منه كامل الدعم بأشكاله .
- إلى زوجة أبي التي هي بمثابة الأم أدامها الله لنا وحفضها ورعاها.
- إلى الأحباء على قلبي رفقاء دربي إخوتي محمد الأمين ،مريم ،حنين وإلى أخي عبد الرؤوف وزوجته وابنهما أمير .
- إلى كل أساتذتي الأفاضل الذين أكن لهم التقدير والاحترام فلولا جهودهم لما وصلنا إلى ما نحن عليه الآن، وزملائي في الدراسة أختص بالذكر فاطمة الزهراء ،وصديقي منصف ،وفي الأخير اشكر الله عز وجل الذي بتوفيقه حققت ما كنت اطمح فيه.

زكرياء

المقدمـــــــة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا والصّلاة والسلام على رافع لواء الهدى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والدّاعين بدعوته إلى يوم الدين أما بعد:

إن دراسة التاريخ الدبلوماسي يعرفنا بأشكال التواصل وروابط العلاقات البشرية ، التي قامت بين الشعوب والأمصار منذ عصور التاريخ وقيام الحضارات إلى يومنا هذا ، فالدبلوماسية كانت ولازالت من أهم الأنظمة السياسية التي تعاملت بها الدول قديما وحديثا ، وتبين أثرها في تمتين العلاقات السلمية والاقتصادية والثقافية وتحقيق الاستقرار والأمن ونبذ الحروب .

من هذا المنطلق فأن العلاقات الدبلوماسية بين المسلمين والفرنج تعد من أبرز القضايا التي شغلت حيزا هاما في التاريخ الإسلامي والأوروبي خلال العصور الوسطى، حيث تعتبر إحدى الموضوعات التاريخية التي تستحق البحث والدراسة، فالدارس لا يكاد يظفر ببحث يتناول هذا التاريخ حتى يرجع إلى مواضيع وعلاقات دولية أخرى.

إحتضنت المشرق الإسلامي في العصر الوسيط ، الصراع الصليبي – الإسلامي الحافل بالأحداث ، فكان من الطبيعي أن تنشأ علاقات سياسية وعسكرية بين الغريمين في بلاد الشام باعتبارها المسرح الرئيسي لأحداث الحروب الصليبية، وقد تراوحت هاته العلاقات بين الحرب تارة والسلم تارة أخرى ، وعلى هذا الأساس بدأت مبادرة الفاطميين مع الفرنج بالتواصل السلمي ووصلت إلى الأيوبيين بين نقيضي العداء والسلام ، وفي ظل استمرارية هاته الظروف وتسلسلها تاريخيا مرورا بفترات زمنية متعاقبة ، أضحى الإحتكاك المملوكي– الصليبي قائما .

يعد قيام دولة المماليك على أساس إسلامي قوي ومتين حيث كانت ركيزة شامخة في أحداث التاريخ الإسلامي وقد نشأت في ظل ظروف إحتضار الدولة الأيوبية ، فكانت الخلف المناسب لها بعد أفولها، فأضحت هي السلطة القادرة على الدفاع عن العالم الإسلامي، وورثت منها مهمة مواجهة الكيان الصليبي التي لم تنحصر في الجانب العسكري فقط بل مارس سلاطينها الأعمال الدبلوماسية للدفاع عن دينهم وأمتهم، بصفتهم القوة الإسلامية الأكبر في المنطقة ، ومن هنا تبدأ دراستنا لهاته المحطة التاريخية التي تضمنت جولات في النشاط الدبلوماسي وانعكاساته في بلاد الشام وعموم المنطقة الإسلامية وأوروبا بين دولة المماليك والكيانات الصليبية أثناء تواجدهم بالشام وبعد جلائهم منها ومن هنا جاءت هذه الدراسة بعنوان : **المماليك والصليبيون في المشرق الإسلامي دراسة في تاريخهم الدبلوماسي(648هـ-741هـ/1250م-1340م).**

أ- إشكالية الدراسة:

صادفتنا مجموعة من التساؤلات المحورية التي كان لابد لنا من العثور على إشكالية جوهرية فأرتسمت على النحو التالي :إذا كان هدف الدبلوماسية المحوري هو إقامة السلام والاستقرار الأمني ونبذ الحروب ، فكيف نفسر طبيعة العلاقات التي قامت بين المماليك البحرية والصليبيون أثناء تواجدهم في المشرق وبعد جلائهم منها.

ولقد تفرعت هذه الإشكالية :إلى مجموعة من التساؤلات

1- هل قامت العلاقات بين الطرفين على موازين القوى أم على غيرها من الأسباب؟

2-ماهي السياسة الدبلوماسية التي انتهجها كل سلطان تجاه الصليبيين في فترة حكمه من خلال الأساليب المتبعة في المفاوضات والمعاهدات والمراسلات والسفارات ؟

3-هل انبعثت العلاقات السلمية مع المماليك بعد جلاء الصليبيين من المشرق الإسلامي؟

4-إلى أي مدى نجح تفوق سلاطين المماليك في التعامل الدبلوماسي أمام الصليبيين وهل حققوا الاستقرار الأمني والسلمي وتثبيت الوجود الإسلامي في المنطقة؟

أسباب اختيار الموضوع :

1-الأسباب الموضوعية:

أولا : تسليط الضوء وتوضيح الرؤية عن جانب مهم من جوانب التاريخ الدبلوماسي في المشرق الإسلامي إضافة إلى قلة الدراسات الأكاديمية التي تناولت هذا الموضوع بالرغم من أهميته التاريخية.

ثانيا: التاريخ الدبلوماسي لدولة المماليك في المشرق الإسلامي من المواضيع القليلة في البحث رغم غزارة مادتها العلمية في التاريخ الحضاري والاجتماعي والثقافي ،حيث تحتاج دراسات أكاديمية وتمحيص بحكم تخصصنا الذي ندرسه في طور الماستر ، كما أنه يغطي فترة زمنية مليئة بالأحداث.

ثالثا : لاحظنا من خلال البحث بعض القصور في الأبحاث عن المعاملات الدبلوماسية بين الدول بالتفصيل الدقيق فشغلت إلا العام منها دون الخاص.

رابعا : إعطاء صورة على العلاقات الخارجية السياسية للدولة المملوكية وتشعباتها ومدى تأثيرها في بقاء الدولة وقوتها ،وهيبتها أمام الدول الأخرى.

خامسا: معرفة الدوافع والحيثيات التي أدت بالصراع الصليبي والمملوكي للجوء إلى العمل الدبلوماسي.

2-الدوافع الذاتية :

أولا :ميولنا الخاص نحو حقبة التاريخ المملوكي وإنجازاته على أرض المشرق الإسلامي

ثانيا : ضرورة البحث في تاريخ العلاقات بين الصليبيين والمماليك في العصر الوسيط بصفة عامة والمشرق بصفة خاصة ، و معرفة مدى أثرها على البلاد الإسلامية في تلك المرحلة.

خطة الدراسة:

إن الإشكاليات المطروحة والتصور العام لأهمية الموضوع ، أدت إلى رسم خطة يرتكز عليها البحث لتوضيح معالمه تضمن جوانب محورية في صلب الدراسة فاحتوت بـــذلك على ثلاث فصول وخاتمة .

جاء الفصل الأول بعنوان الدبلوماسية في أواخر العصر الأيوبي الـــذي ضـــم أربعـــة مباحث ، عرجنا في البداية للتعريف بالدبلوماسية وأشكالها، وعصورها عبر التـــاريخ ، ثم تطرقنا في المباحث الثلاثة المتبقية لطبيعة العلاقات الدبلوماســـية التـــي قامـــت بـــين الكيانات الصليبية بصفة عامة مع سلاطين الدولة الأيوبية في أواخر حكمهم بدءا بعلاقات السلطان الكامل مع فريديريك الثاني ووصولا إلى معاهدات ومفاوضات نجم الدين أيـــوب وابنه تورانشاه مع الملك الفرنسي لويس التاسع.

وخصص الفصل الثاني للحديث عن البدايات الأولى للدبلوماسية بين المماليك والصليبيين وقد أخذنا منها أيضا أربعة مباحث تمحورت في بدايتها على ظروف نشـــأة المماليـــك وقيام دولتهم وظهور الصليبيين في المشرق وعلاقتهم الدبلوماسية الأولى في بلاد الشـــام، ثم تطرقنا إلى بداية الاتصالات الدبلوماسية لسلاطين المماليك مع الصليبيين فـــي فتـــرة حكمهم في مرحلة تكوين دولتهم بداية من حكم شجرة الدر ومرورا بالمعز آيبك ووصولا إلى المظفر قطز مع تحليل وتقييم الحصيلة الدبلوماسية لكل سلطان في فترة حكمه.

وتطرقنا في الفصل الثالث: إلى الدبلوماسية تجاه الصليبين في عصر هيمنة المماليك فـــي أربعة مباحث حيث حاولنا فيها التطرق للإرتقاء الدبلوماسي في عصر قـــوة المماليـــك وازدهار دولتهم ، وإعطاء نظرة على النشاط الدبلوماسي المعتمد من طرف كل ســـلطان مملوكي في فترة حكمه مع الصليبيين قبل وبعد جلائهم من الشام.

وقد ختمنا دراستنا بإستنتاجات عامة حول موضوع البحث.

وقد أفردنا للموضوع مجموعة من الملاحق تتعلـــق بـــبعض النصـــوص للمراســـلات والمكاتبات التي أرسلها سلاطين المماليك إلى الملوك والأمراء والقادة الصـــلبيين إضـــافة إلى بعض الخرائط تتعلق بالحدود السياسية للكيانات الصليبية ودولـــة المماليـــك وصـــور لبعض الحواضر التي أقيمت في عهد المماليك.

حدود الدراسة:

ا- الحدود المكانية:

تمتد حدود الدراسة على مساحة الصراع القائمة ببن المسلمين و الفرنجة في بلاد الشـــام كمنطقة رئيسية إضافة إلى امتدادها بشكل محدود في مصر وبلاد الرافدين وهـــي مجـــال الصراع السياسي العسكري بين المماليك والصليبيين في تلك الفترة ، أما الرابط الحدودي الثاني فهي معاقل الكيانات الصليبية القابعة على طول الساحل الشامي ، إضـــافة إلـــى أرمينية وبيزنطة و غرب أسيا الصغرى وبعض من الغرب الأوروبي، كما شملت أيضا منطقة الحجاز.

ب – الإطار الزماني:

هي العصر الوسيط في القرن السابع الهجري الموافق الثالث عشر الميلادي تمتد على طول فترة عهد المماليك البحرية : 648هـ-741هـ/1250م-1340م قفد كان إختيارنا لسنة 648هـ/1250هـ بداية للبحث باعتبارها التاريخ الفعلي لبداية السلطة المملوكية أما تاريخ 741هـ/1340م فيمثل نهاية دولة المماليك البحرية .

الدراسات السابقة:

على الرغم من قلة الدراسات التي تتعلق بالموضوع بصيغة مباشرة، إلا أننا استطعنا الاعتماد على البعض منها التي يندرج مضمونها في شكل من أشكال الدبلوماسية بين المماليك والصليبيين ، ومن أهم هاته الدراسات التي أزاحت لنا بعض المعيقات وأوضحت لنا بعض الرؤية تسهيلا للبحث فنجد أولها : دراسة الباحث محمد سالم محمد صلاح المعنونة كالآتي : المفاوضات والمعاهدات بين المماليك البحرية والصليبيين في بلاد الشام الذي اخذ جانب من جولات التفاوض والمعاهدات المبرمة بين الطرفين في فترة الصراع المملوكي الصليبي القائم بمنطقة الشام ولكنه لم يتعمق في جانب السفارات المتبادلة التي كانت بينهما .

أما الدراسة الثانية فنجدها رسالة دكتوراه للباحث خالد حسين الدكيفي وهي لويس التاسع والنشاط الفرنسي الصليبي ، وقد خصص جزءا من رسالته يسرد فيها بعض أحداث المفاوضات والحوار الدبلوماسي بين السفراء الصليبين وسلطانة المماليك شجرة الدر حول تحرير دمياط وفداء لويس التاسع، لكنه لم يتعمق إلى التبادل الدبلوماسي الذي تكرر بين الطرفين كما تطرق أيضا للسفارات المتبادلة التي حدثت بين لويس والمعز حول مشروع التحالف ضد الأيوبيين ولكنه لم يذكر اغلب بنود الاتفاق ودور العباسيين في إفشال المشروع.

الدراسة الثالثة للمؤلف عمر توفيق كمال جاءت من خلال كتابه الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين والتي تطرق إلى بعض المراسلات الدبلوماسية التي حدثت بين المماليك والصلبيين في عهدي الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون ،غير أنه لم يفي بالقدر الكافي للمضمون موضوع الدراسة.

أما الدراسة الجديدة في الموضوع : فتهدف إلى الفهم الحقيقي للنشاط الدبلوماسي البارز في دولة المماليك من خلال معرفة أساليب كلٍ من المماليك والصليبيين في إدارة المفاوضات وعقد المعاهدات والمهادنات واتفاقيات الصلح، ودراسة ظروفها ونتائجها على الصراع الصليبي- المملوكي ، و التطلع على الجهود الجبارة إلى قام بها سلاطين المماليك البحرية في زرع الاستقرار الأمني في المنطقة ، والحفاظ على الشرعية الإسلامية إضافة إلى دورهم البارز في تحقيق الانتصارات السلمية ضد الصليبيين دون اللجوء إلى الحرب .

منهج الدراسة :

التزمنا بإتباع المنهج التاريخي الوصفي الذي يخدم موضوع الدراسة وهذا بهدف وصف محتوى المادة المعرفية التي وقفنا عليها في مختلف المصادر المعتمدة في دراستنا في تلك الفترة ، والتي تتطلب جمع المعلومات والروايات التاريخية المتنوعة من مصادرها ومراجعها سواء كانت عربية أو أجنبية ، كما دعمناه بالمنهج التحليلي وذلك لتحليل بعض المواقف السياسية بين الطرفين قصد تفسير حيثيات وحصيلة الأحداث التاريخية وظروفها السائدة آنذاك.

صعوبات الدراسة:

لا يمكن إغفال بعض الإشكاليات والعقبات التي اعترضت طريق البحث والمتمثلة في:

1-العراقيل البيداغوجية والمتمثلة في إعادة الامتحانات لبعض المقاييس في السداسي الأول ، التي أثرت علينا من الجانب النفسي والمعنوي و عطلتنا في البحث قرابة شهر.

2-الظروف الطارئة التي حلت بالبلاد والتي عطلت المسار الدراسي الجامعي جراء تفشي وباء فيروس كورونا ، فألزمنا تطبيق الإجراءات الوقائية المفروضة والتي عرقلت بدورها التواصل المباشر مع المشرف وكانت دافعا في تأخر إنجاز الرسالة في وقتها.إضافة الى غلق المكتبات سواء الجامعية او العمومية.

3-عدم وجود مصدر أو مرجع متخصص يتناول بصيغة مباشرة موضوع الدبلوماسية بين المماليك والصليبيين بحيث أن المادة العلمية الي تحصلنا عليها كانت عامة وهذا حسب جهدنا المبذول.

4-قلة الدراسات السابقة في هذا الشأن ، حتى وان وجدت فهي ترتكز على جزئيات فقط من موضوع دراستنا ولا تشمل المضمون الكامل للرسالة .

5- صعوبة بناء خطة تشمل جميع الجوانب المحيطة بالموضوع نظرا لأتساعه وتشعب عناصره .

6- صعوبة إقتناء المراجع الأجنبية التي لها صلة بالموضوع .

عرض المصادر والمراجع:

إعتمدنا في دراستنا على أغلب المصادر التي تفاوتت أهميتها بين مصدر وأخر من حيث معاصرة الفترة أو المادة العلمية المطلوبة لرسالتنا قفد شملت كتب التراجم والتاريخ فضلا عن المراجع بما تحمله من معلومات و أراء وتحليلات من أهل الأختصاص التي أفادتنا في أهم التفاصيل الذي يخدم موضوع المذكرة وقد كانت على النحو التالي :

أ- المصادر:

1- **كتاب الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر** للمؤرخ القاضي محي الدين ابو الفضل عبد الله بن رشيد الدين ابن عبد الظاهر السعدي المصري المتوفي في 692ه/1292م اشترك في معركة عين جالوت ، شغل كاتبا لديوان الأنشاء بالقاهرة في حكم الظاهر بيبرس وعاصر فترة السلطان قلاوون وابنه الأشرف، يعد كتابه أهم المصادر التاريخية التي أرخت للعصر المملوكي ودونت بصفة خاصة لسيرة الظاهر بيبرس، وقد أفادنا معظمه في صفحات عديدة التي تطرقت بالخصوص لأهم العلاقات الخارجية التي حدثت في عهده مع الأمصار الأخرى وخاصة الصليبيين .

2- **كتاب مفرج الكروب في أخبار ملوك بني أيوب** للمؤرخ جمال الدين محمد بن سالم بن مضر المعروف بأبن واصل الحموي الشافعي المتوفي 697ه/1267م ، شغل منصب قاضي في أواخر العصر الأيوبي في القاهرة ، شهد حملة لويس التاسع على مصر ، وأسندت إليه مهمة سفير في حكم الظاهر بيبرس إلى ملك صقلية ، وتأتي أهمية وقيمة الكتاب بوصفه إنجازا تاريخيا ضخما مفصلا عن دولة بني أيوب ، وقد أفادنا في جزئيه الخامس والسادس، والتي شملت العلاقات مع الصليبيين في أواخر العهد الأيوبي.

3- **كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك** للمؤرخ **المقريزي** الذي يؤرخ لتاريخ الأيوبيين والمماليك إلى غاية فترة 844 ه/ 1440 م بطريقة الحوليات ، وتتمثل أهميته انه يتحدث بالتقريب عن الجوانب والأحداث العسكرية والسياسية وغير ذلك وقد أورد فيه أهم العلاقات السياسية الخارجية خاصة في الجزئين الأول والثاني مع مختلف الدول وبالأخص الصليبيين التي ربطتها بدولة المماليك.

4- **كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** للمؤرخ **إبن ثغري بردي** المعروف بأبي المحاسن جمال الدين يوسف الأتابكي المولود بمصر والمتوفي سنة 874 ه/1470بأعتباره أحد تلاميذ المقريزي ، ويقع الكتاب في 16 جزءا ويتميز بقيمته التاريخية ومصدر مهم لدراسة تاريخ المماليك وقد استفدنا منه في الفصلين الأول والرابع من دراستنا.

5- **كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشاء** لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي المتوفي بتاريخ 851ه/1418م حيث يعد هذا الكتاب موسوعة حول تاريخ مصر خلال عصر المماليك، خاصة وأن كاتبه اشتغل بديوان الإنشاء لفترة طويلة مما أتاح له الاطلاع على مختلف الوثائق والرسائل السلطانية الدبلوماسية مع العديد من الملوك والسلاطين خاصة الصليبيين .

6- **كتاب زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة** للأمير ركن الدين بيبرس المنصوري الدوادار المتوفي بتاريخ 725ه/1324م كان احد كبار أمراء المماليك وشارك في الأحداث السياسية ، كما كان من العلماء البارزين في عصره ، ويعد كتابه من أدق المصادر التاريخية للفترة المدروسة ، حيث تابع الأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية بطريقة الحوليات ، وقد تطرق إلى العلاقات بين المماليك والصليبيين من خلال الرسائل والوثائق المملوكية .

07- **كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور** لمحمد بن أياس الجركسي الحنفي ت930ه/1523م، اشتغل بعد وظائف سامية في العصر المملوكي ،خصص كتابه لتاريخ مصر وركز على الفترة المتأخرة لعصر المماليك البحرية ، وضمن كتابه أيضا بعض التراجم للسلاطين والإعلام لدولة المماليك

ب-الطبقات والتراجم:

1- **كتاب سير أعلام النبلاء** لشمس الدين الذهبي ت 738هـ-1342م الذي يعد من أكبر الموسوعات التاريخية الشاملة التي بحثت في التراجم والطبقات ، وكان الجزء السادس عشر المخصص لتراجم الملوك والأمراء في العصر المملوكي أهم أجزائه لفترة دراستنا .

2- **كتاب وفيات الأعيان وأنباء الزمان** لأبن خلكان ت 981ه/1283م هو علامة في الأدب والشعر والتاريخ, ولي القضاء في بلاد الشام وكان مولعاً بالاطلاع على سير المشهورين, وذلك سبب تأليفه لكتاب وفيات الأعيان ويعد الكتاب من أشهر كتب التراجم ، ذكر فيه سير السلاطين، والملوك والأمراء لا سيما الأيوبيين والمماليك والذي أفادنا في التعريف ببعض مشاهير، والشخصيات المملوكية التي عاصرها المؤلف.

ج-الرحلات والجغرافية :

1- **كتاب المسالك والممالك:** لابي إسحاق إبراهيم بن محمد الأصطخري ت 346ه/957 م الذي يعتبر كتاب جغرافي يقوم على وصف البلدان والتقسيمات الإدارية في بلاد الإسلام والذي أفادنا في معرفة بعض مصطلحات الأماكن التي ضمت إقليم الشام .

2- **كتاب معجم البلدان :** لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي 622ه/1225م وسُمي بالحموي نسبة لمولاه التاجر عسكر بن إبراهيم الحموي, وهو مؤرخ ثقة من أئمة الجغرافيين , ومن العلماء باللغة والأدب وغيرها من العلوم, أصله من

بلاد الروم والذي عرفنا بأسماء البلدان والأصقاع والأقاليم الموجودة في المشرق الإسلامي وخاصة منطقة الشام .

د- المراجع العربية:

1- سعيد عاشور عبدالفتاح وكتبه من أهمها: **العصر المماليكي في مصر والشام ، كتاب الظاهر بيبرس ، كتاب الحركة الصليبية في جزئها الثاني** التي أعطتنا أهم الجوانب السياسية للمماليك والصليبيين ، وبالأخص أهم العلاقات التي ربطت بين الطرفين .

2- **محمد سهيل طقوش** في أهم إنتاجاته **خاصة كتابه تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام** الذي وضح بدقة وتفصيل أبرز الأحداث السياسية في تلك الفترة وبين لنا كذلك معظم العلاقات الخارجية الدبلوماسية التي أقامها سلاطين المماليك البحرية، مع ملوك الكيانات الصليبية والأجنبية .

3-جمال الدين سرور بكتابيه **:الظاهر بيبرس ودولة مصر في عصره، و كتاب دولة بني قلاوون في مصر**، حيث أعطانا من خلالهما سيرة سلاطين المماليك في فترة حكمهم ، مبرزا كذلك أهم العلاقات الدبلوماسية التي أقاموها مع الصليبيين في عصرهم.

هـ - المصادر والمراجع الأجنبية المعربة:

1- **من المصادر الأجنبية المعربة** المعتمدة في موضوع دراستنا هو **كتاب القديس لويس التاسع حياته وحملاته على مصر والشام** ، من مذكرات كاتب ، كان أحد رجاله يدعى جوا نفيل، والذي ترجمه الدكتور حسن حبشي الذي يعتبر مصدر لشاهد عيان ، عمل في خدمة الملك الفرنسي ولازمه في حياته السياسية وحملاته العسكرية على المشرق ، وقد أفادتنا معظم جزئيات الكتاب عن المفاوضات والمعاهدات الدبلوماسية مع المماليك في حكم شجرة الدر والمعز آيبك .

2- **أما ابرز المراجع الأجنبية المعربة** فتمثلت في **كتاب تاريخ الحملات الصليبية** للمؤرخ الإنجليزي ستيفن رانسيمان بترجمة نور الدين خليل ، استفدنا من جزئه الثالث الذي خصصه لمملكة عكا والحملات الصليبية والذي تطرق فيه إلى بعض العلاقات المتبادلة التي قامت بين صليبي عكا والمماليك .

الفصل الأول : الدبلوماسية مع الصليبيين في أواخر العصر الأيوبي (616ه-648ه/1219-1250م)

- المبحث الأول: نبذة عن التاريخ الدبلوماسي
- المبحث الثاني: معاهدات واتفاقيات السلام بين الملك الكامل والصليبيين.
- المبحث الثالث: العلاقات مع الصليبيين في عهد الصالح نجم الدين أيوب.
- المبحث الرابع : المفاوضات مع الصليبيين في عهد المعظم تورا نشاه.

❖ المبحث الأول: نبذة عن التاريخ الدبلوماسي

❖ المطلب الأول : الدبلوماسية نشأتها وتطورها

❖ المطلب الثاني: أشكال الدبلوماسية

❖ المطلب الثالث :أغراض الدبلوماسية الإسلامية

❖ المطلب الرابع : محطات مختصرة عن الدبلوماسية عبر العصور

المطلب الأول : الدبلوماسية نشأتها وأغراضها:

أ-نشأتها وتطورها :

يعود أصل كلمة **دبلوماسية** ونشأتها إلى قدماء الإغريق، فاطلقت لفظة الدبلوماسي في اليونان القديمة وهي مشتقة من فعل diploo بمعنى يطوي ويثني، و تطور اللفظ إلى كلمة diplôma لتأخذ مفهوم الوثيقة أو المكاتبة الرسمية التي تطوى أو تثنى ، ويبعث بها إلى الملوك أو الحكام في علاقتهم الرسمية بصفة متبادلة وتخول لحاملها ، امتيازات وخاصيات في تأدية مهامها .[1]

إنتقل المصطلح إلى الرومان فأصبحت تلك الوثيقة المطوية والموثقة بالختم أو التوصية التي تعطى للأشخاص الموفدين في مهام رسمية لجهات أجنبية، وتفوض ناقلها الأمان والرعاية، ثم تطورت وشملت وثائق أخرى كالمعاهدات والاتفاقيات ، ليشيع انتشارها ويتنوع استعمالها حسب لغات الشعوب وممارستها لهدف موحد ألا وهو معالجة المصالح والصراعات المتداولة بين الدول بالطرق السلمية [2].

ب- مفهومها و وشرعيتها في الإسلام:

يعتبر أدق مفهوم للدبلوماسية الإسلامية هي مقولة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه(لو كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت ،لأنهم إذا شدوا أرخيت ، وإذا أرخوا شددت).[3]

إستعمل المسلمون الطرق الدبلوماسية كوسيلة تعامل في سياستهم الخارجية خاصة مع الدول الغير الإسلامية ووجدوا في الشريعة الإسلامية مصدرا لإقامتها. [4]

---

[1]- **نيكولسن ،هارولد** ، الدبلوماسية ،ترجمة :محمد مختار الزقزوقي ، مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة 1957

[2]-**دوللو لويس** ، التاريخ الدبلوماسي ،ترجمة :سموحي فوق العادة ،منشورات عويدات ،بيروت 1982 ص 3-7

[3]-**الطرطوشي** ، سراج الملوك ج1 ص 70

[4]- **عمر كمال توفيق** ، الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين ،مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع ،الإسكندرية 1986 ص18-22

من الآيات القرآنية الدالة على ذلك. قوله تعالى **(وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)** [1]

وقوله تعالى (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) [2]

وقد حددنا لها مفهوما عاما هي علاقات رسمية سلمية بين الدول التي تتضمن عناصر ومقومات ومهام أساسية هدفها السلم دون الحرب بالدرجة الأولى وتبادل المصالح المشتركة يندرج منها التمثيل السياسي على هيئة إرسال السفراء والمبعوثين وما يتمتعون به امتيازات وحصانة ، كما تشمل المراسلات والمفاوضات وعقد الاتفاقيات والمعاهدات ومن وسائلها ودية التعامل والتهديد وتكوين الأحلاف والمحاور السياسية والاستعانة بالتجسس[3].

المطلب الثاني: أشكال الدبلوماسية:

أ-السفراء والرسل: تعرف بالتمثيل الدبلوماسي و هو أبرز ما اهتم به المسلمون عن طريق الرسل والسفراء أو المبعوث وكلمة الرسول مشتقة من الأرسال والأطلاق والتوجيه وتتضمن أيفاد شخص معتمد لقيام بمهمة معينة وكلمة الرسول لها دلالات ومعاني في الدين و السياسة ومنها نقول أن الرسول أو السفير هو من يرسل إلى حاكمين لدولتين أو إمارتين في أمور خاصة وتتمثل شروط انتقائهم من خلال مؤهلات في قوة الشخصية والثقافة وقواعد بالغة الدقة كالفصاحة والجرأة والذكاء والأمانة والدقة في أداء و تنفيذ المهمة المكلف بها.[4]

---

[1]- **سورة الأنفال**، الآية 61
[2]- **سورة النحل** الآية 91
[3]- **عمر كمال توفيق** ، المرجع السابق ص23
[4]- **علي حسين الشامي** ،الدبلوماسية نشأتها وتطورها وقواعدها ،دار الثقافة للنشر والتوزيع ط3،عمان 2007 ص31.27

ب- السفارات: وهي البعثات التي تقوم الدول بإرسالها إلى الدول الأخرى لإدارة علاقات في ما بينها بهدف تحقيق منافع والمصالح المشتركة من خلال عقد هدن و إبرام صلح أو التبادل التجاري.[1]

ج- المراسلات الدبلوماسية :تعتبر من مكملات مهام السفير، وهي رسائل ترسل إلى الملوك تكتب على طرس [2]أو قرطاس أو على الكاغد وتلف بعد كتابتها ويعقد حولها شرابة سوداء غالبا ويختم عليها بالمسك والعنبر مخلوط بطين أسود ثم توضع في خريطة عبارة عن غلاف مصنوع من ديباج أسود .[3]

كانت الرسائل المتبادلة بين الملوك نادرا ما تكون إلا في حالات خاصة خوفا من وقوعها في يد العدو فأغلبها كانت شفوية مع تطور الأزمنة كما أنشا لها ديوان خاص في العصور الإسلامية المتعاقبة يعرف بديوان الإنشاء يطلع على إعداد تلك الرسائل والرد عليها من طرف أكفاء يقومون بهذه المهام.[4]

د-المفاوضات : تعتبر عنصر أساسي في الدبلوماسية وهي أول مراحل الاتفاق التي تمهد للمعاهدات ، وهي محادثات تجري بين فريقين متحاربين من أجل عقد اتفاق هدنة أو صلح تشمل عادة الكثير من الحوار مع الأخذ والرد ،تكمن أهميتها في تسوية المشاكل والخلافات القائمة والعمل على تهدئتها والمساهمة في وقف الحروب والعمل على إيجاد حلول مؤقتة للصراعات القائمة بين الدول المتنازعة مع رسم مسار لمستقبل علاقاتها ، وتتطلب قواعد تتمثل في الحرص واللباقة والتأثير بالعمل والأقناع وتجنب الاصطدام بالطرف المتفاوض الأخر حتى لا تتوقف ويضمن نجاحها.[5]

---

[1]- **إبراهيم احمد العدوي**، السفارات الإسلامية في أوروبا في العصور الوسطى ،دار المعارف، مصر 1958 ص 29
[2]- **طرس:** وهي الصحيفة التي تعاد عليها الكتابة بعد محو أو كشط كتابتها السابقة ، **انظر ابن منظور** ، لسان العرب ص 235
[3]- **منذر الحايك** ، العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية ،الأوائل للنشر والتوزيع ، ط2، دمشق 2006 ج1 ص 42-44
[4]- **القلقشندي** ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ،ج1 ص 116.
[5]- **منذر الحايك** ، المرجع السابق ، ج 1 ص 45-47.

و-المعاهدات: هي المرحلة الختامية للمفاوضات وتتمثل في عقد بين طرفين أو فريقين متنازعين يتضمن شروط مفروضة يتوجب الالتزام بها وتطبيقها والمصادقة عليها بين السفراء أو الأمراء أو الملوك من خلال وضع ختم الطرفين ، وتكمن أهميتها في إحلال السلم والأمن مكان الحرب وتسوية الخلافات بين القوى المتصارعة إضافة إلى تخفيف حدة التوتر وإجلاء التهدئة بين الدول والشعوب ، كما تعمل على تهيئة المناخ لتحقيق المصالح المشتركة بين الفريقين وتحسين الروابط لتوطيد العلاقات مستقبلا من جوانب التعاون والتقدم والتعايش السلمي[1].

المطلب الثالث :أغراض الدبلوماسية الإسلامية:

أ – الفداء : وهو تحرير الأسرى حيث يفدى الأسير بمال لفك سجنه أو من خلال المبادلة بأطلاق سراحهم من الطرفين لظروف الحرب التي تكون أغلبها سجالا ، وتجرى وفق مراسيم وشروط ووثائق رسمية متبادلة وقد عمل بها العباسيون والبيزنطيون في تعاملهم [2].

ب – التجسس: هو أهم أغراض الرسل والسفراء وشأن مهم لديهم فبإمكان الرسول الاطلاع في كل ما عند المرسل إليه من خير أو شر إن توفرت له الظروف ،هذه العادة معروفة قديما وتعتبر هدفا دبلوماسيا وقد ذكر في المصادر التاريخية[3] أن عمرو بن العاص رضي الله عنه بعد عجزه على التغلب على قائد الروم **أرطبون**[4] في أجنادين ، سار إليه على هيئة رسول فأبلغه رسالته وسمع كلامه وتأمل حصونه حتى عرف ما أراد[5].

---

[1]- **إبن الفراء** ، رسل الملوك وما يصلح للرسالة والسفارة ص 35

[2]- **احمد إسماعيل الجبوري و أياد علي الهاشمي** ، التاريخ الدبلوماسي، دار الفكر ،ط1،الاردن 2015 ص 49-50

[3]- **ابن الأثير** ، الكامل في التاريخ ، ج 3 ص 74، **ابن كثير** ، البداية والنهاية ج7 ص 156

[4]- **أرطبون :**وهو بالمقلوب الأطر بون وقيل أيضا **أرتيون** وهو إسم أطلقه العرب قائد من الرومان أثناء فتح القدس من الروم على وجه الخصوص أشتهر بالدهاء، وتعني كلمة الاطربون عند الرومان بالشخص المنتخب في البرلمان ، وقد لقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصحابي عمر بن العاص رضي الله عنه بأرطبون العرب نظرا لدهائه انظر، **ابن كثير** ، المصدر السابق ،ج 7 ص 159، **أسامة أبو طالب** ، الدولة البيزنطية ،دار البداية،ط1.الاردن 2014 ص 196،20

[5]- **بركات جمال**، الدبلوماسية ماضيها وحاضرها ، مطبعة الأهرام ، القاهرة 1991 م ص 45.50

1-التجارة : إهتمت الدبلوماسية الإسلامية بالتجارة خاصة إن بلغت شدتها في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، إضطر على إثرها الخلفاء إدخالها في الشؤون الدبلوماسية نظرا لإزدهارها في الشرق الإسلامي وعمل بها أيضا ملوك الروم والهند والصين ، وقد حصل ما يعرف سفارات واتفاقيات التبادل التجاري[1].

2-التهنئة والتعزية : كانت الرسل تتردد لتهنئة ملك عند تولي الحكم أو الزواج أو عزاء بموت احد الملوك أو الأمراء ، وقد ذكر ابن الجوزي[2] عند تولي الملك العادل الحكم في البيت الأيوبي قدم رسول من ملك الروم بحمل رسالة بتعزيته في موت أخيه صلاح الدين وتهنئته بتولي الحكم[3].

3-المصالحة والتحالف : كانت الرسل تتردد بين الملوك لتصلح بينهم في خلاف أو نزاع قائم مثل نزاعات واختلافات البيت الأيوبي فيما بينهم وقد ارسل الخليفة في بغداد سنة 626ه/1231 م المؤرخ ابن الجوزي ليوقع الصلح بين ملوك بني أيوب كما ترسل السفارات للملوك لعقد تحالفات فيما بينها لأغراض تعاون سواء سياسية واقتصادية أو عسكرية مثل تحالف صلاح الدين وإسحاق الثاني ملك بيزنطة سنة 585/1189 ه بعد فتح بيت المقدس.[4]

4-الزواج وحمل الهدايا : نشطت الدبلوماسية في مسألة الزواج السياسي ، فكانوا الملوك يخطبون بنات ملوك أخرين فيرسلون الرسل للمفاوضة وذلك بهدف تعزيز العلاقات وتقويتها وتحصين الملك والسلطة مثل الزواج السياسي للظاهر بيبرس من ابنة اخ هولاكو حاكم **تبريز** سنة 660ه/1262م كما اعتادت الرسل حمل الهدايا إلى الملوك فيتفننون في اختيارها وقد سجل التاريخ اثمن الهدايا التي بعثها هارون الرشيد إلى شار لمان سنة 181ه/م797 .[5]

---

[1]- **الطبري** تاريخ الرسل والملوك ج3 ص125، القلقشندي ، صبح الأعشى ج 7 ص 218
[2] - **ابن الجوزي** ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج9 ص 188
[3]- **ابن الفراء** ، رسل الملوك ص 40-43
[4]- **توفيق عمر كمال** ، المرجع السابق ص 142.143
[5]- **إبراهيم احمد العدوي**، المرجع السابق ص 105-106

المطلب الرابع :محطات مختصرة عن الدبلوماسية عبر العصور :

ا- في الحضارات القديمة:

إن الدبلوماسية قديمة بقدم التعايش الإنساني وضرورة من ضرورياته ،وأخذت سلوكا فطريا متبعا في الحضارات القديمة وخضعت إلى تطورات وتحولات تاريخية في أزمنة متعاقبة ، فكانت بالتالي رهينة تطور الشعوب وتحول أنظمتها آنذاك.[1]

ما يعرف أن اغلب الحضارات بداية من الفراعنة بمصر ومرورا ببلاد النهرين التي تعاقب عليها البابليون والأشوريون والأكاديون والفرس في الشرق الأدنى ، أسسوا نظام المبعوثين الدبلوماسيين ،بهدف إلى التواصل والتفاوض وعقد الاتفاقيات والمعاهدات بسبب الحروب والغزوات والنزاعات التي أنهكتهم ، وقد أثبتت المخلفات الأثرية على وجود وثائق دبلوماسية كتبت باللغات المسمارية والآرامية والهيروغليفية وحتى على الرق من أشهرها **معاهدة قادش**[2] التي نصت على شروط الصلح وتبادل الأسرى وحسن الجوار وتنظيم التحالفات العسكرية والمصالح التجارية.[3]

ب- في بلاد الإغريق:

إن بداية الدبلوماسية عند الإغريق هي بداية العلاقات بين المدن اليونانية ،فكانت تقوم مبدئيا على التعاون والتعامل وإرسال بعثات مؤقتة ذات طبيعة خاصة توكل المهمة إلى سفير يمثل مدينتهم وهو نوع من الممارسة الدبلوماسية ، كما قاموا أيضا

[1]- **احمد أمين سليم**، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، دار اليقظة العربية ، بيروت 1989 ص 276

[2]- معاهدة قادش سببها معركة دارت رحاها في منطقة قرب حلب على ضفاف نهر العاصي في 1278 ق م انهزم فيها الحثيون أمام الفراعنة ومن نتائجها ان دعا ملكهم الجديد (خاتو سيل الثالث) بطلبه إلى الحاكم الفرعوني (رمسيس الثاني) بأنهاء العداء وعقد معاهدة سلام دائم وتحالف وصداقة ، هذه المعاهدة مكتوبة باللغة الهيروغليفية موجودة بمعبد أمون بمنطقة الكرنك بمصر ، انظر **احمد أمين سليم** ، المرجع السابق ص 218

[3]- **محمد بيومي مهران** ، دراسات في الحضارات العربية القديمة ،دار المعرفة ، الإسكندرية ، 1989 ص 11-12

بتطوير نظام الاتصال الدبلوماسي حيث عرفوا من خلاله مبدأ التسوية بالتراضي والمصلحة والهدنة والاتفاقات العلنية والتحالفات وعقد الصلح والسلم خلال مبدأ التسوية بالتراضي والمصلحة والهدنة والاتفاقات العلنية والتحالفات وعقد الصلح والسلم.[1]

في زمن السلم قامت العلاقات على التعاهد والتحكيم وإيفاد الممثلين الدبلوماسيين [2]مثل المعاهدة المبرمة بين مدينتي (طيبة وأثينا) على أن تقوم مدينة **لاميا** بدور الحاكم بينهما في حالة نشوب خلاف بينهما ، أما في زمن الحرب فلا تبدأ الحرب ألا بالإعلان عنها مسبقا واللجوء إلى المفاوضات وعقد المؤتمرات قبل نشوبها وقد حدث ذلك في حكم الإسكندر المقدوني حيث عمل مجلس الشيوخ بأسلوب التحاور قبل اللجوء للحرب خاصة في غزوات الإسكندر الخارجية[3].

ما نستنتجه أن الحضارة اليونانية أورثت الحضارات الأخرى أصول وأساليب وقواعد الدبلوماسية في اختيار السفراء وإيفاد السفارات إضافة إلى الحصانات وأسلوب المفاوضات والحياد والتحكيم في المنازعات واتخذوا من غصن الزيتون رمزا للسلام.

ج –الدبلوماسية الرومانية:

ورث الرومان عن الإغريق بعضا من التقاليد والقواعد الدبلوماسية قاموا بتنظيمها وتطوريها وفق أهداف خارجية تعود لمصلحة روما، معتمدين على أساليب تكمن في مبدا السيطرة وخضوع الشعوب وكيفية إستيعابها وصهرها في البوتقة الرومانية ، وقد ركز النظام الدبلوماسي الروماني على إبرام المعاهدات وصياغتها والإقرار على إحترامها من مبدأ القوة والسيطرة مع رفض فكرة المفاوضات والتحالفات مع الشعوب المغلوبة على أمرها [4].

---

[1]- **جمال بركات** ، المرجع السابق ص 28-

[2]- **علي حسين الشامي**، المرجع السابق ص 62-64

[3]- **أساليب الممارسة الدبلوماسية** عند اليونان مرت بثلاث مراحل مهمة أولها مرحلة الإعلام البيضاء وأتخذت بصبغة شبه دينية بأرسال وفود السلم برعاية الاله ، ثانيها مرحلة الخطباء تعرف بمرحلة الدبلوماسي الخطيب يكون إختيار فيلسوف أو حكيم أو خطيبا ،ثالثها مرحلة إزدهار حضارة المدينة ركزت على تطبيق أسس وقواعد الحوار في السلم والحرب ، **انظر نيكولسون** ، المرجع السابق ص83

[4]- **ول ،ديو رانت** ، قصة الحضارة ، ترجمة نجيب زكي محمود ،دار الجيل ج 10-11 بيروت (د.ت) ص 196، 322

كما عملت منحها نوعا من الحكم الذاتي لها وفق المعاهدات المبرمة إضافة إلى عدم الاعتراف بمبدأ المساواة على الأرض التي فوقها سيادة .[1]

د- في العصر البيزنطي :

كان البيزنطيون أكثر مهارة في استخدام الدبلوماسية وممارستها مقارنة بأسلافهم في عصر روما الملكي فأتبعوا صيغة جديدة ، تتمثل في أسلوب التفاوض واستخدام السلم والمهادنة وتوطيد علاقتهم مع غيرهم من الشعوب بدهاء منظم ، وذلك بعدما وجدوا أباطرة بيزنطة أن فض الخـــلافات لا تكفي بحـــد السيف ، واستخدموا الحيلـــة والمكـــر لإضعاف أعدائهم عن طريق إثارة بعضهم ضد بعض كما أتبعوا أنماطا مختلفة تدخل في سياق سلمي يخدم مصالحهم وبقاء دولتهم[2].

ه- الدبلوماسية في العصور الوسطى:

انتشرت المسيحية في أوروبا التي جاءت تدعو إلى السلام في الأرض في وسط هيكل جغرافي منقسم إلى إمارات وممالك وإقطاعات ، ورغم اعتناق معظم دول الغرب لهاته الديانة إلا أنها لم تتوقف عن الحروب الدموية ،وقد لعبت الكنيسة دورها لتعميم فكرة السلام بين ملوك أوروبا وتوحيدها في الثوب الدبلوماسي متبعة إستراتيجيتها ، وتطبيق شعائرها من خلال السلام الإلهي الذي غرضه حماية رجال الدين والأمراء ، إضافة إلى الهدنة الإلهية والتي هدفها تحريم القتال في فترة من فترات السنة ، أما التحكيم البابوي فيتمثل في قرارات البابا التي تستلزم فك النزاعات بين الملوك والأمراء المسيحيين.[3]

---

[1] **طبيعة العلاقات** عند الرومان تمثلت في إنشاء جهازا مكلفا بالشؤون الخارجية منظما ومحكما اهتموا بجمع المعلومات إلى جانب المفاوضة والتمثيل وظهور السفارات الدائمة ، كما كانوا يزودون السفراء بتعليمات صارمة قبل القيام بمهامهم انظر ، **دوللو لويس** ،التاريخ الدبلوماسي ص60-61

[2]- **اعتمد البيزنطيون** الممارسة الدبلوماسية ومهارات التفاوض للدفاع عن مصالحهم واستخدموا الأسلوب الدبلوماسي المراقب بدل الدبلوماسي الخطيب وأنشئوا في القسطنطينية ديوانا خاصا بالشؤون الخارجية من اجل تدريب المفاوضين وأعدادهم للقيام بأعمال السفارة انظر **هارولد نيكلسون ، تطور المنهج الدبلوماسي ص 52**

[3]- **عزالدين فودة** ،النظم الدبلوماسية ، مكتبة الآداب ،ط2، بيروت 1989 ص67-68

كما إستعمل الحكام في أوروبا في العصر الوسيط المراسلات بينهم كأداة رئيسية في الدبلوماسية، وقد تبعتها انعقاد لمؤتمرات في القرن الثاني عشر ميلادي ،ومن أمثلتها البارزة ، قمة سلام البندقية **573ه/1177م** حيث إجتمع فيه فريديريك بربروسا والإمبراطور الروماني والبابا الكسندر الثالث ،ومبعوثو الملك وليام الثاني حاكم نابولي وصقلية ،وذلك للتوصل إلى سلام مشترك ،ووضع حد للأنشقاق البابوي الذي بدأ عام554ه/1159م.[1]

الدبلوماسية في التاريخ الإسلامي:

1-في العصر النبوي:1ه-11ه/622م-632م:

منذ صدر الإسلام وتحديدا في العصر النبوي ، تأسست العلاقات الدبلوماسية داخل الجزيرة وخارجها حيث اتسمت بالشمولية وبنيت على مقومات متأصلة في الشريعة وفق نهجا متكاملا ، وقد لعب الرسول صلى الله عليه وسلم دورا مهما فيها ، وتبين أثرها في النمط السياسي الذي أنتهجه[2]

تعتبر شخصيته عليه أفضل الصلاة والسلام من أبرع وأقوى الشخصيات الدبلوماسية التي تمتعت بالذكاء والخبرة في إدارة شؤون الدولة الإسلامية خارجيا في السلم والحرب بداية بتوحيد الطوائف والقبائل المجاورة بعد المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، ودعوة الناس للدخول في الإسلام من خلال إرسال الرسل والسفراء واستقبال الوفود والدخول معهم في المفاوضات ، وعقد اتفاقيات ومعاهدات الهدنة مع القبائل المجاورة وتغليبه للغة الحوار في التفاوض والسلم.[3]

[1]- **جيريمي بلاك** ،تاريخ الدبلوماسية ،**ترجمة**، احمد علي سالم ،مكتبة مؤمن قريش ،ط1،ابوظبي ،2013 ص 33-34
[2]- **إبن هشام**، السيرة النبوية ،ج 2 ص 147 ، **إبن الجوزي** ، المنتظم في تاريخ الملوك ،ج2 ص 268
[3]- **الطبري** ، تاريخ الرسل والملوك ،ج2 ص 130، **أبو الفداء** ، المختصر في أخبار البشر ، ج1 ص 123

من مظاهر العمل الدبلوماسي الذي قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم:

أ- الإتصال بملوك وحكام زمانه: بإرسال الرسل والكتب يدعوهم إلى الإسلام ويبشر بالدين الجديد ، إضافة لقبوله للهدايا حيث كان يقبلها عليه الصلاة والسلام، ويثيب عليها منها هدية المقوقس ملك مصر.[1]

ب-إتباع أسلوب التفاوض والحوار: لحل المنازعات حيث لا يلجأ للحرب إلا بعد فشل الحل السلمي وقد ظهر جليا من خلال مفاوضاته مع يهود خيبر[2] .

ت- المعاهدات : كانت من أول أعمال قام به الرسول صلى الله عليه وسلم عند وصوله إلى المدينة فعقد المعاهدات مع القبائل التي تقطن بين المدينة وساحل البحر الأحمر في صورة قبيلة جهينة وغفار ويبقى صلح الحديبية نموذجا حيا لما اشتمل عليه من شروط الأخذ والرد وتمديدا في الآجال.[3]

ث- الزواج السياسي: قام الرسول صلى الله عليه وسلم بمصاهرة يهود بن النظير في زواجه من أم المؤمنين صفية بنت حيي بن اخطب بعد أن حررها من الأسر في يوم خيبر وجعل من عتقها صداقها واصطفاها الرسول صلى الله عليه وسلم لنفسه، وكان الهدف الدبلوماسي من رابطة المصاهرة هي تخفيف عداء اليهود والتمهيد لقبولهم دعوة الإسلام وما يلاحظ أن العلاقات الدبلوماسية في العهد النبوي نجحت في تحقيق المصالح وتقوية الدولة الإسلامية.[4]

---

[1]- السفراء الذي أرسلهم الرسول ﷺ إلى ملوك وحكام الدول الغير الإسلامية كانوا يعرفون لغة الأقوام الأخرى كما كانوا يتميزون بالوعي الحقيقي والقيم الأخلاقية ، وشخصيتهم القوية والمؤثرة إضافة إلى معرفة عادات وتقاليد شعوب المرسلين اليهم ومن الصحابة المبعوثين ،حاطب ابن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك القبط ، عبد الله بن حذافة إلى كسرى ملك الفرس ،دحية الكلبي إلى قيصر الروم عمرو بن أمية الفهري إلى النجاشي ملك الحبشة **انظر ابن هشام السيرة النبوية ج 2 ص 153**

[2]- **ابن الفراء** ،رسائل الملوك ص 144

[3]- **ابن الأثير** ، الكامل في التاريخ ج2 ص 294

[4]- **ابن هشام**، مصدر سابق ،ج 2 ص 205

2-في العصر الراشدي :11هـ-41هـ/632م-664م:

اتبع الخلفاء الراشدون سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في الإعتماد على الدبلوماسية لنشر الدعوة الإسلامية ونقلوا براعتهم فيها واستخدموها في زمن السلم والحرب ،فقاموا بمفاوضة الشعوب المجاورة لهم ،كما اتخذوا الوفود وسيلة لإدارة شؤون الدولة الخارجية من خلال إبرام المعاهدات والإتفاقيات من أجل إقامة الروابط السياسية والعسكرية والاقتصادية وحفظ الدولة وتقويتها.[1]

عمل أبو بكر رضي الله عنه في فترة خلافته **11هـ-13هـ / 632م-634م** بخطى النبي صلى الله عليه وسلم في توطيد السلم والصلح وحماية الرسل ، وسار وفق منهاجا دبلوماسيا يتسم بالحكمة والرزانة وقد أولى أهمية بالغة لذلك حيث عقد معاهدات هدنة مع دول الملوك بدا من المقوقس ملك بمصر والنجاشي ملك الحبشة و كسرى ملك الفرس ومن دوافع ذلك هي تفادي حرب مستقبلية خاصة في فترة انشغاله بحروب الردة ، كما عمل على مسالمة دولة الروم وارسل لقيصرها عدة سفارات تضمنت دعوات إلى السلام والدخول في الإسلام.[2]

قام الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته **13هـ-23هـ / 634م-644م** باستخدام قواعد السلام على اللين والشدة داخليا وخارجيا ،فكان دبلوماسيا بارعا حيث قاد بنفسه حركة دبلوماسية ضرب بها المثل في التاريخ بعد أن جعل من ذاته رسولا مبعوثا وسفيرا يفاوض الناس ويعطيهم الأمان بأسلوب الحوار والتسامح عندما فتح القدس[3] سنة **15هـ /636م** كما حدد شروط اختيار الرسل التي تقوم بمهام السفارة ، وانشأ ديوان يتضمن الرسائل التي تأتي بواسطة الرسل[4].

---

[1]- **ابن الأثير** ، الكامل في التاريخ ،ج5 ص 294، **ابن خلدون** ، العبر ج2 ص542-543

[2]- **الطبري**، تاريخ الرسل والملوك ج5 ص294، **ابن الفراء**، رسائل الملوك ص269

[3]- **العهدة العمرية** : وثيقة تسمى بعهد الأمان ، كتبها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأهل إيليا من نصارى بيت المقدس وتعهد بموجبها بأمنهم وحفظ كنائسهم وممتلكاتهم وممارسة شعائرهم انظر **الذهبي** ، **تاريخ الإسلام** ،ج 3 ص 162-163

[4]- **ابن الأثير**، الكامل في التاريخ ج5 ص 294

كما إهتم عثمان بن عثمان رضي الله عنه 23ه-35ه/644م-656م بالجوانب الدبلوماسية والعلاقات الخارجية ،فقد خصص مبالغ معينة من بيت المال لاستقبال الرسل الأجانب وتغطية نفقات إقامتهم ، والذي لم يكن متوفرا في الأمصار في تلك الفترة أو حتى في العصور التي خلفتها ، وقد أثمرت دبلوماسيته في الفتوحات خاصة الأصقاع التي فتحت صلحا مثل أرض البلقان. [1]

أما علي بن أبي طالب رضي الله عنه 35ه-40/656م-661م فقد وضع القواعد السليمة في اختيار الرسل حيث ضبط اللغة والبلاغة وحسن الحوار والشجاعة وأسلوب التأثير في مقومات الدبلوماسية ،كما عمل نشر السلم وحقن دماء المسلمين وتمديد الهدن مع الملوك ، رغم بلوغ الفتنة ذروتها في فترة حكمه.[2] .

3-في العصر الاموي:41هـ-132هـ/664م-749م:

يعد العصر الأموي من أهم العصور الإسلامية التي أستخدمت الدبلوماسية في إنشاء الدولة والتعامل بها بينها وبين الأمم الأخرى ، فكانت بذلك إمتداد للنهج الذي سلكه الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من خلال الدعوة إلى الإسلام أو دفع الجزية أو الحرب.[3]

نقل الأمويون عاصمة خلافتهم إلى دمشق ، واستطاعوا السيطرة على أرجاء دولتهم المترامية الأطراف والممتدة من أوروبا إلى الصين بفضل قدرتهم وبراعتهم الدبلوماسية كما لجئوا إلى الطرق والوسائل التي يغلب عليها تبادل المصالح والتعايش السلمي وعدم استخدام الحرب إلا للضرورة.[4]

---

[1]- **البلاذري** ، فتوح البلدان ص 208-209

[2]- **ابن الأثير**، الكامل في التاريخ ج5 ص 294 ، **ابن خلدون** ، العبر ج 2 ص 542-354

[3]- **سعيد عبد الفتاح عاشور، بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته ،عالم الكتب ، ط1 ، القاهرة 1987 ص 105،108**

[4]- **محمد سهيل طقوش** ، تاريخ الخلفاء الراشدين ،دار النفائس ، ط2 ، بيروت 2011 ص 372، 378، 381

يعتبر معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه 41ه-60ه/664م-683م المعروف بدهائه وحنكته وتمرسه الدبلوماسي من المساهمين في تثبيت أركان دولته بفضل سياسته المنتهجة سواء داخليا أو خارجيا ، وذلك من خلال الإستمرار في الفتوح من جهة ودفع الحرب والمحالفة وتثبيت شروط الهدنة مع الدول من جهة أخرى.[1]

توطدت العلاقات السلمية لبني أمية بالأمصار المجاورة والبعيدة بعد إتساع رقعتها وإحتكاك حدودها بأسيا الصغرى وموطن الروم ، فكان عامل تبادل الرسل والسفارات ومراسيم الصلح والتبادل التجاري واضحا ومنتظما وتبينت مظاهرها من خلال بعض الأحداث المتمثلة في الهدنة وعقد الصلح بين الخليفة معاوية والإمبراطور البيزنطي قسطانز الثاني[2] سنة 36ه/657 م وسفارة قتيبة بن مسلم إلى الصين سنة 96ه/716 م وسفارة الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى الهند سنة 100 ه/ 720 م. [3]

يمكن إجمال دبلوماسية العصر الأموي من خلال إنتهاجها لسياسة مرنة وتعاملت مع الظروف الصعبة التي كانت ضدها داخليا أو خارجيا ، و أستخدمت أيضا السلم بدلا من الحرب للاستفادة من فترات السلام قصد تحصين الدولة وتقويتها ،وهذا راجع للحنكة السياسية للخلفاء المتعاقبين، وعملت كذلك استخدام السفارات الثقافية من اجل النهضة العلمية.[4]

4-في العصر العباسي: 132ه-656ه/749م-1258م:

تميزت الخلافة العباسية في عصرها الأول بالأزدهار السياسي مقارنة بالخلافة الأموية ، بعد إتخاذ بغداد عاصمة لهم فأزداد بذلك نشاط التمثيل الدبلوماسي حيث شمل مساحات واسعة نظرا لأتساع الرقعة الجغرافية للدولة ، وقد أمتد هذا التمثيل من خلال السفارات والوافدات إلى بلاطات ملوك الصين والهند في الشرق ، وملوك الفرنجة في الغرب وأباطرة الدولة البيزنطية في الشمال .[5]

---

[1]- **الطبري** تاريخ الرسل والملوك ج4 ص 32 ، **ابن الاثير** ،الكامل في التاريخ ج5 ص45-46

[2]- **قسطنطين الثاني لقب** قسطنطين الملتحي ت 48 ه-/668 م إمبراطور بيزنطي بين عامي 641-668 انظر **أسامة أبو طالب** ،المرجع السابق ص 231

[3]- **ابن الجوزي** ، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ص 95-96، **ابن القلانسي** ،ذيل تاريخ دمشق ص 135

[4]- **الشافي محمد عبد اللطيف** ، العالم الإسلامي في العصر الأموي ،دار الوفاء،ط1 ، القاهرة 1984 ص 105

[5]- **بدر عبد الرحمان محمد**، الدولة العباسية ،دراسة في سياستها الداخلية ،دار العالم العربي ، ط1 ،القاهرة 2012 ص 140

كانت بغداد في العصر العباسي ملتقى الوفود لدول العالم وسفاراته ، فاكتسبت بذلك خبرة الممارسة الدبلوماسية أدت إلى تطور أساليب الاستعدادات في استقبال المراسيم التي تظهر على الوفود والمبعوثين ، خاصة من جانب العلاقات والصلات المتبادلة مع الدول الأخرى سلما أو حربا .[1]

وقد تجسدت من خلال السفارات وتبادل الرسائل بين الأمراء والملوك الأخرى سلما أو حربا ، وعقد المعاهدات لإقرار الهدنة أو السلام داخليا وخارجيا ، وتبادل الأسرى أو ما يعرف بالفداء ، إضافة إلى الزواج السياسي الذي أتخذه بعض الخلفاء أو الأمراء لتحصين الدولة.، كما أسست جهاز دبلوماسي في مقر الخلافة يحتوي على ديوان يقوم تنظيم الرسائل وتعيين أكفاء في كتابة المعاهدات ، وحسن اختيار السفراء خاصة إلى الغرب المسيحي ، إضافة إلى إنشاء الهيئة الرسمية لهم من خلال لباس متميز.[2]

5-في العصر الفاطمي: 297ه - 569ه/ 909م- 1171م:

بعد أن أصبحت الدولة الفاطمية مجاورة للدولة البيزنطية و أمتد نفوذها في الشام وبحكم عدائها مع الدولة العباسية المجاورة لها أيضا في المنطقة ،عملت على إنشاء اتصالات دبلوماسية مع البيزنطيين في مجالات متعددة ، سبقها احتكاك حربي في البداية لتؤمن استقرارها وقد شمل النشاط الدبلوماسي بينهما في السفارات المتبادلة لعقد الصلح والمهادنة وعقد أواصر الصداقة ، وفداء الأسرى .[3]

كما سارت العلاقات بين الجانبين حسب نهج كل خليفة وإمبراطور ، بين مضطربة و ودية وبين ضعف وقوة ،كما يعد الفاطميون في عهد الوزراء أول من افتتح علاقات التقرب والتودد تجاه الصلبيين منذ أن وطأة أقدامهم بلاد الشام.[4]

---

[1]- **ابن الأثير** ، الكامل في التاريخ ج6 ص 185،182 – **اليعقوبي** ، تاريخ البلدان ،ج2 ص 348
[2]- **البغدادي** ، تاريخ بغداد ج8 ص 663-664
[3]- **العدوي أحمد إبراهيم** ،السفارات الإسلامية في العصور الوسطى ص 140-141
[4]- **سليمان الرحيلي** ، السفارات الإسلامية ، ص ص 128.109.8

كان هدف الفاطميون هو إقامة تحالف عسكري واستغلال هاته القوة ضد السلاجقة وكانت أول سفارة أرسلت من طرف الأفضل بن بدر الجمالي من مصر في صفر 491ه/جانفي 1098 نحو أنطاكية تعرض مشروع التحالف ، والتي استقبلت بحفاوة من طرف ملكهم بوهيمند و استمرت العلاقات السلمية بينهما وتطورت حتى في تبادل الهدايا[1]

من وجهة نظرنا خلال ما أطلعنا عليه فأن الفاطميين لم يحققوا أهدافهم من نشاطهم الدبلوماسي في المشرق الإسلامي بعد ضعفهم عسكريا ، بل فقدوا أكثر ما كسبوه، فبغض النظر عن عدائهم للدولة العباسية عامة ومشروعهم التحالفي الفاشل مع الصليبيين ضد السلاجقة ، فقد كسبوا اعداءا أخرين من دول غير إسلامية في مقدمتهم البيزنطيين ، وربما عصر الوزراء أو ما يسمى بعصر بالضعف ، كان ذريعة من ذرائع انهيارهم سياسيا وعسكريا .

[1]- **ابن الأثير** ، الكامل في التاريخ ج8 ص 663-664،

❖ **المبحث الثاني: معاهدات واتفاقيات السلام بين الملك الكامل والصليبيين:**

❖ **المطلب الأول** : مبادرات الصلح المتبادلة بين الملك الكامل والصلبيين.

❖ **المطلب الثاني:** مرحلة اتفاقية يافا وإقرار السلام.

❖ **المطلب الثالث** :اتفاقيات السلم بين الكامل وفريدريك الثاني.

المبحث الثاني: معاهدات واتفاقيات السلام بين الملك الكامل والصليبيين:

المطلب الأول : مبادرات الصلح المتبادلة بين الملك الكامل والصلبيين:

أ-مبادرة الصلح الأيوبية : سنة 616 ه/ 1219م:

استقل الملك الكامل بحكم مصر بعد وفاة والده ، وكان عليه مهمة طرد الصليبيين من دمياط نظرا للحصار القائم عليه لمدة ستة عشر شهرا من ط:رفهم ، وقد اضطر الكامل في هذه الظروف في إظهار بعض البوادر السياسية [1] السلبية لفك الحصار الذي انهكه ،فقام بأرسال رسولا إلى الملك **جان دين برين** [2] في معسكره يطلب منه سفراء لوضع اتفاقية سلام بعرض مغري يتمثل في تسليم بيت المقدس وعسقلان وطبرية وصيدا وجبلة وما فتح في عهد صلاح الدين مقابل الانسحاب من دمياط والأراضي المصرية.[3]

قوبلت اقتراحات الكامل بالرفض و تواصل زحف القوات الصليبية وأعمالهم العسكرية و انتهت بسقوط دمياط سنة616ه/ 1219 م بعد مقاومة شديدة ، فعاود الكامل تجديد عرضه دون فائدة ، واستمر تقدم الصليبيين نحو القاهرة ، لكن اصدموا بعراقيل ضدهم وهي المقاومة الطبيعية المتمثلة في ارتفاع منسوب مياه النيل وفيضانه وبعض التخطيطات العسكرية من طرف الكامل التي أرغمتهم على التوقف ، فوجدوا أنفسهم في طوق الحصار والهلاك ، فلا يستطيعون العودة إلى دمياط ولا القتال في الوحل بعد أن بلغت المياه ركبهم ، فلم يبق أمامهم سوى الصلح.[4]

---

[1]- **المقريزي** ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج1 ص 237

[2] - **جان دين برين :** يسمى يوحنا برين، قائد صليبى من فرنسا ، انتدب على حكم بيت المقدس سنة 1210، قاد الحملة الصليبية الخامسة على مصر و استولى على دمياط سنة 1219 ، **انظر محمود سعيد عمران ،الحملة الصليبية الخامسة ص48-49**

[3]- **سعيد عبد الفتاح عاشور** ، الحركة الصليبية ، مكتبة الأنجلو مصرية ، ج2 ،القاهرة ،1986 ج 2ص 225

[4]- **ابن واصل** ، مفرج الكروب ج4 ص98

ب – مبادرة الصلح الصليبية سنة 618هـ/1221 م:

بعد تأزم الوضع أرسل الصليبيون سفارة بتاريخ 25 جمادى الأخرى 618 هـ/ 15 أوت1221م إلى السلطان الكامل يترأسها أمراء الحملة ، وهم **جي الأول** صاحب جبيل ومعه مندوب أخر يدعى **جاك دي فتري** يطلبون فيها عقد صلح مؤقت[1]

أحتوى مضمون السفارة المرسلة في السماح للقوات الصليبية بالإنسحاب من الأراضي المصرية بأمان مع تبادل الرهائن للمصادقة [2]، وإعادة صليب الصلبوت ، والإمداد بالمؤن الضرورية اللازمة إلى غاية الأنسحاب ، مع إطلاق الأسرى الموجودين في مصر والشام ،مقابل هدنة مدتها ثماني سنوات ، ويكون من حق أي ملك صليبي خرقها في أي وقت مع تسليم دمياط أن أستلزم ذلك ، وكانت هذه المبادرة سبيل الصليبيين للخروج من الحصار والتظاهر بالتفاوض من باب القوة والسيطرة.[3] .

ج–معاهدة الصلح وشروط الاتفاق:

بعد مشورة الكامل لأمرائه وافق على مبادرة الصلح الصليبية متحججا بأسباب بدايتها بالمدد الصليبي القادم بقيادة الإمبراطور فريدريك الثاني والذي يكون قوة ا ضافية ودعم الصليبيين ،إضافة إلى الخطر المغولي الذي أصبح يملأ الأسماع. [4]

وضعت شروط الصلح لتنفيذها بين الطرفين تمثلت في الاتفاق على تبادل الرهائن إلى أن يتم تسليم دمياط للمسلمين والالتزام بتنفيذ قرار الهدنة ، إضافة إلى التموين الغذائي اللازمة للقوات الصليبية المحاصرة الى غاية عودتهم الى بلادهم وتزويدهم بالحاجيات الضرورية

---

[1]- **عمران محمود سعيد** ، الحملة الصليبية الخامسة ،دار المعارف، ط1،القاهرة 1985 ص 109

[2]- **من بين الرهائن المتبادلة** ،الرهائن الصليبية كان ضمنها الملك (جان دي برين) والمندوب البابوي (بلابيوس) مقدم الاسبتارية (جارتيه مونتا جو)، ومقدم فرسان التيوتون أما رهائن المسلمين فكان نجن الدين أيوب ولم يتجاوز خمسة(15) سنة وخواصه وابن أخت الملك الكامل ، **انظر ابن واصل ، مفرج الكروب ،ج4 ص241**

[3]- **رنسيمان** ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص 306،210،181

[4]- **أبو شامة** ،الروضتين في أخبار الدولتين ، ج2، ص 246-247

اللازمة، إضافة إلى إطلاق الأسرى بعد رحيل القوات الصليبية من دمياط وخاصة الذين اسروا في عهد صلاح الدين والمقدر عددهم بثلاثة الأف أسير[1]

أقر الاتفاق أخيرا على خروج القوات الصليبية من مدينة دمياط يوم 19 رجب / 6 سبتمبر 1221 وقد أستلمها المسلمون في يوم مشهود وتم من خلالها إطلاق الرهائن من كلا الطرفين ،مع جلاء الإفرنج عن مصر ،فمنهم من سار إلى أوروبا بحرا و فريقا اتجه إلى عكا برا . [2]

فشلت الحملة الصليبية الخامسة بعد احتلال مدينة دمياط ومحاصرتها لمدة من الزمن ، ومما سبق يمكن أن ندرك من ذلك سياسة الملك الكامل المرنة من خلال مواجهة العدوان الصليبي باقل الأضرار نتيجة أسلوب المهادنة والصلح في ظروف صعبة كانت ضده في بداية حكمه من الصراعات الأيوبية، ونقص استعداداته العسكرية وبالتالي نجح دبلوماسيا في إفشال الحملة. [3]

المطلب الثاني: مرحلة اتفاقية يافا وإقرار السلام:

استمر الإمبراطور **فريدريك الثاني617ه-647ه/** 1220-1250 في إستعمال أساليبه الاستعطافية والتذلل مع الدهاء الدبلوماسي لإخضاع الكامل ، ولم تلبث هذه المناورات حتى أتت أكلها وأفلحت في التأثير على السلطان الذي كان في محور ضغط بين منافسيه في الشام وضغط الصليبيين من جهة أخرى.[4]

عقد الملك الكامل في ربيع الأول 627ه/1229 إتفاقية التنازل على بيت المقدس مع الإمبراطور فريدريك الثاني عرفت بصلح يافا ، حضر مراسيم الإتفاقية من الجانب الأيوبي

[1]-**ابن الأثير** ، الكامل التاريخ ،ج12 ص 477-478
[2]- **قاسم عبده قاسم علي السيد علي** ، الأيوبيين والمماليك ،التاريخ السياسي والعسكري ،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ،ط1،القاهرة ،1995 ص 109،105
[3]- **باركر أرنست** ،الحروب الصليبية ص 110-111
[4]- **المقريزي** ، السلوك لمعرفة دول الملوك ج1 ص 237

الأمير فخر الدين والشريف شمس الدين الأرموي قاضي العسكر ، وصلاح الدين الأربلي [1] ومن الجانب الإفرنجي **هرمان سلزا** رئيس الطائفة الألمانية ، **توماس فون كوين**، قائد الجيش الصليبي، وكاتب من البلاط الصليبي

كتبت الاتفاقية باللغتين العربية والفرنسية ووقع عليها الملكين وحلف على التزامها ، وتم تسليم بيت المقدس ، في شهر ربيع الاول627 ه الموافق شباط 1229 م ونصت على أهم البنود المتمثلة في بداية هدنة عشر سنوات بعد التسليم ، مع تحديد بقاء مسجد الأقصى ومسجد الصخرة للمسلمين لإقامة شعائرهم الدينية وبقاء المناطق التي أخذها الصليبيون قبل الصلح في أيديهم والتي شملت قلاع الشقيف ،جبلة، بيروت، صيدا ، يافا، اللد ، الرملة ،عسقلان ، بيت جبريل بيت المقدس والناصرة وبيت لحم [2]

كما تضمنت الاتفاقية أيضا إطلاق سراح الصليبيين ومن ضمنهم الأطفال الذين أسروا في حملة الأطفال وكذلك مشاركة الإمبراطور في الدفاع عن الملك الكامل من أي عدو حتى ولو كان صليبي مشاركة الإمبراطور فريديريك الثاني في الدفاع عن الملك الكامل من أي عدو حتى ولو كان صليبي يبقى المسجد الأقصى والصخرة بيد المسلمين وممارسة فيه جميع الشعائر الدينية الإسلامية[3]

استمرت العلاقات الدبلوماسية بين الإمبراطور فريدريك والأيوبيين حتى بعد وفاة الملك الكامل ، وعمل على تنبيه وإبلاغ المسلمين من الحملات الموجهة إلى الشرق والاحتياط لها ، خاص حملة لويس التاسع في مصر [4].

---

[1]- **صلاح الدين الأربلي :**هو أبو العباس بن عبد السيد ابن قحطان الأربلي الملقب بصلاح الدين ، كان حاجبا عند الأمير المظفر الدين كوكبري صاحب أربل ، نال منزلة كبيرة ، ورقي إلى مناصب عليا في بلاط الملك الكامل ، **انظر ابن خلكان ،وفيات الأعيان ،ج 5 ص 148-149**

[2]- **أبو شامة** ،الروضتين في أخبار الدولتين ،ج 2 ص 238

[3]-،**سعيد عبد الفتاح عاشور**، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ،دار النهضة العربية ، بيروت ،1972 ص 142-143

[4]- **إبراهيم ياسين الخطاب** ،القدس بين أطماع وتفريط الملك الكامل الأيوبي ،دار المناهج ، ط1 ، الأردن 2001 ص 285-286

المطلب الثالث :اتفاقيات السلم بين الكامل وفريدريك الثاني:

انتهت الحملة الصليبية الخامسة التي قادها الملك **جان دين برين** بمعاهدة صلح ، وقعها الملك الكامل وقادة الصليبيين عام 618ه/1221 م ،وكانت الأوضاع العامة في البيت الأيوبي لا تصب في صالح الملك الكامل بعد فترة الهدنة والاستقرار القصيرة التي عاشها منذ استرجاع دمياط والصلح مع الصليبيين ، فقد كان الخطر يهدده من تحالف أخيه المعظم مع الخوارزميين ضده.[1]

أ – مرحلة السفارات والهدايا المتبادلة:

أرسل الملك الكامل رسوله إلى الإمبراطور فريدريك الثاني رسولا يعرض عليه التحالف ضد أخيه المعظم الذي ثار ضده ، ويتعهد له بمنح بيت المقدس.[2]

وجميع فتوحات صلاح الدين بساحل الشام ، مقابل ذلك ، وقد حضي المبعوث الأيوبي بحفاوة الاستقبال ، وأعاد له الإمبراطور سفارة مماثلة تحمل هدية تتمثل في تحف غربية وعدة خيول ومنها فرسه ومركب مرصع بجوهر فاخر تعبر عن موافقته ، وكان الرد بالمثل من طرف الكامل فأستقبل مبعوث الإمبراطور (بيراردو) بنفسه وأكرمه واعد له هدية فاخرة تتمثل في تحف من اليمن والهند ، إضافة إلى سرج من ذهب ، وجوهرة بعشرة الأف دينار.[3]

---

[1]- **ابن الوردي** ، تتمة المختصر في أخبار البشر ، ج2 ص226-227

[2]- **الامبراطور فريديريك الثاني** :هومن اب الماني وهو (هنري السادس) وأم نصف ايطالية (كونسانتس) وريثة عرش صقلية ، عوقب بقرار حرمان الكنيسة بسبب تماطله في الحملة ضد الشرق انظر عاشور عيد الفتاح ، **اوروبا العصور الوسطى ص394**

[3]- **عاشور عبد الفتاح**، الحركة الصليبية ،ج 2 ص395-396

ب- مرحلة تعطل التفاوض وإعادة الاتصالات بين الطرفين:

بوفاة المعظم زال خطر التمرد على الكامل ،الذي أصبح في مأمن وتغيرت معطيات الاتفاق الأول بين الملك الأيوبي والإفرنجي وبوصول هذا الأخير بحملته إلى عكا عام 1228 م ، أرسل سفارة من رسولين تحمل هدايا نفيسة وتطالبه بتحقيق وعوده ، وفي نفس الوقت عمل الإمبراطور على استخدام مواهبه الدبلوماسية في الإفادة من النزاعات بين الكامل ومنافسيه الأخرين في الشام[1] ، كما علل مجيئه للمفاوضة وليس للحرب .[2]

أعيدت المباحثات من جديد في تسليم القدس وطالت المفاوضات وتعطلت ، بعد ان اتخذت شكل محاورات جدلية ، وباستمرار الكامل في التنصل من وعوده وصلت الاتصالات إلى تجمد بين الطرفين لمدة خمسة (05) اشهر[3] ، قام بعدها الإمبراطور بإحياء التواصل الدبلوماسي من جديد بسفارات ومراسلات استعطافية إلى السلطان الكامل وشرح له موقفه الحرج أمام ملوك أوروبا والبابوية ، ساعيا إلى الأتفاق والتفاوض وتحقيق الوعود وإبرام المعاهدة.[4]

---

[1]- **ابن كثير**، البداية والنهاية ج12 ص 102،
[2]- **رنسيمان** ، تاريخ الحروب الصليبية ج3 ص 305-307
[3]- ، **ابن الأثير** ، الكامل في التاريخ ج12 ص 477، **أرنست باكر**، الحروب الصليبية ص113
[4]- **إبراهيم ياسين الخطيب** ، المرجع السابق ص 285- 286

❖ المبحث الثالث: العلاقات الأيوبية الصليبية في عهد الصالح نجم الدين أيوب:

❖ المطلب الأول : سفارة الصالح أيوب إلى الملك تيبوث الرابع

❖ المطلب الثاني : المراسلات المتبادلة بين لويس التاسع ونجم الدين أيوب

❖ المطلب الثالث: مبادرة الصلح الأيوبية وفشل المفاوضات

المبحث الثالث: العلاقات الأيوبية الصليبية في عهد الصالح نجم الدين أيوب:

(637ه-647ه/1238م-1249م)

ترتب على وفاة الكامل عودة الصراع الداخلي بين أفراد الأسرة الأيوبية حول الحكم ، وأظفرت نتائجه بإعتلاء الصالح نجم الدين أيوب حكم مصر ،وقد تخللت علاقته مع الصليبيين ين ود ونزاع قبل الحملة السابعة ،وما يصادف تلك الفترة هي الدعوة البابوية المستمرة من طرف البابا **جريجوري التاسع** إلى حملة صليبية جديدة بعد انتهاء اتفاقية هدنة يافا616ه/ 1229م بين الملك الكامل والملك فريديريك الثاني [1].

بعد أن وطد الصالح أيوب حكمه عمل مهادنة الإفرنج و مسالمتهم قصد التفرغ إلى توحيد البيت الأيوبي ، وقد سارت الأحداث بقدوم الحملة الفرنسية بقيادة **ثيبوت الرابع** من عكا وهزيمتها في عسقلان وغزة من جهة ، و اشتداد النزاع الأيوبي حول تملك الأقاليم الموروثة بين الأخوة وأبناء العمومة من جهة أخرى[2].

المطلب الأول : سفارة الصالح أيوب إلى الملك تيبوث الرابع صفر638/1240م:

في ظل تفاقم الأوضاع الأيوبية ،قام الملك صالح إسماعيل صاحب دمشق عم الصالح أيوب و غريمه بمراسلة الملك تيبوت الرابع أو تيبالد الرابع في معسكره بعكا سنة 638ه/1240معارضا عليه عقد التحالف ضد الصالح أيوب والناصر داوود صاحب حلب مقابل إعطائه وإعادة إحياء مملكة بيت المقدس، كما عمل على منحه حصنين هما **صفد وشقيف أرنون** بتسليم فوري كمصداقية حسن الثقة على اتفاقية التحالف فضلا عن طبرية وعسقلان ومناصفة صيدا وجبل عاملة وسائر بلاد الساحل بعد نجاح الحلف [3]. إضافة إلى حرية التنقل للصليبيين في دمشق .

---

[1] **الحنبلي** ، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ص 375
[2]- **ابن واصل** ،مفرج الكروب ج5 ص 199-300
[3]- **المقريزي** ، السلوك لمعرفة دول الملوك ج1 ص 109

تم الأتفاق وتنفيذ الشروط بين الطرفين وقد لاقت هاته الواقعة اثر سيء لدى المسلمين وبالأخص العلماء في صورة العز بن عبد السلام الذي قام بمراسلة الصالح أيوب محتجا على هذا الوضع.[1]

إستطاع الصالح في البداية أن يؤلب أهل دمشق على الصالح إسماعيل وكسر قوته بأحداث معارضة مناهضة ضده وقام بعدها بدهائه الدبلوماسي بإرسال سفارة تحمل رسالة إلى الملك **تيبالد الرابع** مغرية يعرض فيها الصلح مقابل الألتزام بالحياد ومنحه عسقلان وبعض المدن وإطلاق أسرى معركة غزة. [2]

لقي العرض قبول الملك ووقع الاتفاق من طرف مقدم الأسبتارية وممثلي السلطان أيوب في عسقلان في بداية صفر عام 638 ه الموافق شهر سبتمبر 1240 ورفض فرسان الداوية الدخول في الصلح وقد كان انتصارا سياسيا للملك الصالح بعد أن كسر التحالف وأجبر الحملة لمغادرة الشام في نفس السنة.[3]

ب -الحملة الإنجليزية السلمية سنة638ه/ 1240م:

تشير المصادر التاريخية أن هاته الحملة في أواسط شهر شوال638 ه/ أكتوبر 1240م والتي كانت بقيادة **ريتشارد كورنول** وجاءت بتعليمات الملك فريديريك الثاني الذي كان هدفه الأساسي هو تجديد وتعزيز العلاقات بينه وبين الأيوبيين بعد وفاة السلطان الكامل ، فكانت مهام كورنول سلمية تهدف إلى ترتيب الأحوال في مملكة عكا الصليبية ، وتهدئة الأوضاع المتمثلة في الاختلافات والنزاعات بين الأمراء القائمين عليها .[4]

---

[1]- **القلقشندي** ، صبح الأعشى ج 1 ص69-70

[2]- تؤكد المصادر التاريخية أن الصالح إسماعيل صاحب دمشق والملك المنصور إبراهيم الأيوبي صاحب حمص حضرا على رأس جيوشهما لمعاونة الصليبيين في مهمة غزو مصر ، لكن القوات الشامية التابعة للصالح إسماعيل والمنصور إبراهيم لم تقبل فكرة طعن إخوانهم ، فبعد وصول القوات إلى غزة أنظمت إلى جيش السلطان نجم الدين أيوب ، ليشترك الجميع في مهاجمة الصليبيين ، فقتل منهم عدد ضخم وسيق الأسرى إلى القاهرة وأنتهت بالصلح انظر **ابن ثغري بردي ، النجوم الزاهرة ج 4 ص 322، ابن ايبك ،كنز الدرر ج 7 ص 125**

[3]- **ميخائيل زابوروف** ، الصليبيون في الشرق ، ترجمة الياس شاهين ،دار التقدم ،موسكو 1986 ص 293-300

[4]- **ابن واصل** ،مفرج الكروب ج5 ص331،**المقريزي**، السلوك ،ج1 ص 256 ، **ابن ثغري بردي** ،النجوم الزاهرة ج6 ص 270

الهدف الثاني فهو تنظيم العلاقات بالسلطنة الأيوبية الجديدة بالقاهرة على قاعدة تجديد الهدنة السابقة في عهد الكامل ،وشرط احتفاظ الصليبيين بما كسبوا من عسقلان وصفد .[1]

استقبل **ريتشارد كورنول** سفراء الصالح أيوب في عسقلان أواخر شوال 638/ أكتوبر 1240 وفاوضهم بذلك حسب الشروط السابقة إضافة إلى الاعتراف بأحقية ملكية الأراضي التي تخلى عنها الصالح إسماعيل للصليبيين وكان الرد باستقبال السلطان أيوب سفراء (لريتشارد) في القاهرة بعد مدة قصيرة من نفس السنة 1240/638محاملين معهم رسالة من الملك فريدريك الثاني تتضمن تهنئته بالسلطنة[2].

من خلال هاته السفارة تمت المطالبة بتجديد المصادقة على المعاهدة التي أبرمت من طرف الملك تيبالد والاسبتارية الموافقة على الشروط المبرمة، والأتفاق على الهدنة والسلم مع وضع بند في الاتفاق هو خرق الهدنة في حالة الأعتداء من كلا الطرفين ، وقد أسفرت بنجاح المفاوضات خاصة من الجانب الصليبي الذي حقق مكتسبات أخرى باستفادته من أراضي غربي نهر الأردن الممتدة على طول الساحل الفلسطيني ،حتى ضواحي غزة فضلا على طبرية ومدن أخرى ، اما الجانب الأيوبي ، فكانت مبادرة تجديد الهدنة ، للأنشغال بالصراعات الداخلية التي تضرب البيت الأيوبي.[3]

أبحرت الحملة الإنجليزية السلمية بتاريخ في جمادى الثانية 639/ ماي 1241 م من ميناء عكا عائدة إلى إنجلترا ، في وسط تباين أمراء المملكة الصليبية في عكا بين مؤيد وجانح للسلام مع الملوك الأيوبيين ومعارض لذلك من خلال استمرار العداء للأيوبيين واستغلال نزاعتهم الداخلية. [4]

---

[1]- محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ص 379
[2]- **المقريزي** ، السلوك لمعرفة دول الملوك ج1 ص 415
[3]- **ميخائيل زاباروف** الصليبيون في الشرق ص 305
[4]- **ابن واصل**، مفرج الكروب،ج5 ص337، **ابو الفداء** ،المختصر في أخبار البشر ج2 ص 267

حسب تحليلنا فأن الحملة الأنجليزية السلمية برغم أم أهدافها كانت واضحة إلا أنها كانت لها أهداف خفية أخرى وهو التجسس ومعرفة أحوال البيت الأيوبي التي كانت اكثر سوءا مقارنة النزاعات الصليبية الداخلية في عكا ، فالدافع المسطر حسب رأينا كان التمهيد لحملة صليبية مستقبلية.

المطلب الثاني : المراسلات المتبادلة بين لويس التاسع ونجم الدين أيوب :

انطلق لويس التاسع بحملته على مصر ، ووصل بأسطوله إلى مشارف ساحل دمياط بتاريخ 21 صفر 647 /الموافق 27 ديسمبر 1249 م[1] ، وكان الصالح نجم الدين أيوب على علم مسبق بالحملة بواسطة رسول من الملك **فريدريك الثاني** هذا الأخير كانت غايته إفشال المشروع الصليبي بسبب علاقته المتدنية مع البابوية[2].

بادر الملك لويس باتصالاته للسلطان الصالح في البداية ، وأخذت شكل مراسلات متبادلة بين الطرفين ، وقد اتبع لويس أسلوب مفاوضاته الشبيهة بالمراسلات المغولية في رسالة شديدة اللهجة التي كان مضمونها استعراض قوته والأستخفاف والتهديد والوعيد والأخذ بالنصح ، و الاستسلام دون إراقة الدماء والاتعاظ بمسلمي الأندلس والدخول في الطاعة دون شروط او مقاومة[3].

استقبل الصالح نجم الدين رسالة [4] تحذير الملك الفرنسي في ظروف حرجة نتيجة مرضه بداء السل وكتب رده متخذ لغة الرفض والصمود والتحدي والتنديد بغروره قائلا في موجز من الرسالة على حد قول المقريزي (.....فلو رأت عيناك أيها المغرور حد سيوفنا وعظم حروبنا ، وفتحنا منكم الحصون والسواحل وأخرابنا منكم الديار الأواخر والأوائل ، لكان منك أن تعظ على أناملك للندم).[5]

---

[1] - **ابن أياس**، بدائع الزهور ،ج1 ص 277
[2]- **الذهبي** دول الإسلام ج2 ص144-145 **ابن العماد**، شذرات الذهب ج5 ص 89-90
[3]- **ابن العماد**، شذرات الذهب ج5 ص 89-90 ، **الذهبي** ،دول الإسلام ج2 ص144-145
[4]- **ابن واصل** ،مفرج - الكروب ج5 ص331، ابن الوردي، تتمة المختصر ج2 ص74
[5]- **المقريزي** ، السلوك لمعرفة دول الملوك ج1 ص 434

يتضح من المراسلات الأولى المتبادلة غياب المبادرات السلمية والتوافق، فكان فشل التحاور واردا و لغة الحرب قائمة خاصة من الطرف الصليبي الذي كان واضحا في أسلوب خطابه الذي يندرج من موضع قوة باقتحام دمياط ، أما الطرف الأيوبي ، زاد إصرارا في المقاومة وصمودا وعدم التفريط في شبر من أراضيه أو مالا يخدم مصلحته.[1]

المطلب الثالث :مبادرة الصلح الأيوبية وفشل المفاوضات :

لم تنجح تحصينات الجيش الأيوبي بسبب التفوق العددي للصليبيين ، فسهل بذلك اقتحام وسقوط المدينة في أواخر صفر 647ه/ 06جويلية 1249م ، فكانت صدمة كبيرة للمسلمين والسلطان الصالح نجم الدين أيوب الذي كان يعاني المرض فأستقبل الخبر بمزيج من الألم والمرارة، وبتواصل القوات الصليبية الزحف نحو المنصورة اصطدموا بمقاومة شديدة من طرف الأيوبيين التي عطلت نوعا ما تقدمهم.[2]

في ظل هاته الظروف المزرية، قام السلطان بمبادرة دبلوماسية محاولا فك الحصار وإصلاح ما يمكن إصلاحه ،فأرسل سفارة بتاريخ بداية ربيع الأول 647 ه/15 جويلية 1249م إلى معسكر الملك لويس التاسع بدمياط يعرض عليه الهدنة والصلح شرط جلاء الصليبيين عن دمياط مقابل إرجاع مدينة بيت المقدس إلى الصليبيين على قاعدة اقتراح السلطان الكامل سابقا .[3]

لقي عرض الملك الصالح نوعا من القبول في بادئ الأمر لدى القادة الصليبيين والملك لويس بنفسه ، وبدت إبرام إتفاق معاهدة الصلح واردة ، غير أن مجريات التفاوض الإيجابي تغيرت برفض الكونت **روبير كونت ارتوا** شقيق الملك وإصراره على التعنت حيث رأى أن لا ينبغي نشر السلام والتخلي عن واجب الحرب المقدسة ضد المسلمين[4]

---

[1]- **محمد سهيل طقوش** ، تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة، دار النفائس ،ط2،بيروت 2008 ص371.
[2]- **جوا نفيل** ، القديس لويس ،حياته وحملاته على مصر والشام ، ترجمة حسين حبشي ،دار المعارف ،ط1 ، القاهرة 1967 ص 94- 97.
[3]- **جوزيف نسيم يوسف** ،هزيمة لويس التاسع على ضفاف النيل ،مؤسسة المطبوعات الحديثة ، القاهرة (د.ت) ص 7-10.
[4]- **قاسم عبده قاسم** ، في تاريخ الأيوبيين والمماليك ص 140-141

بالغ الكونت الفرنسي في شروطه من خلال إضافة مطلب أخر وهو تعويض دمياط مقابل الظفر بالإسكندرية كما أكد على شرط إسترجاع مدينة بيت المقدس بتأييد الملك ، وفشلت بذلك المفاوضات وبقي الوضع على ما هو عليه بتواصل صمود القوات الأيوبية في المنصورة[1] ضد الحصار الصليبي المصر على مواصلة زحفه والاستيلاء على الأراضي المصرية ، و انتهت بموت السلطان نجم الدين أيوب بعد معاناته من المرض دون تحقيق أي هدف من الجانبين.[2]

[1]- **المنصورة :** بلدة محاذية لدمياط تم إنشائها من طرف السلطان الكامل الأيوبي كثغر دفاعي ثاني بعد دمياط انظر البغدادي ، مراصد الاطلاع على الأمكنة والبقاع ج3 ص 132

[2]- **المقريزي** ، السلوك ج1 ص351

❖ المبحث الرابع: المفاوضات مع الصليبيين في عهد المعظم تورا نشاه

❖ المطلب الأول: المفاوضات مع لويس التاسع.

❖ المطلب الثاني: معاهدة الصلح والفداء بعد أسر الملك لويس.

❖ المطلب الثالث: تقويم سياسة توران شاه تجاه الصليبيين.

المبحث الرابع : المفاوضات مع الصليبيين في عهد المعظم تورا نشاه648ه/1250م:

بوفاة نجم الدين أيوب، بادرت شجرة الدر زوج أبيه إلى إستدعاء ولده تورانشاه[1] الذي وصل إلى المعسكر الأيوبي بالمنصورة يوم19 من ذي القعدة 648 ه/24 فيفري 1250م ، وسلمت له مقاليد الحكم من طرف شجرة الدر، وبويع بالسلطنة وبدأ بالتخطيط مع أمراءه لهزيمة الصليبيين ،حيث لم تلبث وان نفذتها قواته فخطط الأستيلاء على السفن الصليبية وقطع المدد على المحاصرين في دمياط فكانت نتيجتها الحصار والأسر وإنتشار الأمراض والجوع بينهم.[2]

أ-المفاوضات مع لويس التاسع:

أدرك لويس التاسع الظروف السيئة التي أمسى أليها الصليبيون ،فحاول التفاوض مرة أخرى مع المسلمين وأنهاء الحصار المضروب عليه فأرسل مبعوثيه إلى تورا نشاه يعرض عليه الهدنة والصلح ووقف القتال مع تسليم دمياط والخروج منها ،ومغادرة الأراضي المصرية مقابل التنازل على بيت المقدس وبعض المدن الساحلية بفلسطين .[3]

حظيت المفاوضات في بادئ الأمر بالموافقة مع إضافة بند في الأتفاق الذي يتمثل في حجز لويس التاسع رهينة كضمانة للأنسحاب من دمياط ، وقد قوبل هذا العرض بالرفض من الطرف الصليبي وبالتالي فشلت المفاوضات في بدايتها وكان المستفيد هم المسلمين بحكم أنهم في موضع قوة وسيطرة تامة على القوات الصليبية[4].

بتفاقم الوضع اضطر لويس لطلب التفاوض مرة أخرى خاصة بعد انهزامه في معركة **فار سكور**[5] 3محرم 648ه / 04 أفريل 1250م فأرسل المبعوث **فيليب مونت**

---

[1]- **المعظم تورا نشاه**: هو ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب حكم مصر مدة واحد وتسعون يوما ،عرف بسياسته المهينة تجاه أمراء ابيه ،بنى برج عالي من خشب ، واحتمى به عند مطاردته من طرف أمراء المماليك وقد أضرمت النيران فيه مما دفع به إلى القاء نفسه في البحر فهلك حرقا وغرقا ، **انظر ابن العميد**، أخبار الأيوبيين ، ص 83

[2]- **محمد مصطفى زيادة** ،حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة ،دار المجلس الأعلى لرعاية الفنون و الآداب ، ط1 ، القاهرة (د.ت) ص 119

[3]- **بردج أنتوني** ،تاريخ الحروب الصليبية ترجمة احمد سبا نو و نبيل الجيرو دي ،دار قتيبة ،دمشق 985ص270.266

[4]- **سعيد ، عبد الفتاح عاشور**، الحركة الصليبية ج2 ص310 ، ا229

[5]- **فار سكور** :قرية شمال مصر على ساحل النيل تقع بين دمياط والمنصورة ، **انظر الإدريسي** نزهة المشتاق ج1 ص399

فورت[1] قائد قواته إلى المعظم **تورا نشاه** عارضا عليه وقف القتال وإقامة الصلح مقابل الموافقة على جميع الشروط السابقة ، فتم الإتفاق مبدئيا لكن الظروف العصيبة أرادات عكس ذلك تمثلت في مرض الملك من جهة إضافة للحصار، والأغارات التي أنهكت الصليبين من جهة أخرى ،أدت إلى انسحابه و إستقراره بقرية تدعى **أشموم طناح** بين دمياط والمنصورة ، أين أنتهى به المطاف إلى الأسر مع أمراءه واستسلام جيشه وأعيد على أثرها إعادة المفاوضات بصيغة أخرى .[2]

ب-معاهدة الصلح والفداء بعد أسر الملك لويس:

ذكرت بعض المصادر التاريخية أن الملك تورا نشاه عمل بالعرف الدبلوماسي من ناحية المعاملة الحسنة للأسرى حيث تلقى لويس التاسع منه كرما وأحسانا ، بعد أن أسر في دار القاضي فخر الدين بن لقمان وتم استشفائه من طرف طبيب ، ووضع من يقوم على خدمته ،وأرسل اليه خلعة نفيسة ليرتديها[3] .

قام تورا نشاه بفتح المفاوضات من جديد مع أسيره لويس التاسع وحاول إجباره على الموافقة من خلال قبول العروض المقترحة عليه المتمثلة عقد السلام وتسليم أغلب الممتلكات الصليبية الموجودة في الشام ، إضافة إلى تسليم دمياط مقابل تسريحه هو ومن معه من الأمراء الأسرى ، وقد قوبلت بالرفض [4]من طرف الملك بحجة أن معاقل الصليبيين في الشام يعود ملكها إلى الملك كونراد ابن فريدريك الثاني.[5]

---

[1]- **فيليب مونتفورت :** كان قائدا لإقطاع تبنين الصليبي ،بعدها اصبح بارونا على إمارة صور ثم ولي كقائد جيش في حملة لويس التاسع على مصر ، **انظر رنسيمان** ، تاريخ الحروب الصليبية ج3 ص 384-385

[2]- **محمد مصطفى زيادة** ، حملة لويس التاسع على مصر ص 168-169

[3]- **سبط ابن الجوزي** ، مرأة الزمان ج8 ص 773، **المقريزي** ، السلوك ج1 ص 336، **ابن ثغري بردي** ،النجوم الزاهرة ج 3 ص 385

[4]- **غروسيه** ، الحروب الصليبية ص 88-89

[5]- **قاسم عبده قاسم** ،في تاريخ الأيوبيين والمماليك ص 132-133

ولم تلبث أن أسفرت مجهوداته في الأخير بعقد المعاهدة بين المسلمين والصلبيين في منتصف محرم 648 ه الموافق منتصف أفريل1250وقد تمحورت في عدة بنود رئيسية تم الاتفاق عليها تمثلت ، إجلاء دمياط فداء عن لويس التاسع ومن معه من الأسرى سواءا من المسلمين أو الصليبيين ، إضافة إلى إقرار عقد هدنة لمدة عشرة سنوات وأقسم الطرفان على المحافظة عليها وعدم الأخلال بها.

. ذكرت المصادر التاريخية [1]أن قادة الحامية الفرنسية المتمركزة في دمياط لم ترضى ببنود اتفاقية الصلح المبرمة مع المسلمين رغم أسر الملك لويس خاصة في البند المتضمن إبقاء ملكهم كرهينة حتى بعد انسحاب القوات الصليبية من دمياط اضافة الى ضخامة مبلغ فدية أسراهم .[2]

في هذا الوضع أشار بعض قادتهم المتواجدين بالمعسكر الصليبي في دمياط الى إعادة النظر في احدى بنود العقد والبعض الأخر من الصليبين رأى ان إجلاء دمياط رهان فاشل لعدم الثقة في التزام المسلمين بعهودهم خاصة في حفظ أرواح اسرى الصليبيين ، ورغم ذلك فكانت إرهاصات تطبيق المعاهدة بحذافيرها قائما بعد مبادرة الأسبقية التي قامت بها زوجة لويس وأشقائه من أجل فداء الملك من الأسر الذي أصبح غايتهم الأولى.[3]

أقدمت الملكة **مارغريت بروفانس** زوجة الملك لويس التي كانت مقيمة في دمياط في فترة احتلال الصلبيين[4] على بذل جهدا كبيرا في جمع نصف أموال فدية زوجها المقررة في اقصى وقت ممكن وجهزتها لدفعها بعد أيام من التفاوض ، كما أن تنفيذ الاتفاقية لم يطبق

---

[1]- **ابن أياس** ، بدائع الزهور ،ج1 ص 278-279 ،**القلقشندي**، صبح الأعشى ج1 ص440

[2]- **محمد سهيل طقوش**، تاريخ الحروب الصليبية (حروب الفرنجة في المشرق)،دار النفائس،ط1،بيروت 2011 ص 233-234

[3]- **المقريزي** ، السلوك ج1 ص 366

[4]- ذكرت المصادر الغربية انه بعد ان تم الاتفاق على شروط الصلح بين الطرفين تم نقل الملك لويس التاسع واتباعه من كبار البارونات من منطقة المنصورة إلى منطقة فار سكور المحصنة حيث مقر إقامة تورا نشاه كأجراء امني تحسبا لأي ردة فعل لهجوم الصليبي متوقع ،انظر ،**جوانفيل ، القديس لويس ص 149**

مباشرة بعد التوقيع ،بسبب تخصيص وقت لمراسلة واستشارة البابوية ملوك أوروبا في مبلغ فدية الملك الباهظة حسب أراء المؤرخين[1]

ج –تقويم سياسة توران شاه تجاه الصليبيين:

اتبع الملك المعظم **تورا نشاه** سياسة مفاوضاته بالشدة والضغط على الصليبيين نتيجة تحكمه في الوضع ، بحكم أن ملكهم كان من ضمن أسراه ،ورغم نجاحه في دحر الحملة السابعة عن مصر وإجلاء دمياط ، إلا أنه فشل في الاستجابة للتحديات التي تفرضها الظروف التاريخية والتي كانت في صالحه المتمثلة في تكريس جهوده لتوحيد المسلمين للقضاء على الخطر الصليبي من جهة ، مكتفيا بالأنتصار الذي حققه، ومن الجانب الثاني لم يكمل مسار مفاوضاته الدبلوماسية ، مع الصليبين حيث أن أغلب بنود معاهدة الصلح تضمنت الجانب المادي لفداء الأسرى وتحرير دمياط فقط ، ولم يفرض ضغطه في إخلاء المناطق التي كان تحت سيطرة الصليبين في الساحل الشامي وهذا لقلة خبرته السياسية وحداثته في الحكم.[2]

د – نهاية توران شاه:

بعد انتهاء الحملة السابعة إطمئن تورا نشاه من ناحية الصليبيين خاصة بتوقيع معاهدة الصلح وفداء الأسرى ، اتجه إلى تنظيم أمور دولته ، حيث إنتهج سياسة جاحفة ضد من كان لهم الفضل في جلبه من حصن كيفا وتحقيق النجاح في بداية حكمه وفي من حافظوا على ملكه ألا وهم المماليك ،الذي أساء معاملتهم بدأ من أمراء أبيه وزوجته وأقصاهم من مناصبهم في السلطة، وقد أجمع فيه المؤرخون بسوء الخلق وجهله بشئون الحكم والسياسة ، وهذا ما أكده المؤرخ الدكتور قاسم عبد قاسم حيث وصفه بالإخفاق الجديد للدولة الأيوبية والممهد لنهايتها استقر رأي المماليك على التخلص من (تورا نشاه) فلقي مصرعه على أيديهم في 20محرم سنة 648 ه الموافق 19 مايو 1950. [3]

---

[1]- **قاسم عبده قاسم** ،في تاريخ الايوبيين والمماليك ص 132-133

[2]- **احمد مختار العبادي** ،في تاريخ الأيوبيين والمماليك ،دار النهضة العربية ،بيروت 1995 ص 29-93

[3]- **حصن كيفا :** يقال لها كيبا في أرمينية وهي بلدة وقلعة تتواجد على مشارف دجلة بين امد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر انظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج 2 ص 265

الفصل الثاني :الدبلوماسية بين المماليك والصليبيين

(648ه-658ه/ 1250م-1260م) .

❖ **المبحث الأولى:** ظهور المماليك والصليبيين في المشرق الإسلامي.

❖ **المبحث الثاني:** مفاوضات الصلح وفداء الأسرى بين شجر الدر والصليبيين (648هـ/1250م).

❖ **المبحث الثالث :**مشروع التحالف المملوكي الصليبي في عهد المعز آيبك.(648ه-655ه/1250م-1259م).

❖ **المبحث الرابع :** محايدة صليبي عكا في عهد المظفر قطز (657 ه-658ه/1259م-1260م).

- المبحث الأول : ظهور المماليك والصليبيين في المشرق الإسلامي.
- المطلب الأول: المماليك في المشرق الإسلامي.
- المطلب الثاني : الصليبيون في المشرق الإسلامي.
- المطلب الثالث : العوامل المؤدية للتواصل الدبلوماسي الصليبي مع المسلمين.
- المطلب الرابع : نماذج من التواصل الدبلوماسي الصليبي -الإسلامي في المشرق.

المبحث الأول : ظهور المماليك والصليبيين في المشرق الإسلامي:

المطلب الأول: المماليك في المشرق الإسلامي :

أ- المماليك الأصل والموطن :

المملوك جمعه مماليك ، وهو العبد الذي سبي ولم يملك أبواه ، والعبد القن هو الذي ملك هو وأبواه ، والمملوك عبد يباع ويشترى ، ولقد اقتصر هد الاسم في التاريخ الإسلامي ، على الرقيق الأبيض الذين يتم استرقاقهم منذ ان يكونوا صغار بعد فصلهم عن عائلتهم[1] .

تعود أصولهم إلى عناصر مختلفة من الترك والمغول والصقالبة والإسبان والألمان والتتار ، و الشراكسة وغيرهم من العبيد البيض المجلوبين من بلاد القبجاق[2] ، وتعتبر القوقاز والقبجاق والخرز والمناطق المطلة على البحر الأسود هي موطنهم الأصلي ، وقد أجمع المؤرخون على أن أتراك القبجاق تميزوا عن غيرهم من الطوائف الأخرى من خلال مواصفات تتمثل في حسن الطلعة وجمال الشكل وقوة البأس، فضلا عن الشجاعة النادرة.[3]

اشتهرت مدن سمرقند، فرغانة ، الشاش ، خوارزم [4]وبلاد ما وراء النهر من اهم المراكز الرئيسية لتصدير الرقيق الأبيض ذوي الأصول التركية ، فيتم جلبهم عن طريق المنح والهدايا ،الحرب والأسر ومنهم من يباع عن طريق آبائهم لضنك المعيشة بعد ان يتوعدوهم مشتروهم بحياة ترف وحسن تربية في الشرق خاصة مصر.[5]

---

[1]- **ابن منظور ، لسان العرب ، ج5 ص528**

[2]- **بلاد القبجاق** أو بلاد القبشاك وهو إقليم في حوض نهر الفولغا شمالي البحر الأسود والقوقاز ،سكانها من اصل تركي ،اشتهروا بالبداوة والفروسية ،تعتبر بلادهم مركزا مهما لتجارة الرقيق الأبيض من الترك ، **انظر القلقشندي صبح الأعشى ج 4 ص 458**

[3]- **ابن ثغري بردي** ، النجوم الزاهرة ج4 117-118

[4]- **عبده قاسم عبده**، في تاريخ الأيوبيين والمماليك ص 154

[5]- **أبو الفداء** ، المختصر في أخبار البشر ج3 ص 181

ب- المماليك في البلاد الإسلامية:

تعتبر الخلافة العباسية السباقة إلى جلب العنصر المملوكي إلى الأراضي الإسلامية ،وذلك لعدم ثقة العباسيين الأوائل في العنصر الفارسي الذي أصبح يشكل خطرا على حكمهم ،وقد أتضح جليا في عصر الخليفة المأمون 198ه-218ه /813م-833م والمعتصم218ه-227ه/833م- 842م هذا الأخير استكثرهم وزاد في عددهم ، وبدأ في الاعتماد على هذا العنصر التركي في الدواوين ، وقد ذكر السيوطي[1] أن المعتصم (هو أول خليفة ادخل الأتراك الديوان ، وكان يتشبه بملوك الأعاجم ..وبلغ غلمانه بضعة عشر ألفا ...).

سارت بعض الدويلات الإسلامية في المشرق الإسلامي على نفس نهج الخلفاء العباسيين في استخدام هذا العنصر البشري[2] وفي مقدمتهم الدولة السلجوقية التي إعتمدت على هذه العناصر التركية رغم تقاربهم في الأصل ، حيث زادت نفوذهم على يد الوزير السلجوقي نظام الملك في عهدي السلطانين ألب أرسلان 456ه-465ه/1064م-1072م و ملكشاه 465ه-485/1072م-1092م الذي اتخذ سياسة نامة في توزيعهم في الدوائر الحكومية و أمن القصور السلطانية .[3]

كما سلك الغز نويين و الغوريين و الصفاريين نفس الدرب حيث عملوا على شرائهم واستخدامهم لتقوية سلطتهم انتهجت الدولة الطولونية بمصر في ولاية الأمير احمد بن طولون254-270ه/868م-884م[4] إستخدام العنصر التركي في الجانب العسكري ، حيث رجح أغلب المؤرخين انه أول من جلب المماليك الترك إلى الديار المصرية وأزداد من شرائهم حتى بلغ عددهم أربعة وعشرون الف مملوك .[5]

---

[1]- ، **انظر** تاريخ الخلفاء ،ج1 ص 287
[2]- **ابن كثير** ، البداية والنهاية ج10 ص 266-267
[3]- **ابن الأثير** ، الكامل في التاريخ ، ج6 ص 96-97
[4]- **محمد سهيل طقوش** ، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام ص 22
[5]- **ابن ثغري بردي** ، النجوم ج3 ص 256، **المقريزي** ، السلوك ج2 ص 177**ابن أياس**، بدائع الزهور ج 5 ص 142

أقدمت الدولة الإخشيدية 323ه-935/357م-968م [1]كذلك على الاستفادة من المماليك الترك حيث تؤكد المصادر التاريخية [2]ان الأمير محمد بن طفج الإخشيد323ه-334ه/935-946م امتلك ثمانية الأف مملوك في مدة ولايته ، كما عمد الخليفة العزيز بالله في الدولة الفاطمية على استعمالهم في الوظائف العامة والقيادية حيث ولى مملوكه منجو تكين التركي قيادة الجيش ، واستكثر نور الدين محمود541ه-569ه/1146-1171م من شرائهم ليكونوا غالبية الجيش في الدولة الز نكية، كما أن المماليك لم تتخذ إسما شرعيا مما ذكر من العهود التي تعاقبت عليها فأكتفت كعناصر تابعة لجيش تلك الدولة ،وحتى وأن سميت فهناك استثناءات قليلة فقد ذكر أبو شامة أن المماليك النورية اتخذ تسميتها نسبة للأمير نور الدين محمود الزنكي.[3]

تواصل ظهور المماليك في العالم الإسلامي حتى في العصر الأيوبي بعد ما أشتدت الخلافات والصراعات الأسرية بينهم فكانت سببا دافعا في الإكثار من شراءهم وجلبهم[4] حيث حرص كل أمير أو سلطان أيوبي أن يكون له عصبة خاصة سندا وعونا له، يعتمد عليها في الإبقاء على إمارته وتحقيق أغراضه التوسعية على حساب الأمراء الأخرين ، فكان السلطان الأيوبي الصالح نجم الدين أيوب خير نموذج في الاعتناء والأشراف على هاته الفئة الذي أنشأها بمصر، وذلك بعد أن هدد بزوال ملكه وفقد الثقة في أتباعه من الخوارزميون الذي كان يشكلون معظم جيشه ولم يلبث أن بقي معه سوى مماليكه كسند له ، فسماهم البحرية لسكنهم في قلعة الروضة على بحر النيل.[5]

---

[1]- **محمد سهيل طقوش** ،تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام ص 24

[2] - **ابن واصل** ، مفرج الكروب ج 4 ص 244 **ابن ثغري بردي** ، النجوم الزاهرة ج6 ص 122 **ابن أياس** ، بدائع الزهور ،ج1 ص 278

[3]- **انظر** الروضتين في اخبار الدولتين ،ج1 ص 28،24

[4]- **عاشور سعيد عبد الفتاح** ، مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك ،دار النهضة العربية ،بيروت 1972 ص 152-153

[5]-**المقريزي**، السلوك لمعرفة دول الملوك ،ج2 ص 637

ج – السمات السياسية لدولة المماليك:

تميز عصر دولة المماليك بالصفات والمقومات السياسية تمثلت في:

1-عاصمة السلطنة المملوكية هي القاهرة امتدت حدود دولتهم شمالا حتى طرطوس وملطية وحلب ، وشرقا حتى الفرات ، وجنوبا من شمالي الحديدة حتى جنوب مصر ، وامتدت حدودها الغربية على ساحل البحر الشامي من دمياط و الرشيد حتى برقة[1]

2-يعد المماليك منظمة عسكرية ، حيث أفرادها من رجال السلطة والفئة الحاكمة كانوا من الضباط ،أما السلطة الفعلية فهي بيد السلطان التي يستند شرعيا إلى الخليفة وعسكريا إلى الجيش الذي تربطه معه روابط قوية فهو أساس الحكم الحقيقي[2]

3-كان مركز بلاط المماليك هي القلعة في القاهرة ، وتعرف بقلعة الجبل لوقوعها على جبل المقطم التي بناها الأيوبيين وكان مقرا رسميا لسلاطينهم ، وقد سار سلاطين المماليك على سنتهم وجعلوها مقرا لهم على الرغم من انهم كانوا يسكنون أصلا في قلعة أخرى في جزيرة الروضة على النيل كما اتصفوا بعدة مزايا أعطتهم خصوصية على المجتمع المصري حيث اشتهروا بالفروسية والجدية ، وكان السبيل الذي يربطهم بالمجتمع هم رجال الدين.[3]

4-استأثر المماليك بالحكم وشؤون الحرب ولم يخلوا للأهالي بالمشاركة في أمور الحرب والسياسة لانهم غير قادرين عليها حسب نظرتهم. [4]

5-بلغت أهميتهم أيضا قبيل نشأة دولتهم وبعدها بدورهم البارز في مواجهة الصلبيين والمغول حربا وسلما والمحافظة على كيان الدولة الإسلامية شعارا وقوة. [5]

---

[1]- **ابن آيبك** ،كنز الدرر وجامع الغرر ،ج8 ص30 ، **ابن كثير** ، البداية والنهاية ج13 ص 225

[2]- **احمد مختار العبادي**، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ،دار النهضة العربية ،بيروت 1986 ص 117

[3]- **قاسم عبده قاسم** ،عصر سلاطين المماليك ،دار الشروق ، القاهرة 1994 ص 7-8

[4]- **صفوان طه حسن** ، تاريخ الأيوبيين والمماليك ،دار الفكر، ط 1 ،عمان 2010 ص 138-139

[5]- **ابن واصل** ، مفرج الكروب ج2 ص 368، **ابن ثغري بردي** ، النجوم الزاهرة ج6 ص 46

المطلب الثاني : الصليبيون في المشرق الإسلامي :

أ- الصليبيين أصل التسمية والموطن :

إن أصل تسمية الصلبيين أو الحركة الصليبية ظهر في أواخر القرن الثاني عشر للميلاد المستوحاة من الكلمة اللاتينية (**crucesignati**) ومعناها الموسوم بالصليب ، والتي تعبر عن المسيحيين القادمين من الغرب الذين كانوا يخيطون صلبان القماش على ستراتهم [1]، ولم يحدث هذا المصطلح حتى أوائل القرن الثالث عشر ميلادي ويذكر مؤرخو القرون الوسطى أيضا أن تسميتهم في الحملة الصليبية الأولى أخذ عدة مصطلحات منها حجاج بيت المقدس أو حملة الصليب expeditio curcis أو رجال مشروع يسوع المسيح. [2]

وقد أيد المؤرخون العرب المصادر الغربية في اصل مصطلح التسمية حيث اطلق على عامة الفرسان والجنود الأوربيون الذين شاركوا في الحملات والحروب تحت شعار الصليب في المشرق بهدف الاستيلاء على الأراضي المقدسة كبيت المقدس وتميزوا بالصلبان المطروزة على البستهم في الصدر والكتف باللون الأحمر. [3]

وقد عرفهم المؤرخ سعيد عاشور عبد الفتاح على انهم من جموع المسيحيين الغربيين الكاثوليك الذين خرجوا من بلادهم في شتى أنحاء الغرب الأوروبي واتخذوا الصليب شعارا لغزو ديار الإسلام وخاصة من منطقة الشرق الأدنى وبلاد الشام ،حيث الأراضي المقدسة . [4]

[1]- **قاسم عبده قاسم** ، ماهية الحروب الصليبية ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، القاهرة 1993 ص 14
[2]- **عزيز سوريال عطية** ، الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب ،دار الجيل للطباعة ، القاهرة (د.ت) ص7
[3]- **أبو شامة** ،ذيل الروضتين ج3 ص 125 **محمد سهيل طقوش** ، تاريخ الحروب الصليبية ،ص 13-14
[4]- **الحركة الصليبية، ج1 ص 95**

المطلب الثالث –العوامل المؤدية للتواصل الدبلوماسي الصليبي مع المسلمين :

أرغمت العديد من العوامل إلى التجاء الصليبيين لاستعمال الدبلوماسية والدخول في العلاقات السلمية مع المسلمين بعد الحملة الصليبية الأولى وقد تمحورت في عدة دوافع منها:

1-طبيعة الرقعة الجغرافية :

من المؤكد أن اغلب المناطق التي احتلها الصليبيون التي أقاموا عليها أماراتهم في المشرق الإسلامي ، وبالخصوص الشام كانت معظمها يربطها شريط ساحلي ضيق، تأسست به أمارات بيت المقدس والرها وطرابلس وانطاكية ، وقد قامت هاته الأمارات على أمام متسع من البلاد الإسلامية التي أحاطت بها والتي ظلت محافظة على إسلامها في صورة عدة مدن مثل حلب وبعلبك وحماة وحمص ودمشق وفضلا عن مصر والتي لم تكن تبعد سوى مسيرة يوم واحد الذي يفرض الجوار المباشر والحدود المشتركة .[1]

2- القلة العددية للصليبيين:

منذ استقرار الصليبيين بالشرق لوحظ انهم اقل عددا من حيث الكثافة السكانية مقارنة بالمسلمين فكانوا بالتالي أقلية مهددة مع مرور الوقت لانتفاضة جهادية من طرف المسلمين لتحرير أوطانهم [2].

يرجع النقص العددي للفرنج في المشرق رغم استحواذهم على حكم أمارتهم الجديدة في الساحل الشامي في أن أغلب المشتركين في الحملة الصليبية الأولى ،[3] وغيرها من الحملات عادوا أدراجهم إلى أوطانهم في الغرب بعد أن وفوا بعهدهم أمام الكنيسة من

[1]- **عمر كمال توفيق** ، المرجع السابق ص 77-78
[2] - **ر نسيمان** ، تاريخ الحملات الصليبية ج2 ص 498،
[3]- **جوناثان رايلي سميث** ، الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية ترجمة محمد فتحي الشاعر ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة 1999 ص 112-113

خلال محاربة المسلمين وتحقيق **الاستيلاء على بيت** المقدس ومن هنا يصبح عامل الاحتكاك الودي والسلمي ضروريا تجنبا لرد فعل لحروب متوقعة أو انتفاضة شعبية ضدهم.[1]

وفضلا أن القلة النسبية في عددهم في الشام فقد كانت إماراتهم غير متجانسة في عناصرها السكانية وبالتالي احتكت بأخلاط بشرية مختلفة من عرب وأرمن ويهود فكان التواصل وإقامة علاقات ودية مع المجتمع الذي يقطنونه ،خاصة الفئة التي تتبع الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية أمرا حتميا.[2]

3-النظم السياسية المتبعة للإمارات الصليبية :

من المعلوم أن الصليبيين في المشرق اعتمدوا على النظام الملكي الإقطاعي المتبع في أوروبا وفي ظل سيرهم على هذا المنهاج وقلتهم العددية كانت جميع المؤشرات ترشح الكفة لصالح المسلمين مستقبلا خاصة أن هاته النظم تسببت في تمزيق صفوف الصلبيين [3].

ما يعرف أيضا أن الإمارات الصليبية تراستها ملكية لم تتمتع هاته الأخيرة بسلطة مركزية قوية، حيث كانت ملكية إقطاعية تحد من سلطتها عدة هيئات داخلية المتمثلة في الكنيسة وما تتطلبه من امتيازات وحقوق ، إضافة إلى الجماعات الرهبانية المحاربة في صورة الإسبتارية والداوية إضافة المدن التجارية مثل قومونات البندقية والبروفنسالية التي استفادت أيضا من امتيازات في الإمارات الصليبية في بلاد الشام.[4]

وقد تولد من كل هذا ضعف نسبي في النظام الإقطاعي الملكي ترتب عنه حدة سلطة الملك بداخل دولته وعدم التصرف في ثروته، الأمر الذي تسبب في التباين مع أصحاب النفوذ المذكورة في اتخاذ القرارات التي تعود للمصلحة الصليبية العامة في المنطقة وقد

[1]- **كاهن كلود** .الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة احمد الشيخ ،ط1، القاهرة ، 1995 ص
[2]- **سعيد عبد الفتاح عاشور** ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، بيروت 1976ص 30-
[3]- **ميخائيل زابوروف** ، الصليبيون في الشرق ، ترجمة ألياس شاهين ،دار التقدم ،موسكو 1986 ص 131
[4]- **قاسم عبده قاسم** ، ماهية الحروب الصليبية ، ص 55

خلق من جراء ذلك صعوبات في مواجهة المسلمين خاصة بعد الصحوة الإسلامية التي كانت بدايتها من مودود وبرسقي ووصولا للزنكيين ثم الأيوبيين وما نتج عنها لجوء بعض ملوك الإمارات الصليبية في كل مرة لعقد الهدنة والسلام.[1]

4-عامل التأقلم :

في ظل ما ذكرناه سابقا عن الرقعة الجغرافية والقلة العددية للصلبيين في الشرق والتي كانتا من الدوافع المؤدية إلى الاحتكاك ومسالمة المسلمين القاطنين بالمنطقة ،فقد ندرج عامل أخر وهو التأقلم ، حيث أشار المؤرخ الصليبي فوشيه الشارتري[2] أن مدة ربع قرن من الزمن كانت كافية للتعود والتأقلم في ارض الشام[3] .

ظهر التحول الصليبي في الطباع والاندماج مع المجتمع الشرقي في عدة جوانب منها اللغات المستعملة بين الطرفين الصليبي والمسلم فتبادل الألفاظ والمصطلحات أصبحت مفهومة ومتداولة مع مرور الوقت ، كما ظهرت أيضا اختلافات في الطبائع والمصالح بين صليبي الشرق القاطنين بالشام وصليبي الغرب القادمين مع الحملات الصليبية [4]،وقد كان لها تأثير في التعامل ، وبالتالي نستطيع القول أن طول مدة الاستقرار أفرزت مؤشرا واقعيا وهو التفاهم والتعايش السلمي مع سكان المنطقة خاصة المسلمين وفق ما تقتضيه مصالح الصليبيين في ذلك في موطنهم الجديد[5].

---

[1]- سعيد **عبد الفتاح عاشور** ، الحركة الصليبية ج 1 ص 179

[2] **فوشيه الشارتري**، تاريخ الحملة الى القدس ، ترجمة وتحقيق زياد العسلي ،دار الشروق للنشر،ط1، بيروت 1990 ص 142

[3]- **عمر كمال توفيق** ، مرجع سابق ص 87

[4]- **را نسيمان** ، تاريخ الحملات الصلبية ج 2 ص 54

[5]- **سعيد عاشور عبد الفتاح** ـ الحركة الصليبية ،ج 1 ص 186

5-نقص المساعدات من الغرب :

ركزت البابوية وملوك أوروبا في بداية الحملات الأولى على تثبيت الإمارات الصليبية وتقوية نفوذها في ارض الشام من خلال الدعم والمدد العسكري القادم من الغرب للإسهام في للدفاع عن كيان ممالكهم الجديدة، ومع مرور الزمن بدأت المساعدات من الغرب تسجل تناقص ملحوظ خاصة من جانب المحاربين وقد كان ذلك سببا من الأسباب في دفعت إلى وجود تباين بين فرنجة الغرب الوافدين الجدد وفرنجة الشرق المستقرين في الشام الذي دفعهم باتخاذ أسلوب أخر للحفاظ على إماراتهم واستقرارهم ألا هو التواصل السلمي مع المسلمين [1].

المطلب الرابع : نماذج من التواصل الدبلوماسي الصليبي -الإسلامي في المشرق :

أن الاتصالات الدبلوماسية للصلبيين قد بدأت منذ باكورة اجتياحهم [2]الساحل الشامي وقد بدت مراسيمها في الظهور بعد الحملة الصليبية الأولى، حيث يلاحظ أن الصليبيين عند دخولهم بلاد الشام كان شغلهم الشاغل هو الحيلولة دون توحيد المسلمين على شكل جبهة قوية ضدهم حتى يسهل عليهم أضعافهم بالطرق الحربية والسلمية. [3]

تعد المبادرة الفاطمية هي أول نموذج تمهيدي لتدوين السجل الدبلوماسي الصليبي في بلاد المشرق حيث عمل الوزير الأفضل على عقد تحالف مع الصليبيين بأرسال سفارة تقرب دبلوماسية محملة بالهدايا والنفائس إلى قادتهم و التي كان مضمونها التحالف ضد السلاجقة وتقاسم بلاد الشام وقد سهل بذلك للصليبيين الدخول في المضمار دون أسبقية، لما يوافق مصالحهم واستقرارهم في المنطقة. [4]

---

[1]- **قاسم عبده قاسم** ، ماهية الحروب الصليبية ص 68

[2] - **عمر توفيق كمال** ، المرجع السابق ص 115-116

[3]- **فوشيه الشارتري** المرجع السابق ، ص 46-47

[4]- **محمد سهيل طقوش** تاريخ الفاطميين في شمال إفريقية ومصر وبلاد الشام ،دار النفائس ،ط 2، بيروت 2007 ص 427

وما يلاحظ أن السياسة الدبلوماسية للصليبين مع الفاطميين اتصفت بالحكمة وبعد النظر خاصة في اقتسام الشام حيث لم يرفضوا ولم يقبلوا، وتركوا الأمر للفاطميين في البث بما تقرره أحداث المستقبل ،كما استغلوا العامل الودي والسلمي في التواصل مع الفاطميين ، والذي سمح للصليبيين باكتشاف بيت القدس، والتي كانت تمهيدا للاستيلاء عليها من خلال الاتفاقيات التي عقدت بخصوص زيارات الحجاج المسيحيين القادمين من الغرب المخفيين بقناع نبلاء و أمراء عسكريين تحت الحماية الفاطمية ، والتي فتحت أبواب التجسس وهو شكل من أشكال العمل الدبلوماسي ولم تلبث أن سقطت القدس في أيديهم بعد حين. [1].

من نماذج النشاط الدبلوماسي للصلبيين أيضا في فترة استقرارهم في الشام ،هو توقيع هدنة الصلح سنة 521 ه/1127 من طرف جوسلين الثاني أمير الرها مع عماد الدين الزنكي لمدة سنتين حيث تمت على ما اختاره عماد الدين الزنكي من شروط التي تخدمه في تلك الفترة و الذي كان يحتاج وقت لضم حلب إلى أملاكه واتخاذها نقطة انطلاق لتحرير الشام [2].

أما الجانب الصليبي فكان هدفه من هاته الهدنة تأمين حدوده ، وإبعاد الخطر الزنكي لفترة مؤقتة وانشغاله بالمشاكل الداخلية خاصة في قضية تعطل الإمدادات التي تأتي من الغرب من ملوك أوروبا والبابوية. [3]

ولعل من أهم الصور التي أخذت طابعا خاصا في فن الدبلوماسية هي تلك المعاهدات التي دار فيها أسلوب الحوار السلمي، في صورة المفاوضات المتكررة وتعدد السفارات وتبادل للمراسلات حتى انتهائها [4]ألا وهي المعاهدة التاريخية التي عرفت بصلح الرملة ،والتي عقدت بتاريخ 22 شعبان 588 الموافق 02 سبتمبر 1192 م بين ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا والسلطان صلاح الدين الأيوبية نهاية الحملة الصليبية الثالثة على أراضي الشرق الإسلامي.

---

[1]- **ابن الأثير** ، الكامل في التاريخ ،ج8 ص 416

[2]- **القلقشندي** ، صبح الأعشى ج 1 ص 135

[3]- **وليم الصوري** ، الحروب الصليبية ،ج 2 ص 110

[4]- **اشرف صالح محمد سيد**، الدبلوماسية الأيوبية الصليبية 1191-1196، شركة الكتاب العربي ، لبنان 2008 ص 28

- **المبحث الثاني** : مفاوضات الصلح وفداء الأسرى بين شجر الدر الصليبيين
- **المطلب الأول:** سلطنة شجر الدر على المماليك
- **المطلب الثاني :** تجديد مفاوضات الصلح
- **المطلب الثالث:** معاهدة الصلح والفداء
- **المطلب الرابع:** حصيلة البداية الدبلوماسية بين شجر الدر والصليبيين

المبحث الثاني : مفاوضات الصلح وفداء الأسرى بين شجر الدر والصليبيين: (648ه/1250م)

المطلب الأول: سلطنة شجر الدر على المماليك:

لم تكن الأوضاع مهيأة بعد مقتل تورا نشاه أخر السلاطين الأيوبيين على مصر في أن يتولى أحد المماليك منصب السلطة [1]، وبعد أن أجمع الأمراء وأعيان الدولة وأصحاب المشورة في رأيهم قرروا تتويج شجرة الدر أرملة سلطانهم الصالح أيوب ملكة على مصر الذي كان له الفضل في منشئهم شرعيا، وكدليل أحترام للأسرة الأيوبية والإخلاص لها والظهور أمام الرعية بعدم التمرد على الأسرة الحاكمة [2].

.لعبت شجر الدر دورا فعالا بعد وفاة زوجها في تصريف أمور الدولة ،حيث كانت على دراية بأمور الحكم ، إضافة إلى صمودها في الوقت العصيب، والمتمثل في الحصار الصليبي الذي تزعمه لويس التاسع للاستيلاء على الأراضي المصرية وهذا ما أهلها لتكون الخلف المناسب لهاته الفترة. [3]

تم تنصيب سلطانة مصر الجديدة [4] بمبايعتها في أوائل صفر 648 ه /20 ماي 1250م ،حيث أصبحت جسر وصول المماليك إلى الحكم ، والتي اعتبرها المؤرخون أنها أول من ملك مصر من ملوك الترك المماليك ، وقد عرفت بشخصيتها القوية وشدة بأسها وحنكتها السياسية.[5]

---

[1]- **المقريزي** ، السلوك لمعرفة دول الملوك ج 1 ص361-362، **العيني**، عقد الجمان ج1 ص 17-18

[2]- **السيوطي ،حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ص 34 ، سبط ابن الجوزي ،مرأة الزمان ج1 ص 774**

[3]- **عزمي عبد محمد أبو عليان** ،مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصلبيين في عهد المماليك دار النفائس، الأردن ،1994 ص 13

[4]- **شجرة الدر:** وجود اختلاف في أراء المؤرخين من جانب الأصل فمنهم من يرى بانها أرمينية و والبعض يراها من اصل تركي ،اشتراها السلطان الصالح أيوب فكانت من جواريه وصارت حظية أي المقربة أليه ، ليعتقها بعد ذلك ويتزوجها فأنجبت له ولد سمي بالخليل عرفت بالحنكة السياسية والدهاء والحكمة وإدارة الحكم في مصر في اصعب ،الظروف ،تصنف بانها أول امرأة في الإسلام تولت حكم دولة ، اتخذ لها لقب سلطاني تحت اسم الملكة عصمة الدين ام الخليل، وفي رواية أخرى لقبت ام خليل المستعصمية الصالحية نسبة للخليفة العباسي المستعصم بالله لقت مصرعها على يد مماليك آيبك انظر **المقريزي السلوك** ج1 ص 365 ، - **ابن أياس**، بدائع الزهور ج3 ص 113،114

[5] - **ابن واصل** ، مفرج الكروب ،ج2 ص 392

مهد تأسيس دولة المماليك وتتويج شجرة الدر بالحكم إلى انعدام استقرار الوضع السياسي وحتمية الظروف الصعبة ، التي أرغمت بظهور أول عمل دبلوماسي لهاته الدولة الحديثة النشأة ، فكانت بداية الانطلاقة في مواصلة المفاوضات مع الصليبيين [1]، من خلال مخلفات الحملة السابعة العالقة والتي أفرزت نتيجتها بالفشل واسر الملك لويس التاسع ، والتي باشرها السلطان الأيوبي تورا نشاه مسبقا قبل مصرعه، حيث لم تأخذ هاته الاتفاقيات رغم التفاوض والقبول المبدئي ، الصيغة النهائية لإتمامها[2].

_المطلب الثاني : تجديد مفاوضات الصلح:

بادر الصليبيون في البداية بأرسال سفارة من دمياط مكان تواجد معسكرهم يترأسها (البطريرك روبرت) إلى فار سكور معسكر المسلمين بتاريخ أواخر صفر 648ه/ماي 1250 م من طرف الملكة **مارغريت بر وفانس** [3]زوجة الملك لويس وفق مبدأ عهد الأمان الموقع من طرف السلطان الأيوبي السابق **توران شاه** لإتمام الإجراءات المتعلقة بفدية الملك لويس و الأسرى الصليبيين ، ولكن شاءت الظروف أن تتأجل المفاوضات لغياب التمثيل الدبلوماسي الأول الذي حضر في البداية من جانب المسلمين .[4]

من خلال هاته الظروف السائدة التي لا تخدم الصليبيين قام مبعوث الملكة بوقف الحوار مباشرة خاصة بعد علمه بموت السلطان حيث راء دريعة تتمثل في عدم استكمال شروط التفاوض المتفق عليه سابقا لغياب الشرعية السياسية في نظر الممثل الصليبي ،وربما كانت دوافع خفية من طرفه في استغلال الظرف الغير المستقر بالنسبة للمسلمين[5].

---

[1]- **السيوطي** ، حسن المحاضرة ج2 ص 36، 58،

[2]- **سعدون عباس نصر الله** ، رحيل الصليبيين عن الشرق في العصور الوسطى ،دار النهضة العربية ،بيروت 1995 ص 43

[3]- **الملكة مارجريت بروفانس** هي ملكة عرش فرنسا زوجة الملك لويس التاسع أصرت ان ترافق زوجها وهي حامل في حملته على مصر بعد شفائه من مرض الملاريا ، توجت على العرش1243/640،انجبت ولي العرش في مدينة دمياط بعد احتلالها وسمته (يوحنا الحزين)،حسرة على اسر زوجها توفيت سنة 656 /1295 م **انظر رنسيمان ، الحروب الصليبية** ج 3 ص 440

[4]- **أبو الفداء**، المختصر في أخبار البشر ج 3 ص 181-182

[5]- **ابن كثير** ، البداية والنهاية ج 17 ص 353

كان هدف الصليبيين استغلال الوضع وصياغة بنود جديدة في الإتفاقية تتعلق بتخفيض مبلغ الفدية من جهة ،وعدم التفريط في دمياط بعد إصرار الصليبيين في الاستحواذ عليها وعدم الخروج منها ، أما عن موقف المماليك فكان ردهم بعدم الاعتراف بمفاوضات توران شاه و التي أصبحت في نظرهم من الماضي ، وتشير المصادر أن المبعوث الصليبي تم اعتقاله وأصبح من الأسرى[1].

أعادت شجرة الدر بعث المفاوضات من جديد مع لويس التاسع التي بدأها توران شاه ، حيث كانت تهدف بوضع باتفاق نهائي مع الصليبين بشأن فدية الأسير لويس التاسع وذلك تحسبا للأوضاع الغير المستقرة رغم هزيمة الصليبيين ، وإلزامية تحرير دمياط من أيديهم ، وخشية وصول إمدادات صليبية من وراء البحر في هذا الوقت الغير المناسب [2] . أختير الأمير حسام الدين محمد بن علي الهذباني [3]كمفوض دبلوماسي للطرف المملوكي ، لاستئناف الحوار والمباحثات مع الطرف الصليبي ، نظرا لما يمتلكه من خبرة سياسية ، وتقلده عدة مناصب مسؤوليات وملازمته البلاط الملكي في عهد الصالح أيوب ، حيث كان صاحب مشورة ورأي لرجاحة عقله ودهائه ، أما الجانب الصليبي فقد مثل منتدبي الملك الأسير لويس التاسع ، الأمير وليام صاحب الأراضي المنخفضة المعروفة بهولندا حاليا ، وتابعيه الكونت جودفري سارجين ،وجون سواسون وشقيقه جي دبلين[4]

1- **ابن واصل** ،مفرج الكروب ،ج 2 ص 122، ، **أبو الفداء** ، المختصر ج2 ص287 ، **المقريزي السلوك ج1ص 455**

2- **سعدون عباس نصر الله** ، رحيل الصليبيين عن الشرق في العصور الوسطى 1995 ص 43

3-- **حسام الدين الهذباني** يعتبر من الرجال السياسيين والمدبرين في البيت الأيوبي ،عمل في بلاط الصالح إسماعيل الأيوبي بدمشق ، وقد تعرض من طرفه إلى الإقصاء والمضايقة ، مما دفعه إلى الخروج من طاعته والتوجه إلى مصر حيث استضافه الصالح أيوب واكرمه بمناصب وزارية واصبح من احد رجال الدولة المهمين في بلاط السلطان نجم الدين أيوب **انظر المقريزي** ، السلوك ج1 ص 362

4- **جوا نفيل** ، القديس لويس وحملاته على الشام ص 178-179

المطلب الثالث: معاهدة الصلح والفداء :

حدد مكان انعقاد المفاوضات بمنطقة **فار سكور** في 30محرم 648/ 3 يوليو 1250 م ، حيث جرى الاجتماع في خيمة الضيافة بمعسكر المماليك ،بحضور المفاوضين وقد دارت المحادثات حول تجديد شروط الهدنة والتسليم والفدية والإجلاء في ظروف حسنة أرضت الطرفين حيث اتسمت بالحوار المطلق مع السيطرة المملوكية في فرض الشروط بفضل دبلوماسية الهذباني الذي استطاع التأثير على المفوضين الصليبيين وإخضاعهم للموافقة على البنود المحددة . [1]

تشير المصادر التاريخية [2]ان حسام الدين كان له حوار مباشر مع الملك لويس التاسع قبل جلوسه على طاولة المفاوضات المبرمجة، أما الجانب الصليبي لم يستطيع المناورة خاصة في فداء ملكهم الأسير وقبلوا بالشروط ، وما يميز هاته المفاوضات أيضا ان اغلب بنود الاتفاق التي تمت المصادقة عليها في عهد **توران شاه** تتغير رغم تغير الدولة وحكامها وهذا ما يؤكد الالتزام بالعرف الدبلوماسي من جانب التقيد بالمعاهدات السابقة. [3]

بعد مفاوضات مضنية تم الاتفاق النهائي بين الطرفين على اهم الشروط التالية :

1-يعيد الملك لويس التاسع مدينة دمياط للمسلمين والخروج منها وإرجاع ممتلكاتها.

2-أن يدفع مبلغ ثلاثمائة ألف بيزنط، وهي دنانير ذهبية بيزنطية.

3- اطلاق جميع أسرى المسلمين سواء أولئك الذين أسروا في هاته الحملة او من اعتلقوا منذ اتفاقية يافا 626 ه /1229م.[4]

4- يتم الاحتفاظ بشقيق الملك الفرنسي(الفونسو كونت بواتو) كرهينة الى ان يدفع الصلبيين الفدية المتفق عليها[1] .

---

[1]-Grousset histoire des croisades et du royaume franc de Jérusalem 3 vols paris 1948 p 292

[2]- **ابن آيبك** ، كنز الدرر ج7 ص 142، **ابن ثغري** ، النجوم الزاهرة ،ج 5 ص 236 **المقريزي** ، السلوك ،ج1ص 366،

[3]-- **رنسيمان** ، تاريخ الحروب الصليبية ج 3ص 468

[4]- **سعيد عبد الفتاح عاشور** ، العصر المماليكي ص 18-19

• التعهد بعدم مهاجمة السواحل الإسلامية وإقرار السلام والأمن في جميع الأمصار التي يحتلونها على الساحل الشامي.[2]

• يدفع الملك الفرنسي نصف المبلغ المتفق عليه فورا وقبل اطلاق سراحه ،ويدفع النصف الأخر بعد مغادرته مصر ووصوله إلى عكا.[3]

• تحدد مدة المعاهدة بعشر سنوات ابتداء ا من تاريخ توقيعها .

أما الشروط الواجب تنفيذها من جانب القيادة المملوكية فتمثلت في إطلاق جميع الأسرى الصليبيين الذي اعتقلهم المسلمون في الحملة السابعة والتعهد التعهد ، برعاية مرضى الصليبيين في دمياط والمحافظة على معداتهم ومنح أسرى الفرنج الأمان أثناء إقامتهم في دمياط رحيلهم. [4] .

تمت المصادقة بالقسم ووفاء الطرفين على الشروط المتفق عليها والزم الملك لويس بأداء اليمين بتطبيق بنود المعاهدة بحذافيرها وتنفيذها وبالتالي انطلاق بداية الهدنة والسلام والتسليم والجلاء[5]

---

[1]- **القلقشندي**، صبح الأعشى ،ج 7 ص 18،

[2]- محمد سهيل طقوش ،تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام ص 38-39

[3]- **المقريزي**، السلوك لمعرفة دول الملوك ج1 ص363

[4]- جوزيف نسيم يوسف ، العدوان الصليبي على مصر ص 233-234

[5]- **Michel pierre histoire de France Genève 1995 p 52**

المطلب الرابع: حصيلة البداية الدبلوماسية بين شجر الدر والصلبيين :

اتبع كل من المماليك والصلبيين استراتيجية دبلوماسية في بداية اتصالاتهم ، وذلك من خلال فتح باب التفاوض قصد تحقيق مكاسب سياسية من كلا الجانبين، والتي تمحورت في المصادقة على الصلح وفداء الأسرى وهدنة سلم ممتدة بعيدا عن الحرب وإرهاقها.[1]

بالنسبة للمماليك فما يلاحظ أن بداية العمل الدبلوماسي في حداثة دولتهم أتى بثماره و أدى إلى تحقيق انتصار سلمي ضد الصليبيين ، ممهدا بذلك لبروز دولة إسلامية قوية في الأفق ، وذلك بفضل الدور الذي لعبته شجرة الدر المعروفة بالتدبير الحكيم وأمرائها المفاوضين في الخروج بالقرارات السليمة التي تخدم مصلحة دولتها التي هي في طور التكوين، وكسب امتيازات مادية ومعنوية بطرق سلمية بأسرع وقت ممكن وذلك من خلال ضرورة رحيل الصليبيين عن دمياط وحرصا على تفادي أي خطر خارجي قد يأتي من الغرب والتفرغ إلى معالجة الأوضاع الداخلية الغير المستقرة والمعارضة لحكم المماليك [2].

وقد اتضحت بعض المواقف من طرفها من خلال إبراز سلوكيات الأعراف الدبلوماسية المتبعة من طرف ملوك الدول والأمصار رغم أنها كانت في موضع قوة ، فتمثلت في أقدامها على تنفيذ الاتفاقية بحذافيرها وعدم النكث حتى لا تخل بالعرف الدبلوماسي[3] والوجوب المحافظة على العهود والمواثيق خاصة بعد إقرار بعض الأمراء المعارضين قتل الملك أو الإبقاء عليها أسير الذي تبددت أماله في النجاة هو وقادته منتظرين أسوأ مصير ، عملت شجر الدر أيضا على إعطاء عهد الأمان والمبادرة الى فتح بوابة إقرار السلام وتحسين الصورة من خلال إقامة مأدبة عشاء للويس التاسع وأمراءه قبل إجلاء دمياط.[4]

---

[1]- **ابن ثغري بردي** ، النجوم الزاهرة ج6 ص 332
[2]- **أبو الفداء** ، المختصر في أخبار البشر ، ج2 ص 187-188
[3]- **ابن العماد، شذرات الذهب ج5 ص 267**
[4]- **سعيد عبد الفتاح عاشور** ، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ص 172

ولو نتطرق إلى الجهة الصليبية فكان هدفها الأول هو اللجوء إلى الصلح وتحرير وفداء ملكها من الأسر بشتى الطرق السلمية التي تحفظ حياته وقد اتضح أيضا في شخصية لويس التاسع حنكة ودهاء سياسي رغم انه كان في موقف ضعف[1] من خلال محاورته لحسام الدين الهذباني ،حيث استطاع استمالته من خلال تقبل النقد والآراء بإظهار الابتسامات تارة وتارة أخرى بإعطاء رده حتى وان كان بالرفض بمرونة ولباقة محاولا الوصول إلى غرضه وقد تميز الحوار بين الطرفين في إبداء المهارة السياسية من اجل تحقيق الأهداف المسطرة لكل منهما والحزم في تسيير الأمور بسلاسة دون ضغوط مع إبراز سياسة الأقناع ونوع من المرونة في التعامل.[2]

---

[1]- **أبو الفداء** ، المختصر في أخبار البشر ، ج2 ص 187-188

[2]- **تشير المصادر الغربية** أن لويس في حواره مع حسام الدين الهذباني اظهر عكس ما أضمر حيث عمل على مسايرته للخروج من المأزق حيث كان يوافقه في بعض أرائه قائلا (لقد صدق القائل وما قصر فيما حكم به) وعندما توجب القسم على الالتزام الاتفاقية بين الطرفين رفض الملك موضحا ان اليمين من المقدسات الدينية وان كانت في اصعب الأمور فأعجب المماليك تمسكه بدينه **انظر جوا نفيل ، القديس لويس ص 139**

❖ المبحث الثالث : مشروع التحالف المملوكي الصليبي في عهد المعز آيبك

❖ المطلب الأول: ممهدات مشروع التحالف

❖ المطلب الثاني : لويس التاسع ومناوراته الدبلوماسية

❖ المطلب الثالث: السفارات المتبادلة بين لويس والمعز آيبك

❖ المطلب الرابع: النتائج المحققة من فشل التحالف المملوكي الصليبي

المبحث الأول : مشروع التحالف المملوكي الصليبي في عهد المعز آيبك (648ه-655ه/1250م-1257م)

المطلب الأول: ممهدات مشروع التحالف :

تولى عز الدين آيبك [1] حكم السلطة المملوكية في أواخر ربيع الأخر 648 ه/ جويلية 1250 بعد موافقة أمراء المماليك وتنازلت شجر الدر عن الحكم ،بعد رفض العامة والعلماء والخليفة العباسي المستعصم بالله سلطنتها على مصر، وقد سار السلطان في مشروعية حكمه على خطى السلاطين الأيوبيين.[2]

لم يلبث سلطان المماليك الجديد حتى واجه عدة عقبات في بداية حكمه ، كانت أولها التهديدات الداخلية المتمثلة في الانتفاضة الشعبية أو بما يعرف بثورة الأعراب التي كان دافعها السياسي هو القضاء على حكم المماليك ، والتي لم تلبث حتى نجح في إخمادها ، إضافة إلى الأخطار الخارجية التي تمحورت في إصرار بقايا أمراء البيت الأيوبي في استرجاع شرعية حكمهم المغتصب [3] ، يليه الترصد الصليبي في عكا الذي يتزعمه لويس التاسع الذي يبحث عن ثغرات في صراع المسلمين القائم لاستغلالها في صالحه قصد تحقيق نصرا حتى وإن كان بوسائل سلمية يعيد به الثقة المفقودة تجاه الباباوات والملوك في الغرب المسيحي ويمحي به خيبة الحملة السابعة. [4]

---

[1]- **المعز آيبك** هو احد مماليك الصالح أيوب ترقى في خدمته حتى وصل مرتبة الأمير، تولى وظيفة الجاشنكير بمعنى متذوق الطعام والشراب قبل السلطان ، عين أتابكا للعساكر في سلطنة شجر الدر، وجدت تباينات في أراء المؤرخين في تحديد شخصيته فمنهم من وصفه بضعيف الشوكة والنفوذ وأن الأمراء المماليك عينوه ليسهل عليهم عزله وقت ما أرادوا بينما يراه البعض الأخر انه كان ذا حكمة وعقل وسياسة ودين وصيانة وحسن التدبير، وقد اعتبر منقذ الدولة المملوكية وواضع أسس قواعدها في بدايتها دامت فترة حكمه ما يقارب سبعة (07) سنوات ،و تشير الروايات أنه لقى مصرعه على يد زوجته شجر الدر بعد أن دبرت له مكيدة . **انظر بيبرس المنصوري ،مختار الأخبار ص 09**

- **محمد سهيل طقوش** ،تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام والجزيرة ص 396، **احمد مختار العبادي** ،في تاريخ الايوبيين ص 113[2]، 118

[3]- **ابن كثير** ،البداية والنهاية ،ج13 ص184 ، **العيني** ، عقد الجمان ،ج 1 ص80

[4]- **محمد مصطفى زيادة** ، حملة لويس التاسع على مصر ص 236-237

عمل الملك المعز على امتصاص الغضب الأيوبي بالطرق السلمية من خلال تدعيم حكمه تحت غطاء شرعي بـــاختيار طفل من بني أيوب حفيد الملك الكامل ليكون شريكا اسميا[1] إلى جانبه في الملك، لقب بالملك الأشرف كما اعلن أن دولته تحت ولاء سلطة الخلافة العباسية ، وانه يحكم باعتباره نائبا عن الخليفة المستعصم .[2]

استمر الرفض الأيوبي بالشام بشرعية حكم المماليك الأتراك في مصر ، وزاد عزمهم على استرداد ملكهم وقابلتها مبررات المماليك في أحقيتهم في الملك والتصدي اللي أي اعتداء ينازعهم في الحكم ، فباتت مؤشرات هذا الصراع تمهد إلى الحرب من جهة وتفتح أبواب التواصل الدبلوماسي مع الصليبيين قصد التحالف [3] وتبادل المصالح ضد احد الطرفين من جهة أخرى.[4]

ا-المبادرة الأيوبية لإقامة التحالف مع الصلبيين :

تفاقم النزاع بين المماليك والأيوبيين دون حلول مرضية ، وفي ظل هاته الأجواء السياسية المشحونة بينهما ، قام الناصر يوسف الأيوبي صاحب دمشق وحلب في عمل أول مبادرة دبلوماسية لربط الاتصال بالصليبيين في عكا من خلال أرسال سفارة إلى لويس التاسع في **أوائل جمادى الثاني 648هـ/1250** م ، لأجراء مباحث تمثلت في عرض التحالف ضد السلطة المملوكية في مصر مقابل امتيازات سخية وهي منحه بيت المقدس.[5]

اعتبر الملك الفرنسي هذا العرض المغري هبة من السماء لم يكن ينتظرها ، ولطالما كانت هدف الصلبيين الديني القائم على وجودهم ، ورأى أن الظروف أصبحت مهيئة والفرصة أصبحت مواتية مرة أخرى في تحقيق أمنيته وهو استرداد بيت المقدس .[6]

---

[1]- **قاسم عبده قاسم وعلي سيد علي** ،الأيوبيون والمماليك ص 129-130

[2]- **سعدون عباس نصر الله** ، رحيل الصليبيين عن الشرق 47-48

[3]- **محمد سهيل طقوش** ، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام ص 53

[4]- **أبو الفداء** ، المختصر في أخبار البشر ،ج3 ص 184-185

[5]- Haarmann, The Mamluk System of Rule in the Eyes of Western Traveler's p.7-30

[6]- **رنسيمان، تريخ الحملات الصليبية ج3 ص 475**

ولكن حنكته الدبلوماسية وخبرته السياسية وأتعاضه بالدروس السابقة جعلته يتريث في القبول، وان يتوخى الحذر من أي رد فعل سلبي ليس في صالحه خاصة في وجود معاهدة دمياط والتي يفرض التزام شروطها ، وحرصه كذلك على أرواح الأسرى الصليبيين المسجونين في مصر ، إضافة إلى ريبته في وفاء الناصر بالوعود وقد ختم لويس سفارة[1] الأيوبيين ،بداية بحل ذكي وامل قائم على أن يكون رده متوقف على ما تسفره الأحداث مستقبلا.[2]

علم السلطان آيبك بأنباء المفاوضات التي جرت بين لويس والناصر يوسف ، وخشي وقوع تحالف أيوبي- صليبي[3] ضده فارسل في رجب 1250/648 مباشرة بعد سفارة الأيوبيين ، مبعوثه الى الملك الفرنسي بعكا يحمل رسالة تهديد ووعيد ، انذره في البداية بأقدامه على قتل الأسرى الصليبيين الذين مازالوا تحت وطأته والذين هم بانتظار دفع الفدية العالقة لأطلاق سراحهم ،في حالة توجيه أي عمل عدواني ضده ، وابدى له في نفس الوقت استعداده لتعديل معاهدة دمياط والتنازل عن نصف الفدية العالقة مقابل مساندته ضد الناصر يوسف[4].

إن أغلب السفارات المترددة إلى لويس التاسع من طرف أمراء مصر والشام تمحضت في بدايتها بمحادثات شفوية وبوجود مترجمين ولم يشيروا إلى وجود مكاتبات بينهم.[5]

---

[1]- **جوزيف نسيم**، العدوان الصليبي على بلاد الشام ، دار النهضة ، بيروت 1981 ص147-148

[2]- **ما ير، هانس** ، تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة عماد الدين غانم (د،ن) (د،ب) 1985 ج 1 ص482

[3]- **سعيد عبد الفتاح عاشور** ، الحركة الصليبية ج 2 ص 209-210 ، **سهيل طقوش** ، تاريخ الحروب الصليبية ص 642

[4]- **محمود سعيد عمران** ،تاريخ الحروب الصليبية 1096-1291،دار المعرفة الجامعية ، القاهرة 2000 ص319-320

[5]- **جوزيف نسيم يوسف**، العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص147-148

المطلب الثاني: لويس التاسع ومناوراته الدبلوماسية :

في ظل هاته الظروف السياسية السائدة في المنطقة ، أصبح النزاع القائم بين المماليك والأيوبيين رهن الملك الفرنسي في اتخاذ موقفه من التحالف وترجيح الكفة لأحديهما. [1]

قام لويس التاسع بدراسة العروض من مختلف نواحيها ، لإختيار أحد الأمرين إما قبول عرض الناصر والفوز ببيت المقدس ، أو مساندة المعز آيبك والحفاظ على الصالح الصليبي العام ، وقد وجد أن الحكمة تملي عليه الوقوف إلى الحياد واستمراره على تغليب سياسته الدبلوماسية المتأرجحة املأ في استنزاف قوى الفريقين إلى اقصى حد ممكن. [2]

أرسلت سفارة صليبية إلى الناصر يوسف في دمشق في شوال 648ه/ جانفي 1251م يتراسها احد الرهبان الدومنيكان [3] ايفس لوبرتونYves le Berton الذي كان يتقن اللسان العربي ،يخبره برده المتمثل في عدم استطاعته التحالف في الوقت الراهن حتى يعرف مدى صدق السلطان المملوكي في استمرارية تنفيذ وعوده المقترحة وهي تعديل بنود معاهدة دمياط ، وان كان عكس ذلك فانه لا يتردد في التعاون معه ضد المماليك .[4]

ما استنتجناه أن القديس لويس أثبت براعته الدبلوماسية في اتخاذ الموقف ،فلم يعط ردا حاسما بشان التحالف مع الغريمين بعدم رفضه العرضين رفضا باتا ،كما ابقى باب المفاوضات مفتوحا لاستئنافها في أي وقت دعت إليه الضرورة وطمعا في حصوله على

---

[1]- جوزيف نسيم، **العدوان الصليبي على بلاد الشام** ص 183-184

[2]- سعيد عاشور عبد الفتاح، **العصر المماليكي في مصر** والشام ص 56-57

[3]- **الرهبان الدومينيكان** وهي طائفة أسسها القديس دومينيك عام 1215 بدأت نشاطها في فرنسا بعد ان حصلت على الموافقة من البابا هونوريوس الثالث ويلقبون أيضا بالرهبان السود ، انظر **رنسيمان** ، **تاريخ الحروب الصلبية** ،ج3 ص 322

[4]- **محمد مصطفى زيادة** ، حملة لويس التاسع على مصر ص 211-212

امتيازات جديدة في الأفق ، كما عمل على استغلال كل ظرف في صالحه من خلال النزاع الأيوبي –المملوكي. [1]

لم تلبث الأمور ،حتى التقى الجيشان المملوكي والأيوبي يوم الخميس 10 من ذي القعدة 648 ه/ الموافق 02 فبراير 1251في منطقة العباسة حيث أحتدم القتال بين الفريقين فأسفرت النتائج في بدايتها بالتفوق الأيوبي، ولكن لم تلبث ان تغيرت مجرى الحوادث وحسمت المعركة لصالح المماليك. [2]

المطلب الثالث : السفارات المتبادلة بين لويس والمعز آيبك:

لم تؤثر هزيمة الناصر يوسف في معركة العباسية ضد المماليك في طموحاته وهي استرداد شرعية حكم البيت الأيوبي في مصر ،فلجا مرة أخرى إلى الصليبيين ، وارسل سفارة إلى الملك لويس في عكا يلوح به بالتنازل الفوري عن مدينة القدس ومناصفة بعض المدن الأخرى كعرض مغري جديد ، مقابل الحصول على مساعدته العسكرية ضد المماليك. [3]

حرص لويس على المحافظة على هذا العرض الأيوبي واستغله للضغط على السلطان المملوكي، ورأى أن الظروف ملائمة لكسب ما يمكن اكتسابه لصالح القضية الصليبية ، فأرسل سفارة إلى القاهرة بتاريخ يتراسها يوحنا فالنسيين فكان أول ما فعله كذريعة مسبقة هو تقديم رسالة احتجاج وتذمر إلى السلطان المعز آيبك نتيجة تماطل و عدم تنفيذ السلطة المملوكية احد بنود معاهدة دمياط والمتمثلة في التعويض عن الأضرار التي تلقاها الصليبيون ، وإعادة عتادهم العالق الذي اتلف بعد أجلاءهم لدمياط .[4]

[1]- **ابن واصل ، مفرج الكروب** ، ج2 ص 382-383،، **جوزيف نسيم، المرجع السابق ص 151**
[2]- **احمد مختار العبادي** ، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ،دار النهضة العربية ، بيروت 1986 ص 125-126
[3]- **قاسم عبده قاسم وعلي سيد علي** ،الأيوبيين والمماليك التاريخ السياسي والعسكري ص **129**
[4]- **جوا نفيل** ، القديس لويس ص228

بالنسبة مطالب لويس التاسع تلخصت في نقطتين أولها المبادرة في إخلاء جميع الأسرى الفرنج القابعين في السجون المصرية ، وثانيها العمل على تعديل معاهدة دمياط من جانب البند الذي يتضمن الفدية .أو التوجه للمساندة الأيوبية.[1]

قام المبعوث الدبلوماسي الفرنسي **يوحنا فالنسيين** دوره السياسي الكامل في تأثير على أمراء المماليك موضحا لهم بأسلوب الاستمالة والدهاء أن الحل الوحيد لاسترضاء القديس واكتسابه إلى جانبهم هو تعديل المعاهدة وفق ما تمليها الظروف في اقرب وقت ، في ظل تهاطل العروض الأيوبية [2]عليه ،وقد استطاع أن ينجح في أول سفارته في تحرير بين 900 الى 1200 أسير صليبي دون فدية كأول دفعة ، حسب اختلاف المصادر الغربية ، وبموافقة السلطان المملوكي كرد أولي مظهرا حسن نواياه لبداية اتفاق تحالفي مستقبلا ، بعد تردد ومماطلة في بادئ الأمر.[3]

يذكر المؤرخ الصليبي **جوا نفيل** أن لويس التاسع لم يقطع مفاوضاته مع الناصر يوسف ولعب دورا كبيرا في الاستفادة من نزاع الطرفين للحصول على اكبر امتيازات وضمانات تعود للصالح الصليبي.[4]

ا-سفارة الصداقة وتعزيز باب التحالف:

أراد المعز آيبك تعزيز أواصر الثقة وفتح باب الصداقة ، والاستفادة من حليف يؤمن له بقاء دولته الناشئة فقام بمبادرة أخرى لتوطيد علاقته مع القديس لويس من خلال توجيه سفارة إلى عكا بتاريخ منتصف رجب 648/ أكتوبر 1251 من اجل استكمال محادثات التحالف والتي تضمنت أيضا تحرير دفعة أخرى من الأسرى الصلبيين والذي كان

---

[1]- **جوزيف نسيم**، العدوان الصليبي على بلاد الشام ص 156

[2]- **سعيد عبد الفتاح عاشور**، مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك ،دار النهضة العربية ،بيروت 1972 ص 163

[3]-Grousset histoire des croisades et du royaume franc de Jérusalem 3 vols paris 19481948p502

[4]- ،المصدر السابق ص 226

بينهم رئيس الإسبتارية **وليام دي شان توف**، كما ارفق الوفد الدبلوماسي هدايا قديرة تمثلت في بعض حيوانات وحشية من فيل وحمار وحشي ، وبعض العطور ،كتأكيد صحة موقفه الداعم للتحالف . [1]

كانت زمام الأمور في قبضة الملك الفرنسي طالما ظل الخلاف قائما بين مصر والشام فقد رأى من هاته المبادرة المملوكية فرصة جديدة لاتخاذ سياسة الضغط بغطاء دبلوماسي على المماليك لاستجابتهم لباقي المطالب وتحقيقها بلغة السلم ثمنا لتحالفه معهم ضد البيت الأيوبي ،ومن خلال ذلك. [2]

ارسل المبعوث الصليبي يوحنا فالنسيين في سفارة أحرى إلى القاهرة يطلب فيها اطلاق جميع الأطفال اللذين بحوزتهم منذ واقعة غزة وإعفاءه من نصف الفدية التي يدين بها الملك لويس بموجب معاهدة دمياط.[3]

أما المشهد الذي كان في الجهة المقابلة هو شروع لويس في نفس الوقت بأرسال سفراء إلى الناصر يوسف الأيوبي في دمشق لأجراء محاورات أخرى حول مشروع التحالف وذلك قصد إبراز قوة الموقف الصليبي ومناوأته في ظل الصراع القائم بين الطرفين.[4]

من الجانب المملوكي كانت كل المؤشرات لا تخدم السلطان في حالة رفضه مطالب الصليبين المتبقية ، فكان كل طموحاته تقتصر في هدف واحد هو كسر بقايا البيت الأيوبي الذي يهدد عرش دولته الفتية ، وقد اصبح بذلك ملزما على تلبية شروط ملك فرنسا لكسب الأمان وتنفيذ مشروعه المسطر.[5]

---

[1]- **جوزيف نسيم يوسف** ، العدوان الصليبي على بلاد الشام ص 182-183

[2]- **را نسيمان**، تاريخ الحروب الصليبية ج3 ص 475-476

[3]- **ابن ثغري بردي** ، النجوم الزاهرة ج 7 ص 12

[4]- ، **ابن كثير** البداية والنهاية ج 17 ص 321

[5]- **يوسف حسن غوانمة** ، معاهدات الصلح بين المسلمين والفرنج ،دار الفكر ، ط1 ، الأردن 1995 ص 77

ب- اتفاقية قيسارية بين لويس التاسع والمعز آيبك سنة 650ه/1252 م:

بعد موافقة المملوكية عقدت معاهدة بين الطرفين في ربيع الأخر 650ه/ أوائل ماي 1252 في قيسارية[1] وقد ناب عن الجانب المملوكي الرسل الموفدين إلى قيسارية وناب عن الصليبين لويس وكبار رجال جيشه ونصت المعاهدة على الشروط التالية:

1- أن يتعهد أمراء المماليك في مصر بمراعاة العادات والطقوس المسيحية في البلاد التي تحت حكمهم .

.2 التعهد بالأفراج على باقي الصلبيين الذي مازالوا في الأسر مع السماح للملك الفرنسي بإيفاد مندوبين من قبله إلى مصر للبحث عن الأسرى واستلامهم.[2]

.3 التعهد الأمراء بإعادة رؤوس الصليبيين المعلقة على أسوار القاهرة وعلى الأطفال المسيحيين الذين قبض عليهم قبل واقعة غزة .

.4 التنازل على النصف المتبقي من الفدية الذي يدين به لهم الملك الفرنسي.[3]

.5 التعهد بإعادة مملكة بيت المقدس إلى الصليبيين والبلاد التي يمتلكونها غربي الأردن

.6 تعهد الملك لويس والصليبيون بحملة مشتركة مع المماليك ضد الناصر يوسف الأيوبي والاستيلاء على دمشق وحلب.[4]

.7 يتحدد اتصال الجيشين بين الصليبيين والمماليك في ربيع الأول 650 ه / منتصف شهر مايو 1252 م لتنفيذ التحالف العسكري وان تكون البلاد والغنائم مناصفة بينها.[5]

---

[1]- **قيسارية** هي بلدة تقع جنوب الغربي من حيفا مطلة على البحر الشامي ، تعتبر من اقدم المناطق التي سكنها البشر في التاريخ بناها الكنعانيون وسماها (برج سترانو) وسميت قيصرية نسبة للإمبراطور الروماني (أغسطس قيصر) وتم بناء المدينة من طرف القائد الروماني هيرووس الكبير في القرن الرابع قبل الميلاد فتحها عمرو بن العاص ، **انظر الواقدي فتوح الشام ص 310**

[2]- **ابن كثير** ، البداية والنهاية ج17 ص321 322

[3]- **أنتوني بردج** ، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة احمد غسان سبانو ، نبيل الجرودي (د.ب-د.ت) ص 306

[4]- **جوزيف يوسف نسيم**، العدوان الصليبي على الشام ص 179.180، جوا نفيل ، القديس لويس ص 191

Grousset histoire des croisades op .cit p504-5

تشير المصادر التاريخية سوآءا الإسلامية أو الغربية انه لم تكن هناك وثيقة رسمية معتمدة تتضمن الصيغة الكاملة لهذه المعاهدة وتوافقت في عرض التنازل عن بيت المقدس ،وقد نقلت روايات أخرى بنوع من التحفظ تشير إلى مقابلة لم يحدد زمانها ومكانها بين الملك لويس ، و السلطان المعز تمت بعد المصادقة على المعاهدة بوجود مترجم .[1]

ج -الوساطة العباسية وفشل التحالف:

لم يثمر التحالف المملوكي الصليبي باي نتائج بعد توقيع المعاهدة ، فبعد التجهيز لحملة مشتركة ضد الناصر يوسف على المعاقل الأيوبية ،[2]نفذت الخطة المدروسة بسيطرة لويس على يافا دون مقاومة، بينما تقدم الجيش المملوكي بقيادة سيف الدين أقطاي على مشارف غزة وعسكر في الصالحية، وقد علم الناصر بأنباء هذا التحالف ، فتحرك على وجه السرعة ، ليمنع التواصل بين الجيشين ، وبالتالي أضحت المواجهة وشيكة الوقوع.[3]

وصلت الأنباء مسامع الخليفة العباسي المستعصم بالله في بغداد بان الحرب الأيوبية المملوكية أوشكت على الوقوع فتدخل لحسم النزاع بعد ازدياد التوتر بين الفريقين وارسل مبعوثه نجم الدين البادارني[4] الذي لعب دور وسيط مهم لإنهاء الصراع الأيوبي-المملوكي، كما انتهز الفرصة للتحذير من الخطر المغولي القادم الذي يهدد ديار الإسلام ، الذي يفرض لم الشمل والوحدة إضافة إلى خشيته من أن يصل التحالف المملوكي -الصليبي إلى حيز التنفيذ ويفرق الكيان الإسلامي .[5]

---

[1]- **أبو الفداء**، المختصر ج1 ص229، **المقريزي** ، السلوك ،ج 1 ص 367، **جوا نفيل** ، القديس لويس ص 146

[2]- **المقريزي** ، السلوك لمعرفة دول الملوك ج1 ص 398

[3]- **أبو الفداء**، المصدر السابق ج3 ص 183-186

[4]--**نجم الدين الباد راني** اتخذت كنيته نسبة لبادران وهي قرية بأصفهان ولد سنة 594ه/1197 وتوفي 655ه/1257 م ،اتصف بانه واسع العلم كريم الأخلاق متواضعا ،يعد من اكبر العلماء الفرن السابع الهجري ، كان الخلفاء العباسيون يسندون له اكبر مهمات السفارة بين الشام ومصر في اكثر من مرة ، ولي في اخر أيامه قضاء العراق ، **انظر الذهبي ، سير أعلام النبلاء ج 15 ص 168**

[5]- **خالد حسين الدكيفي** ، لويس والنشاط الفرنسي الصليبي ، رسالة ن درجة دكتوراة في تاريخ العرب والإسلام ، قسم التاريخ، جامعة دمشق 2011 ص 159

أسفرت وساطة الخلافة العباسية بأنهاء الخلاف وعقد الصلح في أواخر سنة 1253/650م بعد أن وجدت أذان صاغية من طرف الناصر والمعز والذي تقرر على الشروط الأتية:

.1 اعتراف الناصر بسلطة آيبك وسيادة المماليك على مصر وبلاد الشام.

.2 اعتراف المماليك بسيادة الأيوبيين على بقية بلاد الشام.[1]

كانت هاته الاتفاقية مكسبا كبيرا للمماليك حيث يعد اعترافا صريحا بشرعية سلطنتهم في مصر من طرف الأيوبيين ، وكانت بمثابة ضربة أصابت أمال الملك الفرنسي في الصميم واصبح امتلاك القدس صعب المنال[2] .

المطلب الرابع: النتائج المحققة من فشل التحالف المملوكي الصليبي:

رغم أن مشروع التحالف المملوكي- الصليبي ضد الأيوبيين لم يثمر نتيجة التدخل العباسي حيث كان سابقة خطيرة على الإسلام ألا انه حقق مكتسبات لكلا الطرفين حتى وان كانت إنجازات ذاتية بفضل الجهود الدبلوماسية المبذولة من الجانبين.[3] .

فاذا نظرنا إلى المعز آيبك فقد اتبع سياسة دبلوماسية مرنة مفتوحة الحدود مرهونة بالظروف العصيبة التي تجتازها البلاد فكان من الضروري اتخاذ قرارات في هذا الشأن تتلاءم مع الأحداث التي تفرض اتخاذ موقف سياسي حكيم يحفظ الملك ، فاضطر بذلك إلى عقد التحالفات والتفاوض مع الصليبيين بهدف توثيق العلاقات سعيا وراء تحقيق امن دولته الحديثة التكوين من الخطر الأيوبي ،خاصة أن أقدامهم لم تثبت بعد في الحكم، نتيجة الأزمة الداخلية التي تقبع داخل البلاط و المعارضة الشعبية الإقليمية الناهضة له ، ورغم خسارته رهان فدية الأسرى مع لويس التاسع. [4]

---

[1]- **سعيد عبد الفتاح عاشور** ،الحركة الصليبية ج 2 ص 309

[2]- **محمد محمد مرسي الشيخ** ،عصر الحروب الصليبية في الشرق ، الإسكندرية ،2004 ص 532-533

[3]- **سعيد عبد الفتاح عاشور** ، العصر المماليكي في مصر والشام ص 21

[4]- **جوا نفيل** ، القديس لويس ص226

ألا انه حقق مكاسب من منافذ أخرى ، حيث نجح في كسب ود الخلافة العباسية و الاعتراف بشرعية دولته وحكمه من طرف الأيوبيين واستطاع امتعاض التمردات المحلية وحافظ على استقرار البلاد وإبعاد الخطر الصليبي لمدة سبع سنوات.[1]

أما الجانب الصليبي والذي يمثله القديس لويس التاسع كان هدفه الأول هو استخلاص البيت المقدس من قبضة المسلمين ، وتمكين النفود الصليبي في الأراضي المقدسة وسياسته تجاه الفريقين كانت تنطوي الحكمة والحذر وبعد النظر ، لتحقيق أطماعه بلغة السلم والحوار إضافة إلى محاولة تعويض بعض الخسائر التي جرتها هزيمته في مصر.[2]

لقد فشل الملك الفرنسي عسكريا لكنه استطاع تحقيق بعض أهدافه بالدبلوماسية ما عجز على تحقيقه بالحرب ، حتى وان كانت لم تلب طموحاته الكبيرة فقد اتخذ خارطة سياسية سلمية دون الخضوع إلى التلاحم العسكري فيما سبق ، تمثلت في استغلال الصراع الإسلامي لصالحه. [3]

استطاع لويس التاسع أيضا تحقيق عدة مكاسب من خلال اتباع سياسة التوازن في المفاوضات مع كلا الغريمين ، بعد أن استجاب لمراسلات كليهما، نجح في عقد اتفاقيات من الجانبين ، فقد نصت المعاهدة المبرمة مع الناصر يوسف أهم البنود المتمثلة في المناصفة لبعض المدن كصيدا وطبرية ، كما تمكن من تحصين أسوار في قيسارية ويافا وصيدا في فترة المحادثات والمحاورات واستطاع اطلاق سراح الأسرى الصليبيين في مصر دون تقديم أي فدية ودون تدخل عسكري ،و استرجع بذلك بعض ثقته المفقودة عند الملوك والباباوات في الغرب .[4]

---

[1]- **منذر الحايك**، العلاقات الصلبية في عصر الحروب الصليبية ج2 ص 342،344

[2]- **المقريزي**، السلوك لمعرفة دول الملوك ج1 ص 390

[3]- **اليونيني** ، ديل مرأة الزمان ج1 ص59

[4]- **محمد مصطفى زيادة** ،حملة لويس التاسع على مصر ص 165

❖ المبحث الرابع : محايدة صليبي عكا في عهد المظفر قطز

❖ المطلب الأول: العلاقات المملوكية الصليبية قبيل الغزو المغولي

❖ المطلب الثاني: سلطنة المظفر قطز على المماليك

❖ المطلب الثالث: سفارات التحييد والتأكيد الى بارونات عكا

❖ المطلب الرابع :سفارة التهنئة الصليبية إلى قطز بعد عين جالوت

المطلب الأول : العلاقات المملوكية الصليبية و الغزو المغولي للمشرق الإسلامي:

أ -الزحف المغولي في المشرق الإسلامي:

شهدت سنة 656 ه/1258 غزو المغول للعراق وإسقاطهم الخلافة العباسية ودق ناقوس الخطر بتواصل الزحف المغولي لمنطقة الشام الذي أطاح بدول المشرق الإسلامي [1] الواحدة تلو الأخرى واقتحموا الإمارات الإسلامية المتربعة في الإقليم طوعا وكراهية ، فأخضعت الموصل ، و سقطت ميا فارقين بعد صمود ودمرت حلب و استسلمت الكرك ودمشق وتابعت جحافل القوات المغولية زحفها حتى وصلت إلى غزة بوابة مصر وجرى كل هذا في ظل التقاعس والتخاذل الإسلامي في الدفاع عن الشام.[2]

. ب- طبيعة العلاقات المملوكية الصليبية قبل عين جالوت:

إن طبيعة العلاقات بين المماليك والصلبيين تتحدد بما يوافقها من استقرار أو مجابهة فلقد عرفت الفترة الممتدة مثلا ما بين 650-658ه/1252-م1260 1260 نوعا من الفتور والعزلة والركود في بين الطرفين ، منذ أخر تعامل دبلوماسي بينهما والذي توج باتفاقية قيسارية سنة650ه/ 1252 بين المعز آيبك ولويس التاسع التي كان محورها التحالف والصلح لمدة خمسة عشر سنة .[3]

منذ التاريخ المذكور أعلاه لعبت حتمية الظروف وتغيراتها في ديار المشرق مجرى أخر ، خاصة بظهور عامل مؤثر جديد ألا وهو الغزو المغولي للشام و الذي أخذ الشغل الشاغل والجوهر الرئيسي في إعادة ترتيب وتحديد وتغيير مسار العلاقات الإسلامية الصليبية عامة والمملوكية بالأخص، والذي لا يخدم أيضا مصالح الطرفين في المنطقة.[4]

---

[1]- **فايد حماد عاشور** ، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى ،دار المعارف، القاهرة 1972 ص 42

[2]- **اليونيني ،ذيل مرأة الزمان ج1 ص85، أبو الفداء** ، المختصر في أخبار البشر ج3 ص 194، 204

[3]- **را نسيمان** ، تاريخ الحروب الصليبية ج3 ص 472-474

[4]- **ابن ثغري بردي** ، النجوم الزاهرة جـ 7 ص 82، 84

من المؤثرات الثانوية أيضا التي عطلت الاتصالات وقطعت روابط الاحتكاك السلمي، او حتى الحربي ولو لفترة مؤقتة هي الانشغالات الداخلية للطرفين والتي أسرفت النظر عن الاهتمام الخارجي لكليهما ،[1] فالمماليك كانوا منشغلين في عملية بناء دولتهم بعدما تمكنوا من احتواء المعارضة الايوبية في بادئ الأمر ، لكن سرعان ما تأزم الوضع و تكررت الاضطرابات والأزمات السياسية.[2]

بعد مقتل السلطان عز الدين آيبك وتولية السلطة للصبي للمنصور نور الدين علي، إضافة إلى دائرة الصراع والانقسام القائمة بين المماليك البحرية الصالحية والمماليك المعزية ، دون ان ننسى المعارضة الشعبية على السلطة ، فكانت هذه العراقيل مؤشرا لتراجع التواصل مع الصلبيين في هاته المرحلة ، والتفرغ للاهتمام بتثبيت قواعد دولتهم الناشئة. [3]

أما البيت الصليبي فقد عصفت به الأزمات السياسية الداخلية التي تبنتها النزاعات بين الأمراء الصليبين والتجار الإيطاليين والطوائف الدينية العسكرية في عكا خاصة بعد رحيل الملك لويس التاسع من الشام، و انقسمت بذلك مملكة بيت المقدس إلى قسمين متعاديتين عكا تحت حماية البنادقة وصور تحت حماية الجنوبين رغم مجهودات البابا انو سنت الرابع الفاشلة لفك النزاع وإقامة الصلح ، ولم يلبث ان انتقل فتيل الأزمة الصليبية إلى الصراع حكام الإمارات بين بوهيمند السادس أمير انطاكية وطرابلس مع صاحب جبيل الذي حرض أمراء طرابلس الخروج على حكم بوهند بمساعدة الاسبتارية في سنة 656ه/1258م.[4]

---

[1]- **ابن كثير :** البداية والنهاية، ج13 ص 222
[2]- **أبو الفداء :** المختصر في أخبار البشر ، ج1 ص 435
[3]- **سعيد عبد الفتاح عاشور** ، الحركة الصليبية ج 2 ص 344
[4]- **محمد سهيل طقوش** ـتاريخ الحروب الصليبية ص 642

ج – علاقات الصليبيين بالمغول وموقفهم من غزو المشرق:

من الضروري إلقاء نظرة خاطفة على نمط الاتصالات الذي اتبعه الصليبيون مع المغول[1] بعد بروزهم القوي في حيز الصراع الصليبي الإسلامي ،حيث باتوا يشكلون خطرا على أوروبا والصليبيين في الشرق في بادي الأمر ، وقد مهد للفرنج من خلالها إلى إقامة علاقات مبكرة معهم . [2]

استهلت البابوية البداية بالمبادرات الدبلوماسية [3] بممثلها البابا انو سنت الرابع643ه /1245 م من محطة مجمع ليون الكنسي التي عمدت على فتح علاقة دبلوماسية مع المغول قصد تحويل هذا الخطر على المسلمين في المشرق الإسلامي والحفاظ على وجودهم في الشام كما ظهرت مباركتهم لغزو المشرق من خلال مشروع التحالف بدأ من مبادرة هيثوم الأول ملك أرمينية الصغرى الذي فكر في التحالف مع المغول على أساس التبعية ،إضافة إلى مشاركة قواتهم في حملة هولاكو على بغداد سنة 656ه/ 1258 دون نسيان مبادرة لويس التاسع 1268 [4].

أكدت اغلب المصادر التاريخية أن معظم الصلبيين سواء في الشرق أو الغرب حتى لا نقول اغلبهم عمدوا تأييد ومساندة ودعم التتار في استعمار الممالك والدويلات في المشرق الإسلامي ، وذلك لعدم قدرتهم العسكرية في المجابهة نظرا لتشرذم وتفكك حبل الوصال بين الشرق والغرب ، فاستعملوا بذلك لغة الدبلوماسية بالوان المسالمة والولاء، إضافة إلى محاولة استغلال كسر الوجود الإسلامي في المنطقة بعد أن عجزت عنه.[5]

---

[1]- **محمود سعيد عمران**، المغول والأوربيون والصليبيون وقضية القدس ،دار المعرفة الجامعية ، بيروت 2003 ص 135، 201

[2]- **احمد حطيط** ،حروب المغول ،دار الفكر اللبناني ،ط1 ، بيروت 1994 ص 119

[3]- **محمد سهيل طقوش** ، تاريخ الحروب الصليبية ص637

[4]- **رتسيمان** ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ص 513

[5]- **العيني** ، عقد الجمان ،ج1 ص56، **ابن ثغري بردي** ،. النجوم الزاهرة ج7 ص 99، **ابن أياس** بدائع الزهور ج5 ص 168

المطلب الثاني: سلطنة المظفر قطز على المماليك :657هـ-658هـ/1259-1260م:

استطاع المظفر قطز [1] الوصول إلى السلطنة بموافقة الأمراء والأعيان وأهل الفتوة في الديار المصرية نظرا لصغر سن السلطان المنصور علي بن المعز آيبك ، بالإضافة إلى تلك الظروف الحاسمة التي تمر بها البلاد والتي تتطلب وجود شخصية قوية تتولى حكم الدولة، ومجابهة غريمين أولهما صلبيي قديم وثانيها مغولي جديد التي أصبحت جحافله على مقربة من الديار المصرية[2].

وقد استلم حكم مصر مواجها صعوبات أولها اللاستقرار الداخلي ، تمثل في إنهيار اقتصادي مهيب ضرب الديار المصرية إضافة إلى أزمة سياسية لم تلتئم هزت الدولة المملوكية الفتية والتي تمحورت في مقتل ما سلفه من حكم البلاد وهما شجر الدر والمعز آيبك.[3]

أما المسرح السياسي الخارجي فكان عقبة أخرى تلج بالمخاطر بدايتها بتعكر العلاقات وتفاقم روح العداء في كل أمارات الشام التي كانت تحت حكم بقايا بني أيوب ، إضافة إلى الخطر الأكبر وهو الزحف المغولي القادم على مشارف الشام بعد سقوط بغداد[4].

---

[1]- اسمه الحقيقي محمود بن ممدود ومعنى اسم قطز بالتركية هو الكلب الشرس ، تشير الروايات انه كان مملوكا لشخص يدعى ابن الزعيم في دمشق وفي رواية أخرى تقول انه ابن أخت خوارزم شاه ، انتهى به الحال بعد قضاء المغول على الخوارزمية إلى الرق ، ليصبح احد مماليك نجم الدين أيوب وكان من أخص مماليك آيبك وقادته وهو الذي قتل فارس الدين أقطاي منافس آيبك على عرش مصر ، **انظر ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر** ص 78-79

[2]-**القلقشندي**، صبح الأعشى ، ج4 ص 16-17 ، . **ابن تغري بردي** النجوم الزاهرة ، ج7 ص99

[3]- **ليلي عبد الجواد إسماعيل** ، تاريخ الأيوبيين والمماليك في مصر والشام ص 136-137

[4]-**ابن كثير** ، البداية والنهاية ج 13 ص 222 ، **العيني** ، عقد الجمان ج1 ص328

لم يلبث وأن استطاع السلطان المملوكي الجديد إعادة السكة اللي مسارها من خلال إيجاد تعاون وثيق بين الشام ومصر بعد ما نجح في التعبئة الشعبية المحلية كأمراء الصعيد المعارضين لحكم المماليك ، ومصالحة الأمراء البحرية الفارين في أراضي الشام إضافة إلى الإمارات الصغيرة التي مازالت تحت السيطرة الإيوبية في صورة حمص التي يحكمها الأمير الأشرف موسى واستطاع تجهيز جيش موحد لصد العدوان المغولي المرتقب.[1]

المطلب الثالث :سفارات التحييد والتأكيد إلى بارونات عكا:

ا- سفارة التحييد المملوكية :

وجه هولاكو إلى قطز سفارة تحمل إنذارا وتهديدا مباشر بداية سنة 658ه /1260م تطلب إليه الخضوع إلى سلطان المغول والاستسلام والإذعان لهم ، يطلب فيه الاستسلام وتسليم البلاد ،والخروج منها فكان رد فعل السلطان المملوكي هو الإقدام على قتل[2] رسل هولاكو والبدء الفوري للاستعداد للحرب التي لم يعد هناك مجال لتجنبها.[3]

بعد إتمام التجهيزات العسكرية للجيش المملوكي لمواجهة المغول وتحديد الوجهة إلى عين جالوت أرسل المظفر قطز من معسكره بالصالحية في شعبان 658ه / جويلية 1260 م سفارة يتراسها الأمير سيف الدين قلاوون الألفي وبعض الأمراء المرافقين منهم **بدر الدين**

---

[1]- **ابن شداد** ، الأعلاق الخطيرة ،ج1 ص 188

[2]- أمر السلطان المظفر بقتل رسل المغول الأربعة وتعليق رؤوسهم على باب الزويلة وهو أحد مداخل القاهرة ، وقد ألب بعض المؤرخون الغربيون المتعصبون على الفعل المرتكب من طرفه في قتله للرسل الذي لا يوافق التقيد بالأعراف الدبلوماسية في حسن معاملة الرسل والسفراء ، بينما برر بعض المؤرخين المسلمين منهم المقريزي أن فعل المظفر كان انتقاما للمغول الذين نكثوا يعهد الأمان المنعقد مع الخليفة العباسي المستعصم بالله حيث استباحوا أهل بغداد بعدما امنوهم على حياتهم ، إضافة إلى أن المرويات عنهم تصفهم بانهم سفاكي للدماء لا عهد لهم ولا ذمة ، كما أن شخصية قطز القوية لا تقبل التهديد والمساومة في عرشه وغبرته الشديدة على الدين والعرض أجبرته على العمل بالمثل على شريعة البادئ اظلم ، **انظر المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ج1 ص412**

[3]- **إكتمال إسماعيل** ، الحملات المغولية وأثارها الاجتماعية والاقتصادية على بلاد الشام ،دار رسلان ،دمشق 2008 ص 95-

بيليك الخز ندار الظاهري [1]إلى عكا التي كانت عاصمة مملكة بيت المقدس حينها، وقد وصل السفراء منتصف شعبان658ه/1260م إلى المدينة ،وكان في استقبالهم القادة الصليبيون من بينهم **انو سانجر هاوزن**[2] مقدم طائفة فرسان التيوتون والبارون **جوليان دي باليان** قائد حامية صيدا الصليبية وقد حضيوا بترحاب وحسن الضيافة.[3]

عرض الوفد المملوكي مضمون رسالة السلطان المظفر على الأمراء الصلبيين ،التي تتمثل في عقد هدنة مؤقتة بين الطرفين، مع تحييد الصلبيين بعدم الوقوف لا معهم ولا عليهم من جهة [4] والسماح للجيش بالعبور على مسالك إقليمهم باتجاه عين جالوت دون التعرض له من جهة أخرى ، مقابل امتيازات وفوائد يستفاد منها الصلبيين قبل المعركة وبعدها[5].

جلس الطرفان على طاولة الحوار للتباحث حول إمكانية عقد معاهدة سلام وهدنة مؤقتة ، وطرح إمكانية التحالف كذلك وقد كانت استجابة سريعة [6] من طرف بعض البار ونات على راسهم حلف البارون جوليان دي باليان الذي أبدى استعداده لاستقبال السلطان

---

[1]- بدر الدين بيليك الخز ندار الظاهري، كان مملوك لركن الدين بيبرس البند قداري، وخزن داره في أيام أمرته، وكان ملازما له في الشدة والرخاء ، كان حازما عفيف النفس وكاتبا ،ولما تولى الظاهر بيبرس السلطنة عين من المرتبين النواب له في مصر ن كما فوض له مهمة ترتيب الجيوش وتنظيمها وقد ابدع فيها ، **انظر الصقاعي ، وفيات الأعيان ص 52**

[2]- **أنو سانجر هاوزن:** أحد أبرز قادة الصليبيين في عكا ويشغل عضوية مجلس البار ونات؛ ومقدم طائفة الفرسان التيوتون **انظر . را نسيمان، تاريخ الحروب الصليبية ج3 ص 535**

[3]- **ابن ثغري بردي** ، النجوم الزاهرة ،ج 7 ص 97-98

[4]- **احمد عودات وأخرون** ، تاريخ المغول والمماليك ،دار الكندي للنشر ، (د.ب) 1990 ص 48

[5]- **احمد مختار العبادي** ، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ص161

[6]- من الدوافع التي أرغمت صليبي عكا بعدم التحالف مع المغول هو النظرة اليهم كبرابرة مغتصبون ، بعد مهاجمتهم صيدا سنة 658ه/1259 وتخريبها وقد جعل هذا الموقف من البا رون جوليان الصيداوي في أن يثأر لذلك بمهاجمة دورية مغولية أرادت الاعتداء على قوافل تجارية متجهة إلى عكا أما الأسباب الأخرى فهي خوف الصليبين من بقاء المغول إلى المشرق الإسلامي وهم قوم يتصفون بالهمجية والوحشية لا عهد لهم ولا أمان يعملون على الاستيلاء على الممتلكات الصليبية وطردهم من الشام ، دون أن ننسى الاختلاف المذهبي في الديانة المسيحية كون المغول يتبعون المذهب النسطوري بينا الصليبين يتبعون المذهب الكاثوليكي مما أدى إلى زيادة العداوة بين الطرفين خاصة بعد مساندة المسيحين الشرقيين اليهم في حادثة طرد البطرك الأرثوذكسي من طرف البطريك الكاثوليكي الذي طرد من كنيسة الإمارة في انطاكية حيث اعده المغول إلى منصبه والذي جعل الصلبيين الكاثوليك يخشون بقائهم تحت رحمة الكنائس الشرقية **انظر را نسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ج3 ص352- 366**

قطز ومساندته في حربه ضد المغول ، لكن اعتراض مقدم التيوتون [1] انو سانجر هاوزن رهن حظوظ التحالف وعارض فكرة أعضاء المجلس الصليبي بعد ان عقدت جلسة تشاور بينهم ، حيث اصر على الحياد متحججا بالاحتياط والأخذ بالحذر من التمادي في الثقة تجاه المسلمين خوفا من الانقلاب عليهم في حالة انتصارهم في عين جالوت ، إضافة إلى تفادي الحرب ضد المغول لان اغلب حلفائه من القوات الصليبية الصديقة ، وقد يكون انعكاسا سلبيا أيضا على مبادرات البابوية وملوك أوروبا في الغرب الذين يعملون على توحيد الصليبيين في المشرق والحفاظ على ممتلكاتهم ونفوذهم خاصة بعد الصراعات الداخلية الأخيرة التي فككت وحدتهم وأضعفت قوتهم.[2]

بعد المباحثات والمحاورات و اجتماع مجلس بارونات عكا لمناقشة عروض مبعوثي المظفر تم التوصل الى نتائج من خلال اتفاقية سميت بمعاهدة عكا وجاءت بنودها كالتالي:

1- تكون الهدنة مؤقتة تنتهي بانتهاء الحرب مع التتار مع إمكانية تجديدها بمعاهدة سلام بين الطرفين وقد اصر الوفد المملوكي على ذلك[3]

2-السماح للجيش المملوكي بالمرور على الطريق الساحلي المحاذي لعكا دون التعرض له.

[1]- **التيوتون** ، بقايا الحملة الصليبية الثالثة وهي طائفة عسكرية دينية تتألف جلها من الفرسان الألمان وبعض الإسكندنافيين والهولنديين والإنجليز وقد تأسست سنة586ه/ 1190 م كمنظمة تمريضية لتتحول الى نظام عسكري على نمط فرسان المعبد وفرسان الاسبتارية كانت اهم مراكزهم انطاكية وطرابلس ، وقد اتخذوا عكا بعد ذلك مقرا لهم بعد ان قتل اغلب قادتهم وفرسانهم **انظر رنسيمان ، المرجع نفسه ج3 ص 366**

[2]-**محمد سهيل طقوش** ، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام ص 77

[3]- هناك دوافع أخرى أرغمت بارونات عكا بالوقوف موقفا محايدا هو تدهور وضعهم التجاري بسبب الغزو المغولي الذي أدى الى عدم سلامة الطرق التجارية و التي أصبحت عرضة للغارات إضافة الى عدم وصول البضائع التجارية باستمرار الى المنطقة ، الى جانب تشجيع المغول للتجارة عبر بلادهم وعبر أسيا الصغرى وأرمينية الصغرى مما أدى إلى تأثر الحركة التجارية ، كما عملوا على بقاء العلاقات التجارية الطيبة مع مصر التي يكسبون من ورائها مكاسب مادية ضخمة دفعتهم الى عدم تعكير صفو تلك العلاقات خوفا على مصالحهم واتباع سياسة مدروسة تحث على عدم مجابهة المماليك افضل من التعاون مع المغول **انظر المقريزي ، السلوك ،ج1 ص 430**

3-عدم دخول صليبيي عكا في تحالف عسكري سواءا مع المماليك أو المغول والالتزام بالحياد.[1]

4- تعهد الصلبيين بان يسهموا في إمداد جيش المسلمين بالمؤن أثناء إقامة معسكرهم بحدائق عكا وأثناء انتقالهم ورجوعهم من حرب المغول سواء في حالتي الانتصار والهزيمة .[2]

5- منح المماليك بعض الغنائم المتمثلة في الخيول المغولية بعد الانتصار على التتار لإمارة عكا أو بيعها بأسعار زهيدة .

6- التعهد بأن أي نكث في الهدنة من طرف الصلبيين فسيترك المماليك قتال التتار ويتوجهون لعكا تحريريها .

استعمل الوفد المملوكي أسلوبا في السياسة الدبلوماسية المتبعة من خلال محاورتهم بارونات عكا تمثلت في الترهيب تارة والترغيب تارة أخرى، وذلك لاطلاعهم و معرفتهم بكل الصراعات الداخلية والانقسامات في كانت تدب في البيت الصليبي إضافة إلى محاولة كسب حليف سلمي ولو مؤقتا لأن جيش قطز لا يستطيع القتال على جبهتين ، فكان بالتالي كل هذا العمل جزء من الخطة العسكرية المدروسة في الحرب المقبلة ضد المغول.[3]

ب- سفارة التأكيد المملوكية :

في أواخر 20 رمضان 658هـ/ أوت 1260م وصل جيش المماليك بقيادة السلطان قطز إلى السهل الواقع في شرق عكا ، حيث أقام معسكره بالحدائق المحيطة بحصن المدينة ، ولم يلبث أن ارسل سفارة من وفدا يتراسها الأمير ركن الدين بيبرس البند قداري إلى بارونات عكا ، وكان الهدف من هاته السفارة هو التأكد من سريان الاتفاقية السابقة المبرمة

[1]- **رانسيمان، تاريخ الحروب الصلبية** ج 3 ص 535-536
[2]- **ليلي عبد الجواد إسماعيل** ، تاريخ الأيوبيين والمماليك في مصر والشام ص 142-143
[3]- **فؤاد عبد المعطي الصياد**، المغول في التاريخ ،دار النهضة العربية ،ج1 ،بيروت 1980 ص 308

بين الطرفين واخذ الاحتياطات اللازمة في حال نكث الصلبيين بالعهد بعد أن، وصلت أخبار تحالف انطاكية وطرابلس وأرمينية مع المغول ضده.[1]

أحسن البار ونات الصليبيين استقبال الوفد الدبلوماسي المملوكي واكدوا على تنفيذ ما سبق الاتفاق عليه ، وقد تواصلت المراسلات المتبادلة بينهما لتأكيد العهود السالفة وتكررت أيضا الزيارات بين الطرفين اكثر من مرة ، وخير مثال ان وجهت دعوة السلطان قطز وأمراءه المماليك كضيوف شرف لزيارة مدينة عكا من طرف البارون جوليان دي باليان وذلك كعامل تحفيزي لهم ومبرر للاطمئنان على تنفيذ الاتفاق المبرم ، إضافة إلى محاولة جش النبض حول مستقبل التواصل السلمي بينهما بعد المغول .[2]

كما أشار المؤرخ را نسيمان أن الجيش المملوكي أقاموا عدة أيام او ما يقارب أسبوع في حدائق عكا المعروفة بفواكهها الوفيرة في جو مهيأ و مريح قبيل المعركة وقد زودوا بالمؤن بأسعار رمزية عند توجههم إلى عين جالوت [3].

المطلب الرابع: سفارة التهنئة الصليبية إلى قطز:

عمت البشائر في المشرق الإسلامي عامة، بانتصار المسلمين في عين جالوت واطمأن المظفر على تطهير باقي بلاد الشام من أيدي المغول، ثم عزم على العودة اللي الأراضي المصرية متخذا نفس الطريق التي سلكها سابقا وهي المرور بعكا.[4]

---

[1]- **قاسم عبده قاسم**، السلطان المظفر سيف الدين قطز بطل معركة عين جالوت، دار القلم ،ط1،دمشق 1998 ص 117

[2]- **ابن ثغري** ، النجوم الزاهرة ،ج 6 ص 376-377

[3]- تقع عين جالوت في الجهة الشمالية الغربية من مدينة بيسان، وتبعد مسافة 10 كيلومترات عن نهر الجالود، ويقع بجوارها عين ماء، ويتحدد موقعها في منتصف المسافة الواقعة بين قرية نورس، وقرية زرعين، على حدود جنين وبيسان، وتسمى بعين جالود ، **انظر العمري، مسالك الابصار ج3 ص 180**

[4]- **سعيد عبد الفتاح عاشور –الأيوبيون والمماليك في مصر والشام ص 197**

في منتصف شوال 658 ه / أكتوبر 1260 م حل الجيش المملوكي على مشارف عكا وقد سبقه رسول من البار ونات الصلبيين يحمل رسالة تهنئة ودعوة ضيافة تكريما للانتصار المحقق على المغول ومحاولة كسب ود السلطان قطز ومعرفة مستقبل العلاقات السلمية معه بعد ان اصبح في موضع قوة ، خاصة أن أمراء الممالك الصلبية في الشام الذين تحالفوا مع المغول في صورة طرابلس وانطاكية وحنى أرمينية لم يهضموا انتصار المماليك ، واصبحوا الهدف القادم في نظرهم[1] .

كما المؤرخ رانسيمان أن المظفر تسلم الرسالة ورحب بالضيافة وارسل مكانه نائبه فارس الدين أقطاي المستعرب الذي استقبل بحفاوة خاصة من طرف البارون جوليان الذي يكن للمغول حقدا ضغينا حيث كرم بالهدايا والتحف ،وقد عومل صليبي عكا بالمثل.[2]

أما السلطان المظفر فقد منحهم مجموعة من الخيول لمغولية وبعض الغنائم المستحوذة من معركة عين جالوت ، طبقا ما هو متفق عليه في المعاهدة ، كما مهد لهم ترسيخ وإعادة علاقات التبادل الاقتصادي من خلال فتح الطرق التجارية البرية بين القاهرة وعكا.[3]

---

[1]- **ابن ثغري بردي ، النجوم الزاهرة ج7 ص 83-84**
[2]- **، تاريخ الحملات الصليبية ج3 ص5 36**
[3]- **المقريزي** ، السلوك لمعرفة دول الملوك ج 1 ص 430

حصيلة العمل الدبلوماسي بين المظفر قطز وصليبي عكا:

يعتبر المظفر قطز أول من ارسى دعائم حكم دولة المماليك البحرية في مصر رغم ان فترة حكمه قصيرة في مداها الزمني التي لا تتجاوز عامين ، لكن إنجازه كان تاريخيا من الجانب السياسي وبالأخص الدبلوماسي وقد اندرجت اغلب السفارات و الاتفاقيات الدبلوماسية مع صليبي عكا[1] على استراتيجية عمادها الحياد والحرص من كلا الجانبين وأخد الحيطة والحذر من مخططات العدو المشترك بينهما ألا وهو المغول.[2]

الهدف الرئيسي المسطر من خلال تحليلنا هو إقناع الصلبيين على أن يكونوا على الحياد التحايد بينهم وبين المغول أو بدرجة اكبر ما يعرف بالتحالف السلمي معهم ، حيث نجح السلطان المظفر في تفكيك وتقسيم التحالف الصليبي مع المغول من جهة ، ومن جهة أخرى قام بحصرهم للسلم من خلال سياسة اللين والمهادنة والحرص، إضافة إلى نوع من الضغط مستغلا بذلك الظروف السائدة لأحوالهم السياسية ،كما رفض مساعدتهم ؛ حتى يأمن غدرهم، وحتى لا يمنوا على المسلمين مستقبلا ، لأنه كان حريصا على صبغ حروبه ضد المغول بصبغة إسلامية جهادية خالصة ، وعمل على احترام البنود المتفق عليها وعدم النكث بالعهود، رغم ان الظروف سهلت له اكتشاف ضعف إمارة عكا من خلال زيارتها على شرف ضيافة أمراءها.[3]

---

[1]- را **نسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية** ج3 ص 535-536

[2]- **ابن أياس ، بدائع الزهور ، ج1 ص 302-303**

[3]- عند زيارة الظاهر بيبرس إلى مدينة عكا بعد دعوة الضيافة من طروف أمراءها الصلبيين رأى ان الوضع الأمني لحاميتهم العسكرية غير محصن وضعيف يسهل اختراقه والاستيلاء على المدينة ، ونتيجة هذا العمل التجسسي الذي يندرج في مهام السفير ، أشار على السلطان قطز مهاجمة عكا والاستيلاء عليها وقد كان رد هذا الأخير بالرفض بعدما تم الاتفاق على المعاهدة موضحا كما جاء على قلم المقريزي (نحن لا نخون العهود) **انظر المقريزي ، المصدر السابق ج 1 ص 432**

الطرف الصليبي كان في موقع ضعف من خلال مباحثتهم ومحاوراتهم مع الجانب المملوكي نظرا لصراعاتهم الداخلية خاصة وخشيتهم بان لا يظفروا من المسلمين بعهد فينقلب عليهم[1] ، فعملوا على الحفاظ على مصالحهم بعد تحالف معظم الفرنجة مع التتار[2]، كما عملوا على إرساء شرعيتهم السياسية كذلك بحكم ان عكا كانت عاصمة مملكة بيت المقدس حينها ، إضافة إلى التخطيط المسبق في توطيد العلاقات في حالة انتصار المسلمين على المغول.[3]

سجل التاريخ ان موقعة عين جالوت هي شهادة الميلاد الحقيقية لدولة المماليك الناشئة حيث أعطت لكيانهم السياسي سندا شرعيا وروحا جديدة لحكم مصر والبلاد الإسلامية وغيرت مجرى التعامل الدبلوماسي تجاه الصليبيين من باب الضعف والحرص إلى باب القوة والهيمنة. [4]

[1]- **عبد المنعم ماجد** ،التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة 1988 ص183

[3] **ابن كثير**، البداية والنهاية ج13 ص 228

[3]- **سعيد عاشور عبد الفتاح**، العصر المماليكي في مصر والشام ص 30-33

[4] **ابن آيبك** ، كنز الدرر وجامع الغرر ج 8 ص 49-50

الفصل الثالث :الدبلوماسية مع الصليبيين في عصر هيمنة المماليك.
(658هـ-741هـ/1260م-1340م)

المبحث الأول : الدبلوماسية مع الصليبيين في عهد الظاهر بيبرس (658هـ-676هـ/1260-1277م)

المبحث الثاني : المعاهدات والمهادنات مع الصليبيين في عهد المنصور قلاوون (678هـ-689ه/1279م-1290م)

المبحث الثالث : العلاقات مع الصليبيين في عهد الأشرف خليل قلاوون (689هـ-693هـ/1290م-1293م)

المبحث الرابع: العلاقات مع الصليبيين بعد جلاءهم من الشام في عهد الناصر محمد (693هـ-741هـ/1293م-1340م)

- المبحث الأول : الدبلوماسية مع الصليبيين في عهد الظاهر بيبرس.
- المطلب الأول : اعتلاء الظاهر بيبرس عرش المماليك.
- المطلب الثاني: النظم والمراسيم الدبلوماسية في عهد الظاهر بيبرس.
- المطلب الثالث: النشاط الدبلوماسي مع الصليبيين أثناء الحرب.
- المطلب الرابع : النشاط الدبلوماسي مع الصليبيين أثناء السلم.

المبحث الأول : الدبلوماسية مع الصليبيين في عهد الظاهر بيبرس:
(658هـ-676هـ/1259م-1277م)

المطلب الأول: إعتلاء الظاهر بيبرس عرش المماليك :

كان من الطبيعي إن تؤول السلطنة بعد مقتل المظفر قطز إلى اقوى الأمراء البحرية وقتها وهو الأمير ركن الدين بيبرس البند قداري [1] وبدخوله قلعة الجبل بتاريخ يوم 23 أكتوبر م1261 بدأت صفحة جديدة في التاريخ المملوكي وصفها المؤرخون بفترة الازدهار والقوة[2] .

يعد الظاهر بيبرس المؤسس الحقيقي لدولة سلطنة المماليك، عند معظم المؤرخين ، فالدولة لم تقف على أقدامها، وتتجاوز أخطارها، وتتخطى تحدياتها، إلا في حكمه وقد تحولت موازين القوى في المنطقة منذ توليه الحكم على الساحتين السياسية والعسكرية لصالح سلطنة المماليك بشكل كبير.[3] .

تمتعت الدولة المملوكية في عهد أبو الفتوح بوحدة قوية متماسكة تميزت بالأمن والاستقرار والقدرة على صد الأخطار الخارجية المحيطة بدولته وحماية المشرق الإسلامي وقد ارتكزت سياسته على توحيد الجبهة الداخلية في المنطقة ، وإعطاء الدولة الصفة الشرعية وضمان استقرارها وبقائها وتحصينها عسكريا ، ومن حصيلة ذلك نجاحه في التقرب من العامة والخاصة واسترجاع الثقة بالوسائل السلمية بينه وبين رعيته والقضاء على حركات التمرد والعصيان المعارضة لحكمه، كما عمل على إعادة بعث الخلافة العباسية ليؤمن لحكمه الغطاء الشرعي [4] .

---

[1]- **الظاهر بيبرس** ويعني اسمه باللغة التركية الفهد هو مملوك أصله تركي ، ولد ببلاد القبجاق ،عرف بالبند قداري نسبة إلى أستاذه علاء الدين أيد كين البند قداري ، ولقب بأبي الفتوح ،انتقل إلى خدمة السلطان نجم الدين ، كان شجاعا بطلا ، تولى الحكم بعد مقتل السلطان قطز ،حيث تشير المصادر أنه هو المتسبب في قتله وهو الخامس من ملوك الترك من تولى حكم مصر ، كان بطلا شجاعا ، يعده أغلب المؤرخين أنه المؤسس الحقيقي للدولة المماليك الأولى ، حكم قرابة 18 سنة وعرفت فترة حكمه قوة و ازدهار واتساع دولة المماليك الإسلامية في مصر والشام والجزيرة الفراتية توفي سنة 676ه/1277 م ، انظر ، **ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر** 75-76، **ابن كثير ، البداية والنهاية** ج 13 ص 235

[2]- **ابن شداد** ، تاريخ الملك الظاهر ص 85، **المقريزي** ، السلوك ،ج1 ص 463

[3]- **سعيد عبد الفتاح عاشور**، الظاهر بيبرس، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ،1963 ص 35،38،42

[4] - **ابن واصل** ، ،مفرج الكروب ،ج 6 ص 300 ، **ابن ثغري بردي** ، النجوم الزاهرة ،ج 7 ص64

بعد أن استتبت الأمور ونشر الأمن والاطمئنان في بلاده توجه لمقارعة الفرنج حيث سجل صفحات مشرقة من تاريخ الجهاد ضد التواجد الصليبي، كما تغيرت في عهده معادلات التعامل الدبلوماسي – الإسلامي الصليبي لصالح المماليك.

المطلب الثاني: النظم والمراسيم الدبلوماسية في عهد الظاهر بيبرس:

1-6 ديوان الإنشاء المملوكي:

قام السلطان الظاهر باستحداث ديوان المكاتبات أو ديوان الرسائل[1] وعمل على تطويره وبلغ ذروته في التنظيم باتساع رقعة دولته ،ويعتبر ديوان الإنشاء من أهم دواوين الإدارة المركزية في مصر في العصر المملوكي للمكاتبات والمراسلات الرسمية حيث يشرف عليه عاملون يعرفون بكتاب الدرج يعملون على تحرير المراسلات الدبلوماسية المتبادلة بين السلطان وباقي الأمصار الأجنبية المتواجدة وقتها في صورة البيزنطيين وملوك الحبشة والمغول إضافة إلى صليبي الشرق والغرب .[2]

كما كانت تصدر عنه جميع المراسيم والسجلات وتدوين الاتفاقيات والمعاهدات ، تعمل على وضع الألقاب والأدعية وأساليب المخاطبة، كما حدد أيضا نوع الورق الذي يكتب لكل كيان سياسي بما يتناسب سواء من عقيدته ومكانته وقد تولى ديوان الأنشاء في عهده الأديب فخر الدين بن لقمان في مصر ، و فضل الله العمري في دمشق، وقد تمتع ديوان المماليك بحسن التطور والتسيير في العلاقات الخارجية خاصة مع ملوك أوروبا.[3]

وما استنتجناه من هذا العنصر أن الظاهر بيبرس سهر على تثبيت قاعدة دولته بإعطاء شرعية دبلوماسية بما هو مطابق ومعمول به في الأمصار الأخرى كالدولة البيزنطية مثلا وهذا ما افتقده أسلافه من سلاطين المماليك في بداية تكوين دولتهم [4].

---

[1]- **عمر كمال رفيق**، المرجع السابق ص 128

[2]- **بيبرس المنصوري** ، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، ص 81-82

[3]- **ابن ثغري بردي ، النجوم الزاهرة ،ج 7 ص 185-186**

[4]- **ابن آبيك** ،كنز الدرر،ج7 ص 169

6-2 كاتب السر:

يعرف أيضا بخاتم السر يعد من أهم شخصيات الدولة بعد النواب والوزراء وهو الذي يتولى أمر هذا الديوان حيث يكون من أرفع طبقات الناس ومن أهل الثقة والسياسة، و الدراية والكفاءة ومتقنا للغة العربية ومطلعا على مختلف العلوم ، والأحكام السلطانية وأن يكون أيضا عارفا باللغات الأجنبية[1].

6-3 اللغة المستخدمة والألقاب التشريفية:

لقد حرص الظاهر بيبرس في التعامل والتواصل عن طريق الرسائل الدبلوماسية مع الصلبيين في ترجمة اللغة المستخدمة ، سواء من الطرف الصليبي أو الطرف المملوكي للتغلب على مشكلة الإختلاف في الفهم خاصة في توقيع المعاهدات أو المراسلات، وقد فعل ذلك بعمل نصين الأول بالعربي يكتبه كاتب المسلمين والثاني بالإفرنجي يكتبه كاتب الصلبيين مع تحري المطابقة والتدقيق في الترجمة وأن يحتفظ كليهما بالنسخة[2] .

أما الكتابة في الرسائل الدبلوماسية مع حكام الدول المسيحية تبدأ بالطغرى [3] ، تليها البسملة ثم يليها اسم المرسل له مترافقا مع الألقاب التشريفية حسب مكانة المرسل له والاطار الذي أرسلت فيه الرسالة ، وقد جرت العادة أن يقرن إسم المرسل بلقبه المعروف أو بألقاب اصطلح عليها ، والتي أصبحت في الواقع دلالة أو رمزا للصورة التي يريد ديوان الإنشاء إعطائها للحاكم ، وتحفظ الألقاب احتراما إلى مقام الأشخاص في معظم الأحيان ، ومكانتهم سواء الدينية أو السياسية أو العسكرية[4].

---

[1]- **ابن عبد الظاهر** ، الروض الزاهر ص 88

[2]- **القلقشندي** ، صبح الأعشى ،ج 14 ص 75

[3]- **الطغرى** وهو ما يشمل اسم السلطان وألقابه التشريفية وتكون في فاتحة المراسلات الموجهة إلى الحكام المسيحيين قبل البدء بالبسملة وهي ممارسة بالغة الأهمية إبتكرها السلاجقة وعمل بها الأيوبيين وطورها المماليك في عصر قوتهم وتعد من علامات صحة الرسالة ، **انظر القلقشندي ، المصدر السابق ،ج 8 ص 25-26**

[4]- **سعيد عبد الفتاح عاشور** ، الظاهر بيبرس ص 130

4- 6 اختيار رسل المماليك:

كان السلطان بيبرس يختارهم لخوض مهام التمثيل الدبلوماسي في الأمصار الأجنبية خاصة مع الصليبيين في الشرق أو الغرب ، حيث عمل على انتقائهم وفق شروط معينة مثل الفصاحة والذكاء والشجاعة والجرأة ، وتحمل المسؤولية كما كان يمتحنهم قبل التوجيه ، وكان يعينهم وفق المكانة والدراية بالأحكام السلطانية والكفاءة والثقة والمنصب [1].

إعتمد السلطان الظاهر على أغلب الأمراء وكتاب الدواوين والقضاة الذين تتوفر فيهم الشروط المذكورة سابقا في فترة حكمه[2] ، ومن بينهم الأمير فارس الدين أقطاي المستعرب الذي عمل في أغلب السفارات إلى الصليبيين خاصة مع الاسبتارية ، وذلك لإتقانه للغات الفرنجية والفارسية والتركية والعربية ، إضافة إلى الأمير سيف الدين بلبان الرومي الذي يعتبر من أشهر الأمراء والسفراء المترجمين للمراسلات مع الفرنجة والمقربين إلى السلطان الظاهر ، وكذلك الأمير عز الدين الكبكي مترجم ومبعوث السفارات إلى الممالك الإسبانية كقشتالة ،دون أن ننسى المؤرخين والكتاب والقضاة الذين عاصروا فترة السلطان الظاهر أمثال محي الدين ابن عبد الظاهر الذي أرسل في عدة سفارات إلى بوهيمند صاحب انطاكية وطرابلس وابن واصل الذي شغل مبعوثا إلى الدولة البيزنطية.[3]

5-6السفارات والسفراء الأجانب :

شكلت السفارات الوافدة على الدولة المملوكية صور التواصل والحوار الدبلوماسي الذي يندرج في المعاهدات المبرمة والهدن وفداء الأسرى واتفاقيات الصلح وكانت تنتهي بانتهاء المهمة ، وقد عمل الظاهر بيبرس في دولته على إنشاء دار الضيافة المهيأة بوسط القصر المملوكي ، لإستقبال السفراء الأجانب خاصة الصلبيين ، والسهر على راحتهم وإقامتهم وفقا لما تمليه الأعراف الدبلوماسية .[4]

---

[1]- **القلقشندي** ، صبح الأعشى ج1 ص 116
[2]- **ليلى عبد الجواد**، علاقة الدولة البيزنطية بسلطنة المماليك البحرية ص 83-94
[3]- **محمد جمال الدين سرور** ،الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره ص 77
[4]- **ابن عبد الظاهر** ، الروض الزاهر ص 103

ما يلاحظ أن السفارات كانت مؤقتة ولم تكن دائمة حيث لا تتعدى مدتها ثلاثة أيام، وذلك حسب نوع مهمة السفير وعادة ما يكون الرسل مزودين بوثائق عرفت ، باسم التذاكر تحمل اسم المرسل وصفته وهي تشبه الجواز الدبلوماسي.[1]

6-6حماية الرسل والوفود الدبلوماسية :

عرفت دولة المماليك في عهد الظاهر بيبرس استقبالا كبيرا للرسل والوفود الأجانب من مختلف الأصقاع وكان أكثرهم رسل الفرنجة في الشرق والغرب ، وكانت تمنح لهم بعض الميزات الدبلوماسية المعمول بها في عصرنا المعروف بالحصانة الدبلوماسية أما من ناحية التعامل فقد عاملهم الظاهر وفق ما تمليه الشريعة الإسلامية والأعراف في هذا الجانب فضلا عن الأمان وحسن الإستقبال وإظهار الحفاوة والكرم لاستمالتهم وكسب ودهم [2] .

استحدثت في عصر السلطان الظاهر أسلوب حماية ومرافقة الرسل و الوفود خاصة أثناء عودتهم إلى ديارهم ، وقد أشارت المصادر التاريخية أن وفدا من حكومة عكا عند زيارتهم للقاهرة طلبوا من السلطان الظاهر حمايتهم أثناء عودتهم[3] ، خوفا من الأخطار التي قد يتعرضون إليها السفراء وما يحملونه من مراسلات في تأدية مهامهم ، وقد وافق عليها ، وجعلها عادة دائمة منذ ذلك الوقت مع السفارات الأخرى سواء الأجنبية أو الإسلامية .[4]

---

[1] - **عمر كمال توفيق** ، مرجع سابق ص 129

[2]- **ابن الفراء**، رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة ص 134-138

[3]- **سعيد عبد افتاح عاشور** ، الظاهر بيبرس ص 131

[4]- **المقريزي** ، السلوك لمعرفة دول الملوك ،ج1 ص 581،

المطلب الثالث : النشاط الدبلوماسي مع الصليبين أثناء الحرب:

اتبع الظاهر بيبرس سياسة صلاح الدين الأيوبي تجاه الصلبيين ، حيث خطط في التعامل معهم من خلال استراتيجية دبلوماسية تحت الضغط بالقوة ، ولم يشرع في تنفيذ سياسته إلا بعد عقد محالفات مع الدول المجاورة كالدولة البيزنطية ومغول القبجاق ، وقد استعمل الدبلوماسية الحربية في مناوأة صليبي المشرق ،بعد استغلال ضعفهم ، فيعقد هدنة وصلح مع إمارة بما تمليه المصلحة وبما تقتضيه الضرورة وفي نفس الوقت يحارب إمارة أخرى ، وذلك قصد تشتيت وحدتهم وفرض هيمنته .

1-المهادنات ومعاهدات الصلح مع الصلبيين :

أ-هدنة موسم الزراعة بين الأمارات الصليبية والمماليك سنة 662/1263م:

في صفر662/ديسمبر1263ارسلت الممالك الصليبية في الشام سفارات الى سلطان المماليك بمصر ونوابه بالشام يطلبون فيها عقد هدنة سلام ووقف للقتال [1] قصد إحياء الزراعة في أراضيهم بالشام ، وبعد سلسلة من المراسلات والمفاوضات ، تقرر الاتفاق على إبرام هدنة مؤقتة إلى غاية إنهاء الحصاد ، ومن المعلوم ان الزراعة في الشام كانت الرابط بين المسلمين والصلبيين ، وبالتالي دعم العمل الدبلوماسي بين الطرفين في مسألة الزراعة التي تعتبر عامل يتقيد به كليهما. [2]

ب- الهدنة مع الأسبتارية:

أدرك الأسبتارية [3]خطورة الموقف بعد هزيمتهم في صفد 664ه/ 1266 فأرسلوا في نفس السنة رسول من بيت الاستبار إلى الظاهر بيبرس يطلب استقرار الصلح والهدنة وقد اقدم السلطان على عقدها لإراحة الجيش والاستعداد إلى جولة قادمة مع الصلبيين ، ومن

---

[1]- **بيبرس المنصوري** ، مختار الأخبار ص 25

[2]- **أبو الفداء** ، المختصر في أخبار البشر ج 3 ص 217

[3]- **الاسبتارية : وهي هيئة دينية تأسست من تجار للأشراف على المرض الفقراء من حجاج بيت المقدس** كلمة تطلق وتعني بيت المرضى ثم نحولت الى هيئة عسكرية شكلت في عهود الحروب الصليبية في الشرق وهي معروفة كذلك بفرسان القديس يوحنا **انظر هوبرت فيشر، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ص 444**

قواعد هاته الهدنة أنها أدخلت الفرقة والانقسام داخل صفوف الصليبيين وعلى راسهم الداوية ، كما حرموا من العائدات التي كانوا يستفادون منها . [1]

هادن السلطان الظاهر الاسبتارية بحصني الأكراد[2] والمرقب سنة 665ه/1267 م لمدة عشر سنوات وعشرة اشهر وعشرة أيام ،ومن دواعي هاته الهدنة والصلح هو ادراك عدم ترك المواجهة لإعدائه مفتوحة ، حيث كانت بلاده محاطه من كل جانب بالأعداء ففي الشمال مملكة أرمينية الصغرى ومن الغرب الصلبيين في أوروبا ومن الشرق المغول إضافة إلى المؤامرات الداخلية، كما أرسلت رسل في نفس السنة إلى مصر تلتمس من السلطان الحلف على معاهدة الهدنة الساري مفعولها ابتداءا من 04 رمضان 665/28 ماي 1267 م.[3]

ج-الهدنة والصلح مع طرابلس 669ه /1271م:

خيم الحصار المملوكي على طرابلس ، ولم يلبث أن ارسل السلطان من معسكره أميره فارس الدين بلبان الرومي والكاتب عبد الله ابن آيبك والد المؤرخ آيبك الدواداري إلى إمارة طرابلس، واستقبل من طرف صاحبها بوهيمند السادس وعرضوا عليه المقترحات والشروط لفك الحصار وإبرام الهدنة، والتي تمثلت في تقسيم ومناصفة أعمال طرابلس وإعطاء خراج منطقتي جبلة واللاذقية بأثر رجعي أيام صلاح الدين وقد رفض صاحب طرابلس الشروط معتبرها إهانة [4] .

---

[1]- **القلقشندي** ، صبح الأعشى ،ج10 ص 34-40

[2]- **حصن الأكراد** حصن منيع على جبل مقابل مدينة حمص من جهة الغرب وقد سكنه الأكراد ليكون طليعة بوجه الغزو الصليبي ولهذا سمي باسمهم ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،ج 2 ص 264

[3]- **بيبرس المنصوري** ، التحفة الملوكية في الدولة التركية ص 72

[4]- **جبلة :**قلعة مشهورة بساحل الشام ، من أعمال حلب باللاذقية استردها صلاح الدين سنة 584 انظر **ياقوت الحموي** ، معجم البلدان ج2 ص 105

اقترح بوهيمند بنود بديلة ترضي الطرفين تمثلت بنود بديلة تمثلت في:

أن تكون عرقة وجبيل مناصفة لصاحب طرابلس مع اقتسام غلال الساحل الشامي في مناطق طرطوس والمرقب وبانياس مع الداوية والأسبتارية مقابل التنازل على منطقتي بعرين وحمص للظاهر بيبرس.[1]

وبعد اخذ ورد وافق السلطان و استجاب **بوهيمند** إلى توقيع معاهدة هدنة وصلح لمدة عشرة سنوات وعشرة اشهر بتاريخ 08 شوال 669ه/الموافق 20ماي 1291م.[2]

د- الهدنة مع إدوارد الأول قائد الحملة الإنجليزية على الشام سنة670ه/1272م:

لم تحقق الحملة الإنجليزية في سنة 670ه /شتاء 1272 م التي قادها الأمير إدوارد الأول وحلفائه من المغول بعد استنجاد عكا أي نتائج في بلاد الشام ، نظرا لقوة المماليك المسلمين ، فلجأ إلى للعمل الدبلوماسي والمتمثل في عقد هدنة مع السلطان المملوكي تكفل البقاء للشرق الصليبي وقتا إضافيا ، وقد توسط في هذه المهمة الدبلوماسية الأمير شارل **كونت انجوا** [3]وقبل السلطان الظاهر المبادرة وتمت اتفاقية الهدنة والصلح في قيسارية بتاريخ شهر شوال 670ه/الموافق لشهر أيار 1272 م. [4]

تضمنت أغلب بنود الهدنة في احتفاظ مملكة عكا بممتلكاتها الحالية من السهل الساحلي الشامي الضيق الممتد من عكا إلى صيدا ومنحها حق استخدام طريق الحجاج إلى الناصرة واستمرار الهدنة لمدة عشرة سنوات وعشرة أشهر وعشرة أشهر ، ومنح عهد الأمان لكونتية طرابلس بوقف القتال بعد عقد الهدنة. [5]

---

[1]- **محمد سهيل طقوش** ، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام ص 256

[2]- **اليونيني** ، ديل مرأة الزمان ، ج2 ص 450، **ابن ثغري بردي** ، النجوم الزاهرة ،ج7 ص 137-152

[3] - **شارل أنجوا:** وهو شارل الأول أنجوا وهو ملك صقلية خلال فترة 664ه-683ه/1266-1285م، حمل صفة ملك بيت المقدس عرف ، بإسم ريجا ر **انظر، رنسيمان** ، تاريخ الحروب الصليبية ج3 ص 367

[4]- **ابن عبد الظاهر** ، الروض الزاهر ص383-384

[5]- **سعيد عبد الفتاح عاشور** ، قبرص والحروب الصليبية ص 47-48

هـ- المهادنات مع صليبي عكا:

عقد المماليك وصلبيي عكا في فترة حكم الظاهر بيبرس عدة معاهدات صلح وهدن بعدما أن تخللتها هجوما وإغارات وحصارا بين التارة والأخرى من أهمها:

1-معاهدة هدنة سنة 660هـ/1261 م:

أرسلت سفارة من عكا إلى دمشق إلى الظاهر بيبرس تطلب الأمان وتجديد الهدنة المؤقتة التي عقدت قبل عين جالوت وقد حظيت بالموافقة تتخللها عدة شروط تمثلت في تامين الطرق التجارية البرية بين مصر والساحل والشامي وإطلاق سراح الأسرى في عكا من أيام صلاح الدين إلى غاية هدنة عين جالوت[1].

2- معاهدة هدنة سنة 662هـ/1263م:

أقدمت رسل من عكا إلى البلاط المملوكي في مصر تلتمس الصلح والإعتذار في رسالة ودية ، والإلتزام بالهدنة الموقعة قبل عامين بعد هجوم أحد الحاميات الصليبية على بعض المعاقل الإسلامية في عسقلان ،وقد قبل الإعتذار والصلح من طرف السلطان مقابل تعويض الخسائر مضاعفة وإعادة بناء ما خربه الصليبيون وتجديد الهدنة .[2]

3-معاهدة هدنة سنة 670هـ/1271م:

بعد فتح أنطاكية من طرف المماليك ظهرت مخاوف باقي الإمارات الصليبية ، فسعى ملك عكا الجديد هيو الثالث جاهدا على إقامة علاقة دبلوماسية ، و بداية عهد سلام وأمن جديد مع المماليك ، معتمدا على وساطة صاحب صور **فيليب مونتفورت** الذي تربطه هدنة مع السلطان المملوكي[3] .

قام الملك هيو الثالث بأرسال وفد دبلوماسي صليبي إلى القاهرة محملا بهدايا قيمة متكونة من صيغ وجواهر ثمينة ، يطلب فيها تجديد الهدنة وتوطيد العلاقة بين الطرفين ، واستقبلهم السلطان بترحاب ، وقد أرسل من ورائها سفارة يقودها المؤرخ القاضي إبن عبد الظاهر استجابة

---

[1]-**علي محمد كرد**، خطط الشام ج2ص 114

[2]- **ابن ثغري بردي** ، النجوم الزاهرة ج7 ص 147

[3]- **محمد سهيل طقوش** ، تاريخ المماليك في بلاد الشام ومصر ص 126

للهدنة ، حيث لجأ السلطان لشيء من الديبلوماسية لحماية أملاكه في بلاد الشام ومصر ، بسبب الخطر المغولي الذي يهدد لغزو الشام ، و تردد شائعات قدوم حملة لويس التاسع على مصر ، وقد تم الإتفاق على هدنة الصلح بتاريخ صفر670/سبتمبر 1271م.[1]

أجمعت المفاوضات بين الطرفين على المصادقة على بنود هامة تمثلت في مناصفة المناطق الجغرافية في عقد الهدنة ، والتي شملت ضيع عكا وماجورها من بلاد حيفا والتي قدرت ضيعها بواحد وثلاثين ضيعة ،و حددت أيضا مدة هدنة الصلح لمدة 10 سنوات غير قابلة للنقض حتى من الصليبيين في الغرب، وكذلك إحتفاظ السلطان الظاهر بما فتحه حديثا من الحصون الصليبية قبل عقد الصلح وقد كانت هذه البنود مكسبا كبيرا للمسلمين بعد الإستحواذ على أغلب الأراضي الصليبية مناصفة.[2]

2-مفاوضات ومعاهدات الأمان والاستسلام مع الصليبيين :

أ- مفاوضات فتح قيسارية سنة1265/664 م:

حاصر الظاهر بيبرس في جمادى الأولى 664ه /فيفري 1265 حيث احتمى الصليبيون بقلعة تدعى الخضراء، واستمر الحصار لمدة شهر إلى غاية جمادى الثاني 664ه/منتصف مارس1265م، وقد أرسلوا وفدا للتفاوض وعقد معاهدة سلم وتسليم القلعة مقابل الأمان ، وقد تم الاتفاق بمغادرة القلعة سالمين وتسليمها بعقد إستسلام مع الأمير **شهاب الدين القيمري** [3] ، ومما يلاحظ في هذه المعاهدة هو تسامح الظاهر مع صليبي قيسارية وتوقيف القتال بعد الاستسلام ، رغم نقضهم للعهود وارتكابهم مذابح في هجومهم على القلاع الإسلامية في حملاتهم الصلبية.[4]

ب-مفاوضات فتح أرسوف 664 ه/1265:

فرض الحصار على قلعة أرسوف التابعة للأسبتارية بعد فتح قيسارية، ولم يلبث أن اشتد القتال بين الغريمين، وبمرور ثلاثة أيام طلب صاحب القلعة الأمان مقابل التسليم والأستسلام

---

[1]- **ابن عبد الظاهر** ، الروض الزاهر ص325-

[2]- **ابن العماد الحنبلي** ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج5 ص329

[3]- **شهاب الدين القيمري:** تنحدر أصوله من القبائل الكردية وبالضبط من القبيلة القيمرية المعروفة بجهادها في العهد الأيوبي والمملوكي وهو من أكبر القادة العسكريين الذين أعتمد عليهم الظاهر بيبرس في حكمه ، كلف بالمهمات الحربية والسياسية ، **انظر اليونيني ، ذيل مرأة الزمان** ج3 ص 85،

[4]- **النويري** ، نهاية الأرب ج30 ص 298، **ابن كثير** ، البداية والنهاية ج13 ص 284

وأعطى الظاهر الأمان، وسلمت القلعة بتوقيع معاهدة الاستسلام بين صاحب القلعة والأمير المملوكي علم الدين سنجر المسروي في رجب663هـ/ أفريل 1265م.[1]

ج- مفاوضات فتح يافا 666هـ/1268:

في بداية حكم الظاهر بيبرس على دولة المماليك عقد صاحب إمارة يافا **جوان دبلين** سنة 659/1261م معاهدة صلح وسلم مع السلطان ، لكن أهل يافا لم يحفظوا العهد طويلا، حيث اعتدوا على بلاد الظاهر بيبرس، وبتولي **جاك جاي** حكم يافا في **665 هـ/1267م** بعد وفاة والده ارسل وفدا يطلب تجديد الهدنة ، ولكن طلب الحاكم الجديد رفض من طرف السلطان بعد نقضه لعهد الصلح السابق .[2]

ثم بادر المماليك في محاصرة يافا في جمادى الثانية 666هـ/فيفري 1268 م وقد أرسل وفدا اخرا إلى المعسكر المملوكي طمعا في فتح المفاوضات وإبرام الهدنة، ووقف الحصار والقتال ، وببقاء الموقف الصارم للسلطان رافضا للهدنة ، إلتجأ صليبي يافا إلى الرضوخ وتسليم المدينة مقابل عهد أمان على انفسهم وأموالهم ، وتم الاتفاق على عقد معاهدة استسلام ، وما إن تمت السيطرة على المدينة ، حتى إلتزم بيبرس بأمان سكان يافا ، وعدم نهب المدينة ، وقام بتعويض من أصابه الضرر والنهب حيث قدرت تكاليف التعويض بأربعين الف درهم .[3]

د-العلاقات مع أرمينية الصغرى :

اتبعت الدولة المملوكية تجاه الأرمن في فترة الظاهر بيبرس سياسة تمثلت أغلبها في العداء والوفاق والسلم في حالات قليلة تخللتها في معظم الفترات إلى خرق معاهدات واتفاقيات المبرمة من طرف الأرمن.[4]

اضطر الزعيم الأرمني هيثوم الأول في ذي القعدة 664 هـ/أوت 1266 م للجوء إلى الدبلوماسية ، ليجنب بلاده كارثة حقيقة بعد مهاجمتهم من طرف المماليك ، ونتج عن ذلك فتح

---

[1]- **قاسم عبد قاسم** ، عصر سلاطين المماليك ص 102
[2]- **سعيد عبد الفتاح عاشور**، الحركة الصليبية ج2 ص 362
[3]- **السير موير**، تاريخ المماليك ص 56
[4]- **بيبرس المنصوري** ، زبدة الفكرة ص 115، **ابن شداد** ، تاريخ الملك الظاهر ص 106

المفاوضات وترددت الرسل على السلطان تطلب منه عقد اتفاق هدنة ووقف القتال ، ورد الظاهر بيبرس بطلب الدخول في الولاء والطاعة وأداء الجزية وفتح الطريق بين أرمينية وبلاد الشام ، لتمكين الناس من شراء القمح والشعير وفك الحصار الاقتصادي المضروب على المسلمين ، وانتهت بفشل المفاوضات . [1]

لجأ ملك أرمينية مرة أخرى لطلب الهدنة بعد هزيمة من الجيش المملوكي سنة 666هـ/1267 م ومهاجمة عاصمته سيس[2] واسر مقاتليه من بينهم ولده ، وقد تقرر معاهدة الصلح بموافقة السلطان على الشروط استسلام والدخول في الطاعة ودفع الجزية سنوية ،وقد تم تبادل الأسرى حيث فك أسر إبنه مقابل إطلاق سراح الأمير المملوكي شمس الدين سنقر الأشقر المعتقل من طرف المغول ، مع استرداد بعض القلاع أخذها الأرمن من إمارة حلب ، وبقيت أرمينية خاضعة بالطاعة والولاء في حكم سلاطين دولة المماليك ، رغم خرقها للعهود في كل مرة. [3]

هـ-مراسلة بيبرس إلى أمير انطاكية بعد فتحها:

قام السلطان الظاهر بمكاتبة صاحب أنطاكية وطرابلس بوهيمند السابع [4]، وقد إحتوت هاته المراسلة على مجمل من عبارات الإستفزاز وبين طياتها الكثير من التهديد والوعيد وفي نفس الوقت، ومن خلال الرسالة أعطاه نوعا من الأمل لفتح صفحة جديدة وبناء العلاقات دبلوماسية سلمية على أن تأتي المبادرة من طرف الملك الصليبي ومسايرته للواقع المفروض ، وقد أثرت هاته المكاتبة في نفس أمير انطاكية وطرابلس تأثيرا سيئا. [5]

---

[1]- **سعيد عبد الفتاح عاشور** ، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ص 250

[2]- **سيس** : هي عاصمة بلاد أرمينية الصغرى تسمى ببلاد سيس تقع شمال الجزيرة والشام أخضعت في عهد المماليك في فترة حكم السلطانين ، الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون ، انظر **ياقوت الحموي** ،**معجم البلدان** ج3 ص 297-298

[3]- **نادية محمود مصطفى** ، العصر المملوكي من تصفية الوجود الصليبي إلى الهجمة الثانية ص 24

[4]- **بوهيمند السابع** :حكم بعد وفاة والده 773هـ/1275 م ولكنه ظل مع أقارب والدته في أرمينية حتى بلوغه سن الحكم في 775هـ/1277م ، ولقد وجد معارضة من حاكم جبيل جاي الثاني امبارياكو وفرسان المعبد ، انظر **رنسيمان** ، **تاريخ الحملات الصليبية ج 3 ص 841**

[5]- **حسين محمد عطية** ،إمارة انطاكية الصليبية والمسلمون ص ص 485،479

المطلب الرابع: النشاط الدبلوماسي مع الصليبيين في زمن السلم:

عمل السلطان الظاهر في هاته المرحلة على تدعيم نشاطه الدبلوماسي بالعلاقات الودية والسلمية المباشرة ، وهي السلم والأمان ،دون خلفيات حروب أو هدنات وقف قتال مؤقتة أو حتى معاهدات طاعة أو استسلام ، فقد اتخذ أسلوب مباشر في الدبلوماسية مع بعض الصليبيين في الشرق والتركيز على الغرب، مبنيا على رسم قاعدة التعامل والتعايش السلمي وخلق أواصر الصداقة والتبادل التجاري وفق مصالح مشتركة ، وأنشاء تحالفات دفاعية وكانت كلها تصب في جوف واحد وهي تفكيك وكسر وحدة باقي المعاقل الصليبية المتبقية وإجلائهم من الشام. [1]

1-العلاقات مع إمارة بيروت:

بعد الحملات العسكرية التي شنها الظاهر بيبرس في بداية حكمه سنة 659ه/1261 ،على الصلبيين أجبرت معظم الإمارات الصلبية على إرسال وفود و سفراء دبلوماسيين إلى الظاهر بيبرس في الشام يطلبون الهدنة والسلم ، وفي مقدمتها حاكم إمارة بيروت **يوحنا الثاني دبلين** [2] الذي نجح في مسالمة المماليك ، وإقامة معاهدة صلح وهدنة سنة 660ه/1261 م وتبادل الأسرى.[3]

سلكت الأميرة إيزابيلا ابلين[4] نهج والدها يوحنا الثاني في الحفاظ على العلاقات الودية مع المماليك وانتهجت سياسته من خلال إرسال الهدايا بين الحين والأخر إلى السلطان بيبرس، للتأكيد على حرصها على استمرار العلاقات السلمية واحترام الهدنة والعمل على كسب ود السلطان ،و لكي تأمن جانبه ، عملت على كسب ثقته بعد أن استأمنته على بلادها في فترة سفرها إلى أوروبا ، وقد تجددت معاهدة صلح سنة 667ه/1269 م بعد أن لوحظ الاحترام المتبادل والالتزام بين الطرفين، وقد ظلت بيروت الإمارة الوحيدة التي لم تتعرض إلى أي حملة عسكرية من طرف المماليك في عهد الظاهر بيبرس ، وقد إستمرت العلاقات الدبلوماسية بعد وفاته[5].

---

[1]- **ابن عبد الظاهر** ، الروض الزاهر ص 256

[2]- **يوحنا الثاني ابلين** حكم بيروت في الفترة ما بين 1247-1264 **م انظر را نسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ج 3 ص344**

[3]- **سعيد عاشور عبد الفتاح** ، العصر المماليكي ص 456

[4]- **إيزابيلا ابلين** ، البنت الكبرى لحاكم بيروت يوحنا الثاني حيث ورثت العرش في الفترة 1264-1977 انظر را نسيمان ،المرجع السابق ص 378

[5]- **المقريزي** ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج1 ص 546

2-معاهدة تجديد الصلح مع إمارة صور666هـ/ 1267م:

بادر صاحب صور الحاكم **فيليب مونتفورت** [1] بعقد اتفاقية هدنة في بداية حكم الظاهر بيبرس سن660هـ/1261م وقد عرف بحنكته السياسة في الحفاظ على إمارته وقد حافظ على الهدنة مع المماليك حتى انتهائها ورفض كذلك التحالف مع المغول وقد بادل السلطان بيبرس الإعزاز والتقدير ورأى فيه حاكما قديرا وحاكما دبلوماسيا بارعا وعمل على توطيد العلاقات وتجديد الهدنة.[2]

وجد صاحب صور الجديد الأبن يوحنا مونتفورت أن الزحف المملوكي الإسلامي على مشارف إمارته، إضافة إلى حادثة مقتل غلام السلطان التي وضعته في موقف حرج ، فأرسل على إثرها وفدا للتفاوض على اتفاقية تحديد هدنة وإبرام معاهدة صلح ودفع دية الغلام وقد وافق السلطان بشروط أرضت الطرف الصليبي، وتم توقيع هدنة سلام لمدة عشر سنوات وعشرة اشهر وعشرة أيام على أن تكون من عشرة بلاد صور خمسة للسلطان يختارها في أي منطقة والخمسة الباقية مناصفة بين الطرفين.[3]

بعد الاتفاق ارسل وفدا مملوكي لتوقيع حلف صاحب صور ، وقد جنح الظاهر لقبول الصلح وهو في موضع قوة ، تحسبا لهجوم مغولي أو وصول مدد صليبي من الغرب[4]

---

[1]- **فيليب مونتفرات** حكم صور واعمالها سنة 1240 الى غاية 1267 يعتبر علما من اعلام الصلبيين ، عرف بالحنكة السياسية واساليبه الدبلوماسية تجاه اعدائه ، كما عرف بالرجل الصامد القوي عند الصلبيين ، **انظر راتسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ج3 ص 379**

[2]- **سعيد عاشور عبد الفتاح** ، الحركة الصليبية ج 2 ص 787

[3] - **العيني** ، عقد الجمان ،ج2 ص 81

[4]- **المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ج 1 ص 615**

3-بعثة وفود الصلح الأوروبية إلى الظاهر بيبرس سنة 666ه/1268م :

أرسلت ملوك وقادة أوروبا سنة 666ه/1268م وفد دبلوماسي مشترك إلى دولة المماليك بالقاهرة في زيارة ودية إلى السلطان الظاهر غرضها المصالحة والسلام حاملين معهم مكاتبات يسألون فيها رفع السيف والشفاعة عن إمارات صليبي الشام بعدما اشتدت عليهم حملات الجيش المملوكي [1] .

أصبحت قاهرة الظاهر بيبرس في هذه الفترة ، قبلة للسفارات والوفود الأجنبية بمن فيهم الغرب الأوروبي ،حيث استقبلت الوفد المبعوث أنفا أحسن استقبال والمتكون من رسول ملك ألمانيا كونكراد ابن الإمبراطور فريدريك الثاني، رسول الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثامن ، رسل ملوك الجزيرة الإيبيرية وعلى رأسهم الفونسو ورسول الملك البرشلوني ، إضافة إلى السفير المبعوث من طرف البابا **كليمونت الرابع** المسمى شارل أنجو ، الذي كان متنكرا وكشف من طرف السلطان بيبرس.[2]

بغض النظر عن الطلب المشترك للوفود الأوروبية في مسألة صليبيي الشام ، فأن أغلبهم كان يحمل أيضا مراسلات ثانية في طي سفارتهم ، تهدف إلى إقامة علاقات صداقة أو تحالف ومعاهدات تجارية مشتركة .[3]

رد الظاهر بيبرس على المطلب الرئيسي وهو القبول والأقبال على الشفاعة في صليبيي الشام وفق الشروط المفروضة والظروف الزمنية المحددة ، كما أجاب على مراسلة كل ملك بالسعي جاهدا على تعزيز العلاقات الدبلوماسية مع الدول الأوروبية والنصرانية يخدم مصالح الجميع والتي أساسها التعايش السلمي. [4]

-

---

[1]- **ابن عبد الظاهر** ، الروض الزاهر ص 336،337

[2]- **قاسم عبده قاسم** ، عصر سلاطين المماليك ص 107

[3]- **رنسيمان** ، تاريخ الحروب الصليبية ج3 ص 388

[4]- **محمد جمال سرور** ، الظاهر بيبرس ودولة مصر في عصره ص 117 .119

4 – سفارات الصداقة بين دولة المماليك ومملكة إشبيلية :

بادر الفونسو ملك مملكة إشبيلية في الغرب الصليبي بإرسال سفارة سنة 1271/669 م، يتراسها رسول أندلسي يدعى دينار بزيارة ودية إلى الظاهر بيبرس في القاهرة ، وكانت غايتها فتح أواصر الصداقة والتعامل مستقبلا في المجال التجاري البحري بين الطرفين.[1]

استقبل الرسول الإشبيلي بحسن الضيافة والترحاب ، وأبدى السلطان موافقته على المبادرة كرد مبدئيا نقله الرسول المبعوث بعد مغادرته في اليوم الثاني من القاهرة ، وعمل السلطان بالمثل بعد أن سير وفدا دبلوماسيا من أمراءه بتاريخ 669 /1276 م محملا بالهدايا الثمينة تمثلت في تحف أثرية مصرية ، وقد أكرمت البعثة المملوكية احسن تكريم من طرف الملك الفونسو ، وقادهم في جولة سياحية بالمدينة ، وانتهت السفارة بأبرام معاهدة تجارية بين الطرفين. [2]

5-مفاوضات الظاهر بيبرس مع رسل فرنسا سنة670ه/1271م:

وصل بتاريخ محرم 670/ أغسطس 1271 وفد دبلوماسي فرنسي [3] قادما من الغرب الأوروبي الى القاهرة ، يحمل رسالة تشفع للسلطان في اهل عكا بهد نقضهم للهدنة وقد استقبلوا من طرفه في دار لصناعة السفن ، وكان ذلك بتعمد الظاهر بغية اظهار الاستعدادات الحربية البحرية للوفد الفرنسي قصد ترهيبهم ، وقد اظهر بيبرس بعض المرونة الدبلوماسية في التفاوض معهم وذلك قصد عدم افشال سعيهم في طلب الشفاعة لأهل عكا. [4]

6-العلاقة مع الدولة البيزنطية661ه/1262م :

من المعروف أن موقع الدولة البيزنطية في القسطنطينية التي تقبع بين بوابتي الشام في الشرق وأوروبا في الغرب وبحكم موقعها فأنها كانت محتكة بالأحداث الجارية في الشرق والغرب

---

[1]- **ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر ص 131-132**
[2]- **قاسم عبد قاسم** ، في تاريخ الايوبيين والمماليك ص 237
[3]- **ابن شداد ، مصدر سابق ص 52**
[4]- **محمد سالم محمد صلاح**، المفاوضات والمعاهدات بين المماليك البحرية والصليبيين في بلاد الشام ص 151

، وقد بدا الاتصال البيزنطي بدولة المماليك سنة 661هـ/1262م حيث أرسلت أول سفارة إلى القاهرة تعرض تقديم المساعدة لسلطنة الظاهر في حربه ضد المغول والصليبيين [1].

في السنوات العشر660هـ-671 هـ/1262م-1272م تبادل الظاهر بيبرس وميخائيل الثامن الوفود الدبلوماسية وأبرمت معاهدة صداقة تمحورت على فتح طريق تجاري، يسمح بمرور المماليك من مصر إلى الشام ،كما عمل السلطان على قبول إقامة بطريك أرثوذوكسي في الإسكندرية ، وتواصلت تبادل الهدايا بين العاهلين .[2]

توطدت العلاقات الدبلوماسية بين المماليك والدولة البيزنطية لتصل إلى إنشاء مشروع تحالف، ودعم عسكري ضد خطر الغرب الأوروبي ، وقد تخللته فترة سوء تفاهم ، بعد أن منع الإمبراطور مرور رسل إلى بلاط مغول القبجاق الملك بركة خان الذي كانت علاقته سيئة مع البيزنطيين ، لكنه سرعان ما تدارك الأمر وأطلق سراح الرسل وبعث بهدايا للسلطان بيبرس ليسترضيه وظلت العلاقة الودية قائمة في فترة المماليك البحرية .[3]

7-العلاقات مع صقلية سنة 659هـ/1261م:

أقامت دولة المماليك البحرية علاقات سلمية وتجارية مع إمارة صقلية التي احتفظت بالعلاقات الودية والطيبة منذ العهد الأيوبي ،حيث حرص **مانفرد** ملك صقلية على صداقة السلطان بيبرس وتشير المصادر التاريخية إلى تبادل الهدايا بن الطرفين. [4]

أرسل بيبرس وفدا إلى ملك صقلية سنة 659هـ/1261م يترأسه المؤرخ ابن واصل يحمل هدايا تمثل في بعض الزرافات وبعض أسرى عين جالوت من المغول ، كما بادل ملك صقلية بسفارة مشابهة تحمل هدايا للسلطان ، وقد ظلت العلاقات الدبلوماسية قائمة في عهد المماليك البحرية في سلام ودون عداء[5].

---

[1]- **ابن عبد الظاهر** ، الروض الزاهر ص 257-258
[2]- **محمد سهيل طقوش** ، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام ص 199
[3]- **ابن واصل** ، مفرج الكروب ،ج6 ص 355
[4]- **المنصوري**، زبدة الفكرة ص 76، **المقريزي** ، السلوك ،ج1 ص 471
[5]- **سعيد عبد الفتاح عاشور** ، العصر المماليكي ص 266-267

❖ **المبحث الثاني: المعاهدات والمهادنات مع الصليبيين في عهد المنصور قلاوون**

❖ **المطلب الأول:** المنصور قلاوون واعتلائه العرش

❖ **المطلب الثاني:** مهادنات الصلح مع الصلبيين في مرحلة الأعداد

❖ **المطلب الثالث :** المعاهدات والمفاوضات مع الصلبيين في مرحلة السيطرة

❖ **المطلب الرابع:** دبلوماسية السلطان المنصور مع ملوك أوروبا في الغرب

المبحث الثاني: المعاهدات والمهادنات مع الصليبيين في عهد المنصور قلاوون (678هـ-689ه/1279م-1291م)

المطلب الأول : المنصور قلاوون واعتلائه العرش:

جلس سيف الدين قلاوون [1]على تخت الملك بعد وفاة الظاهر بيبرس وخلع ولده بركة خان في شهر رجب 678ه/ نوفمبر1279م وحلف له الأمراء وأرباب الدولة ولقب بالملك المنصور ، ولم يلبث أن تعرض في أوائل حكمه لنفس النوع من العقبات التي تعرض لها غيره من سلاطين المماليك الذين سلفوه ، وكان من الطبيعي أن يعمل على تثبيت مركزه وتدعيم قوته بإسناده المناصب الكبرى إلى خشداشيته [2]، فسيرهم ولاة الأمور ، وقادة للعساكر ، ونوابا على الأقاليم التابعة له، ونجح في الأخير بالقضاء على المعارضين والمتآمرين عليه[3] .

---

[1]- **سيف الدين قلاوون** بن عبد الله التركي الألفي العلائي الصالحي النجمي ، تركي الجنس من القبيلة المعروفة ببرج اعلى قبائل القبجاق في جنوب روسيا ، جلب صغيرا إلى أسواق النخاسة بمصر ، بعد أن استولى المغول على بلاده سنة 640ه/1242 م وتعني لفظة قلاوون هي طائر البط ، ولقب بالألفي لأنه اشترى بألف دينار نظرا لمواصفات والميزات التي يكتسيها والتي لا تستوفي في غيره ، أما العلائي فنسبة للأمير علاء الدين اقسنقر الذي اشتراه ،أما الصالحي فنسبة للملك الصالح نجم الدين أيوب، وصف بجمال الصورة ،عريص المنكبين ، مهيبا، عليه سكينة ووقار ، فصيحا بلغة الترك والقبجاق ، قليل المعرفة باللغة العربية ،توفي بمخيمه تجاه مسجد التبر ظاهر القاهرة بتاريخ 06 ذي القعدة 689ه/1290 **م ودفن بمصر** ، **انظر بيبرس المنصوري** ،زبدة الفكرة ص 170،**المقريزي** ، السلوك لمعرفة لدول الملوك ص756 ، **ابن ثغري بردي** ،النجوم الزاهرة ج7 ص 325 ، **ابن أياس** ، بدائع الزهور ج1 ص 361

[2]- **الخشداشية:** هم الأمراء الذين نشأوا مماليك في عهد سيد واحد فثب بينهم رابطة الزمالة القديمة ، انظر محمد سهيل طقوش ، تاريخ المماليك ص 43

[3]- محمد جمال الدين سرور ، دولة ابن قلاوون ص 23 ، **محمد حمزة إسماعيل** ، السلطان المنصور قلاوون ص 15

استطاع السلطان المنصور في فترة حكمه التي دامت أحد عشر عاما وأشهر أن يحقق كثيرا من الإصلاحات الداخلية والانتصارات الخارجية ، كما انتعشت في عهده أحوال مصر والشام السياسية والاقتصادية والاجتماعية. [1] .

المطلب الأول : المهادنات مع الصلبيين في مرحلة الإعداد(678ه-684/1279م-1285م)

اتسمت سياسة المماليك في بداية حكم قلاوون بالطابع السلمي تجاه الصليبيين في الشام ، عرفت الفترة الممتدة ما بين 678ه- 683 ه /1279-1284م فكان يلجا للأسلوب الدبلوماسي من خلال عقد مهادنات الصلح الاضطرارية في كل مرة ، حتى وان لم تكن في صالحه وذلك لعدم استقرار أوضاعه الداخلية و صرف نظر الصلبيين عنه انشغاله بإعداد البيت المملوكي من جديد وترقب الغريم الثاني ألا هو المغول. [2]

أ-الهدنة مع صاحب إمارة طرابلس 1281/680:

في شهر ربيع الأول عام 680ه/ شهر تموز 1281 ابرم السلطان المملوكي مع بوهيموند السابع اتفاقية هدنة من بين اهم شروطها.[3]

• تعقد الهدنة بين الطرفين لمدة عشر سنوات ولا تنفضي بوفاة احد الطرفين أو انتقال الحكم لغيرهما

• إقامة نواب المماليك وطرابلس بمنطقة اللاذقية للإشراف على استخراج الجبابات وتقسيمها مناصفة

• يتعهد صاحب طرابلس بعدم بناء أسوار أو قلاع أو حصون خارج مدينته تجاور البلاد التي وقعت فيها الهدنة.[4]

---

[1]- **ابن شاهين** ، نزهة الأساطين في من ولي مصر من السلاطين ص 79
[2]- **ابو الفداء** ، المختصر في أخبار البشر ج4 ص151-152
[3]- **بيبرس المنصوري** ، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ص 113-114
[4]- **ابن حبيب** ، تذكرة النبيه في ايام المنصور وبنيه ج1 ص 82-83

ب-مهادنات المنصور قلاوون مع صليبي عكا :

اتفاقية الهدنة الأولى عام 680/1281م:

بعد أن وجد الصليبيون مرونة من قبل السلطان قلاوون في مفاوضاته مع صليبيي طرابلس في السلم والأمان ، تشجع عموم صليبيي عكا ،وما حولها على الدخول في هدنة عامة مع السلطان قلاوون وقد وافقت جميع الطوائف الدينية بعكا على هاته المبادرة.[1]

بتاريخ 04 ربيع الاول 680 ه الموافق02 حزيران 1281 م وصل وفد مشترك بحرا من حكومة عكا الى مصر يتراسه نائب الملك شارل الفرنسي **أودو بو الشيان** وتم عقد الهدنة بين الطرفين والتي شملت عدة بنود أهمها :

- عقد هدنة لمدة عشرة سنوات [2]وعشرة اشهر وعشرة أيام بين السلطان وحكام عكا وما يتبعها من إمارات و في حال نقضها وانتهائها تمنح مدة أربعين يوما للرعايا لمغادرة البلاد من الطرفين
- عدم تعرض الصليبيين القاطنين في عكا على رعايا السلطان بمختلف أجناسهم وحماية وتامين التجار والوافدين عليها
- عدم بناء سور أو حصن في الأماكن التي شملت الهدنة منذ تاريخ سريانها.[3]
- تعهد حكومة عكا بإعلام السلطان المنصور قلاوون في حالة محاولة اعتداء باقي الصلبيين أو المغول على الأماكن الإسلامية المجاورة للبلاد التي شملت الهدنة
- حماية الحجاج المسيحين والرهبان الوافدين الى عكا والقادمين من الغرب لزيارة الأماكن المقدسة. [4]

معاهدة الهدنة الثانية 681 ه /1282م:

بتاريخ (05 محرم 681ه/ الموافق 1282م) جدد لقاء دبلوماسي أخر بالقاهرة بين مقدم بيت الداوية بعكا (افريز كليام بيدجوك) friar kiliam bedjouk – والسلطان

---

[1]- **ابن عبد الظاهر** ، تشريف الايام والعصور ص 20-22
[2]- **بيبرس المنصوري** ، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ص 229
[3]- **سرور محمد جمال** ، دولة بني قلاوون في مصر ص 224،223،222
[4]- **سرور محمد جمال** ، المرجع نفسه ص 226

المنصور قلاوون وتم الاتفاق على استقرار الهدنة الأولى واستمرارها مع إضافة بعض البنود الجديدة المتمثلة في تجديد حماية المسلمين والصليبيين المتواجدين في الأراضي المملوكية والبلاد الخاضعة للصليبيين الداخلة في الهدنة مع تحريم الممنوعات المتمثلة في بيع الأسلحة في الأسواق التجارية التي تشمل الهدنة [1].

، وما يلاحظ أيض أن الطرفين كانا حريصين على إيضاح البنود بدقة ، كما عملوا على تحديد المساحات الجغرافية وتوابعها بينهما حتى لا يدخل الطرفان في الخلاف حول التفاصيل والتأويلات التي تكون مدخلا للتهرب او التراجع عن الالتزام بما اتفق عليه .[2]

معاهدة الهدنة الثالثة 682ه/ 1283 م:

الأمان لمن يعتنق الإسلام أو المسيحية ،من رعايا او تجار الطرفين مع مصادرة جميع أموالهم التي بحوزتهم وإرجاعها إلى بلده الأم.[3]

مصادرة جميع الممنوعات مثل الأسلحة سواء التي في حوزة التجار المسلمين أو الصليبين في أسواق البلاد الداخلة في الهدنة[4]، وإعادة الأموال إلى أصحابها الذين ابتاعوها .

1-مبادرة الفلاحين المسلمين والصلبيين المقيمين في المناطق الداخلة في الهدنة بالعودة إلى بلادهم ولا يسمح لهم بالإقامة ألا في بلادهم .

2-تعهد الطرفين بتنفيذ نصوص هاته الهدنة والحلف على تطبيقها [5] .

ما يلاحظ شمولية البنود في معاهدات الهدن الثلاثة بين المنصور قلاوون وصليبي عكا هو الوضوح والجدية ومحاوله كل طرف لضمان دوره ، وتشكيل صمام أمان يضمن استمرارية الهدنة وصدق الطرفين كذلك لرغبتهما في حلول الأمن والاستقرار والاطمئنان بالمنطقة [6] .

---

[1]- **ابن الفرات** ، تاريخ ابن الفرات ج7 ص 26

[2]- **آيبك الدواداري** ، كنز الدرر وجامع الغرر ج8 ص 260

[3]- **القلقشندي** ، صبح الاعشى في صناعة الإنشاء ج 14 ص 56-73

[4]- **رانسيمان** ، تاريخ الحروب الصليبية ج 3 ص 565 -566

[5]- **حطيط احمد** ، قضايا من تاريخ المماليك ص 79

[6]- **نسيم جوزيف** ، دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ص 139

المطلب الثاني :المعاهدات والمهادنات مع الصلبيين في مرحلة السيطرة (683ه-689ه/1284م-1290م)

أصبحت جاهزية المنصور قلاوون قائمة بعد فترة من الجمود والأعداد ، فعمل على ترتيب البيت المملوكي وتحصين عرشه ، وأطمأن للتراجع المغولي على الشام ، فسلك نهج سالفه الظاهر بيبرس ضد الصلبيين في مناوأتهم، حيث استغل العمل الدبلوماسي معهم تحت ضغط الحرب من خلال فرض الهدن ومعاهدات الصلح ، والطاعة والاستسلام مستغلا ضعفهم ومشاكلهم الداخلية التي ترغمهم على الرضوخ حفاظا ممتلكاتهم ، وهذا ما استفاد منه السلطان قلاوون في دبلوماسيته المفروضة عليهم .[1]

1-المهادنات :

أ-الهدنة مع إمارة بيروت 684 م/1285م:

توالت انتصارات السلطان المنصور قلاوون في ضرب المعاقل الصليبية والاستيلاء على الحصون والقلاع ، مما أثارت مخاوف الأمارات الصليبية الصغيرة المتواجدة على الساحل الشامي من فقدان أملاكها ، فبدأت مبادرة أميرة أمارة بيروت (ايشيفيا) [2]في طلب الهدنة و السلام [3]، حيث أرسلت وفد من مبعوثيها إلى السلطان قلاوون في مصر لغرض ذلك ، وبعد سلسلة من المفاوضات بين الطرفين كللت نتائج الهدنة المبرمة بعدة شروط مفروضة من طرف الدولة المملوكية مقابل السلام وافقت عليها أميرة بيروت تمثلت في دفع مبلغ مقدر ب 90 الف درهم حدد شطره الأول بثلاثين الف والباقي يسدد على فترة زمنية تقدر ب03 اشهر ، مع الالتزام بالحياد وعدم مساندة الممالك الصليبية الأخرى والمغول في الحرب ضد المماليك، وحددت مدة الهدنة بعشر سنوات قابلة للنقض في حالة عدم الالتزام بالشروط .[4]

---

[1]- **ايشيفيا دبلين** ، تعتبر اخر أميرة صليبية حكمت إمارة بيروت فترة(675ه-681ه/1277-1291)، انظر رانسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ج 3 ص844

[2]- **ابن عبد الظاهر**، تشريف الأيام والعصور ص 103

[3]-**أبو الفداء** ، المختصر في أخبار البشر ج 4 ص 151-152

[4]- **محمد جمال الدين سرور** ،دولة بني قلاوون في مصر ص 240-241

ج -الهدنة مع إمارة صور 684ه/1285م:

بادرت أميرة صور **مارجريت** كسالفتها في بيروت الى مفاوضة السلطان قلاوون في طلب الهدنة وقد تم الاتفاق على تنازل الأميرة على نصف دخل إمارتها السنوية، والتعهد بعدم إقامة الحصون والقلاع على إمارتها [1] ، وقد حددت مدة الهدنة لمدة عشر سنوات تبدا بتاريخ 14 جمادى الأولى 684 ه الموافق الموافق 18 تموز 1285 م وقد اعتبر المؤرخ رانسيمان ان شروط الهدنة المفروضة مهينة ، حيث تثبت قوة الهيمنة والسيطرة المملوكية على الصلبيين الذين اصبحوا محل ضعف حتى في العمل الدبلوماسي [2]

د-الهدنة مع أرمينية الصغرى684 ه/1285م:

تأرجحت العلاقات المملوكية والأرمينية بين تأزم شديد واصطدام وبين انفراج وهدوء وفقا لتطور الأوضاع بالشرق الأدنى ، حيث ظلت مملكة أرمينيا خاضعة للدولة المملوكية وتستغل من حين لآخر فرص لمهاجمة المناطق الحدودية للمماليك عند انشغالهم بالحرب ضد المغول ، وذلك قصد التخلص من التبعية المملوكية والتوقف عن دفع الجزية ونقضهم للهدن والمعاهدات فيكون الرد في كل مرة بتأديبهم وإجبارهم على الولاء والطاعة فيلجؤون للدبلوماسية وقت الضرورة والضغط [3] .

تشير المصادر التاريخية [4] حدوث مهادنات بين الطرفين بتاريخ ربيع الأخر عام 684/ شهر حزيران عام 1285 م في عهد السلطان المنصور نتيجة اشتداد الضغط على الأرمن ، حيث أبرمت اتفاقية هدنة للدولتين بين ليون الثالث والسلطان قلاوون :بعد وساطة مقدم الداوية بعكا بشان تحقيق صلح بين الخصمين جاء فيها:

---

[1]- **ابن عبد الظاهر** ، تشريف الإيام والعصور ص 151-152

[2]- **رانسيمان** ، تاريخ الحروب الصليبية ،ج 3 ص 681

[3]- **ابن عبد الظاهر** ، مصدر سابق ص 30-32

[4]- **المقريزي** ،السلوك لمعرفة دول الملوك ج2 ص 145، **ابن إياس** ،بدائع الزهور ج7 ص 102،

1-تقدم جزية سنوية لدولة المماليك مقدارها الف الف قطيعة من أصناف مفصلة متمثلة في أحجار فضية وخمسون راس من الخيال والجياد والبغال الجيدة ، إضافة إلى هدايا و أقمشة، مع اطلاق جميع الأسرى المسلمين من بينهم التجار وتعويض بضائعهم[1] .

2-تحدد مدة الهدنة عشر سنوات وعشرة اشهر ولا تنقض بموت احد ملوك الدولتين ، أو تغيرهما من الحكم.[2]

د-مفاوضات فتح حصن المرقب 684ه/1285م:

إعتدى إسبتارية حصن المرقب على مسلمين من رعايا السلطان ، وخرقوا الهدنة المبرمة سنة 680ه/1281م فتوجه على أثرها المنصور قلاوون بجيشه إلى الحصن، وفرض عليه الحصار ، مما ألزم حضور رسل من طرف مقدم الاسبتار بتاريخ صفر 684/ أفريل 1285 م يطلبون الصلح ، ففشلت المفاوضات ورفضت العروض ، من طرف المنصور قلاوون .[3]

شدد المسلمون ضرباتهم على الصلبيين حتى أجبروا الاسبتارية إلى التفاوض مرة ثانية طالبين التسليم مقابل التعهد بالأمان لأهل المرقب على نفوسهم وأموالهم ، وقد وافق السلطان وأمنهم مقابل الخروج من الحصن دون مال أو سلاح، وانتهت بأتفاقية استسلام بين بين الطرفين في ربيع الأول 684ه/ ماي 1285م والتي تضمنت تسليم الحصن دون قتال وخروج الصليبيين منه بلا سلاح ومال تحت تامين وحماية عساكر المماليك ومرافقتهم إلى منطقة انطرطوس الخاضعة للصليبيين قبل فتحها.[4]

---

[1]- **ابن يغري بردي** ، النجوم الزاهرة ج4ص 146، **ابن إيبك**، كنز الدرر ،ج7 ص 146،

[2]- **را نسيمان** ، تاريخ الحروب الصليبية ج 3ص 751-752

[3]- **حروب محمد** ،دور المماليك في تصفية الوجود الصليبي في فلسطين وبلاد الشام ص 340

[4] - **ابن آيبك** ، كنز الدرر ج8 ص 300-301

هـ مفاوضات فتح طرابلس 688ه/1289 م:

ظلت طرابلس بعيدة عن الهجمات المملوكية نظرا للمعاهدات والهدن المبرمة بين الطرفين كان أخرها هدنة السلطان قلاوون مع الأمير بوهيمند السابع سنة1281/680 م وحدث أن اندلعت صراعات داخلية صليبية بعد وفاة أمير طرابلس سنة 686ه/1287 م الذي لم يخلف وريثا شرعيا وباشتداد الخلاف على العرش ، وكثرة الصراعات والانقسامات ،لجأ بعض المعارضين من صليبيي طرابلس إلى المنصور قلاوون طالبين منه الاستنجاد والمساعدة [1].

، أرسلت سفارة صليبية يترأسها بطرس امبرياكو [2]إلى القاهرة يطلبون تأييد المساعدة من السلطان على ان تكون طرابلس مناصفة بينهما وقد وافق المنصور شكليا نظرا لاحترام الهدنة السارية المفعول بينهما والتي لا ينبغي نقضها وفقا ما تمليه الدبلوماسية ،ولم تلبث الأحداث حتى خرقت الهدنة بين الدولتين باعتداء الصلبيين على قافلة تجارية للمسلمين قادمة إلى مصر [3] ،

نتيجة الإعتداء قام السلطان بحصار شديد على طرابلس في ربيع الأول 688/ مارس 1289 ، فلم تصمد المدينة رغم استنجادها بالكيانات الصليبية الحليفة وفتحت بعد استلم أهلها طالبين الأمان ووافق السلطان على ذلك مقابل دفع جزية وأكرم أميره **بطرس امبرياكو** بتوليته إمارة جبيل وكان من وراء هدا الفعل الدبلوماسي للسلطان هو إرضاء الدول الأوروبية في الغرب المساندة للصلبيين وحفاظا على مصالحه التجارية معهم [4].

---

[1]- **محمد سالم محمد صلاح**، ا لمفاوضات والمعاهدات بين المماليك البحرية والصليبيين ص 206

[2]- **بطرس امبرياكو :**من القادة الصليبيين في طرابلس وكان من المقربين للأمير بوهميند السابع ،وكان مرشحا لتولي عرش طرابلس ،انظر رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ج3 ص68

[3]- **ابن إياس** ، بدائع الزهور ،ج1 ص 114

[4]- **ابن الفرات** ، تاريخ ابن الفرات ،ج 7 ص 205-**206**

و-سفارة الاعتذار والصلح العكاوية سنة689ه/1290:

أرسلت حكومة عكا الصليبية سفارة اعتذار وطلب صلح إلى السلطان المنصورة في القاهرة ، بعد أن عقدوا مجلسا للتشاور في قضية مذبحة التجار الفلاحين المسلمين في عكا من طرف الصلبيين الإيطاليين وقد أستقر رأيهم على تقديم اعتذارات شكلية بحجة أن الصلبيين المدنيين أفراد خارجون عن حكومة عكا الغير المسؤولة على هذا الفعل ، وقد أثار غضب السلطان ورفض الاعتذار بعد أن أرسل سفارة يطلب فيها تسليم المذنبين ، حيث اعتبرت خرقا للهدنة المبرمة بين الطرفين حول تأمين وحماية التجار والفلاحين للدولتين، ولم تكن أجابته سوى الالتجاء إلى الحرب وقد عمل على تجهيز حملة عسكرية إلى عكا ، غير أن الأجل كان سابقه فتوفاه الله دون تحقيق ما يصبوا اليه ، وتعتبر أخر عمل دبلوماسي بين قلاوون وحكومة عكا ، وقد أكمل إبنه الأشرف مالم يتمه والده[1] .

المطلب الرابع :علاقة السلطان قلاوون بقادة و ملوك أوروبا في الغرب :

ارتبطت سلطنة المماليك في عهد السلطان المنصور قلاوون مع ملوك أوروبا في الغرب بصلات عديدة ، منها ودية وتجارية مع بعض القوى الأوروبية خاصة ، بحكم أن الدولة المملوكية كانت إحدى القوى البارزة في حوض البحر المتوسط ، وسيطرتها كذلك على الطرق التجارية بين الشرق والغرب ، إضافة إلى خلفية الحروب الصليبية ، ومن هذا فصلة الروابط لم تكن مقطوعة مع دول الغرب الصليبي ، وقد أدرك سلاطين المماليك والصليبيين عامة هاته الحقيقة ، فبادروا بالتواصل الدبلوماسي من خلال الجانب التجاري والسلمي والتحالف والمصالح الذي يخدم الطرفين[2] .

أ-العلاقات مع الفونسو العاشر ملك قشتالة سنة 681هـ/1282م:

تبادلت السفارات المراسلات الودية بين المماليك والممالك الإسبانية في الغرب ففي عام 681ه/1282 م ارسل الملك الفونسو العاشر سفارة من رسولين إلى السلطان المنصور

[1]- **محمد سهيل طقوش** ، تاريخ المماليك في بلاد الشام ومصر ص 258
[2]- **ابن عبد الظاهر** ، تشريف الأيام والعصور ص 248

يحملان هدايا متمثلة في مجموعة من الخيول والبغال ، كعربون توطيد أواصر الصداقة والمودة ، وقد أحسن السلطان ضيافتهما واجزل لهما في العطاء ،حيث كانت سفارتهم مؤقتة لم تدم ثلاثة أيام ، كما أبرمت في سفارة أخرى بين الطرفين معاهدة تحالف [1]دفاعية ضد أي خطر صليبي أو مغولي متوقع مستقبلا والتعهد بعدم نقض الاتفاقية مهما كانت الظروف.[2]

ب-العلاقات مع جنوة سنة686هـ/1287م:

في سنة 686ه/1287م لجأت إمارة جنوة إلى إرسال سفرائها إلى القاهرة قصد طلب المساندة والتحالف في حربهم البحرية ضد إمارة بيزا في السواحل الإيطالية مقابل امتيازات تجارية واقتصادية مستقبلا ، وقد استجاب السلطان لطلبهم من خلال تامين وحماية رعاياهم وأموالهم وتسهيل إمدادهم من الموانئ المصرية. [3]

في سنة 689ه/1290م طلب الجنوين عقد صلح وصداقة ودية رغبة في الحصول على مكاسب اقتصادية وقد كللت بعقد معاهدة تجارية استفاد منها الجنوين في الإسكندرية وقد عمل السلطان على استرضائهم قصد تحييدهم عن أي تحالفات صلبية بعد فتح طرابلس [4]

ج- العلاقات مع مملكة أراغون689ه/1290م:

شجع الرخاء الاقتصادي عامة والتجاري خاصة مملكة أراغون احد الممالك الإسبانية في الغرب الصليبي ، على زيادة الانفتاح الدبلوماسي مع دولة المماليك ، وقد بادل العاهل جيمس الأول أواصر المودة وتعزيز التواصل مع السلطان المملوكي قلاوون ، وقد كان (مانفرد)من أسرة هوهنشتاوفن النبيلة هو الوسيط الدبلوماسي بين العاهلين .[5]

بادر الملك بطرس الثالث أين جيمس الثالث بتوطيد الروابط الودية من خلال تجديد بعض المعاهدات التجارية مع السلطة المملوكية فأرسل في شهر ربيع الأخر 689ه/ شهر

---

[1]- **محمد سهيل طقوش** ، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام ص 200
[2]- **النويري** ، نهاية الأرب ،ج 31 ص 128
[3]- **رانسيمان** ، تاريخ الحروب الصلبية ج3 ص291
[4]- **محمد جمال سرور**، دولة بني قلاوون ص 339
[5]- **محمد حمزة إسماعيل الحداد**، السلطان المنصور قلاوون ص 101

أفريل 1290م سفارة إلى القاهرة بمرافقة أخيه جاك ملك صقلية قصد عقد تحالف دفاعي ، هجومي بهدف الحصول على إمدادات بالرجال والأموال على شكل معونات ، تحسبا لأي خطر قادم ، متعهدا بمساعدة السلطان في أي حرب صليبية والوقوف ضد الصليبيين في الشام في حالة نقضهم لأية هدنة أبرموها معه، وتضمنت في نفس الوقت بنودا ذات أهمية تجارية .[1]

العلاقة مع الدولة البيزنطية سنة 688هـ/1289 م:

كانت علاقة السلطان قلاوون بالدولة البيزنطية طيبة[2] ، وقد حرص على تأكيدها عند توليه عرش السلطنة، فارسل سفارة إلى الإمبراطور البيزنطي **ميخائيل الثامن** يتراسها الأمير ناصر الدين الجرزي وبطرك الأقباط **حنا السابع** ،وكانت فحوى الرسالة[3] هي توليته لعرش المماليك ورغبة في الإبقاء على مودة الإمبراطور وحرصه على الصداقة بين الدولتين ، وظلت العلاقات قائمة [4]في عهد الامبراطور (اندرونيقوس الثاني) حين قام بإرسال هدية الى المنصور قلاوون تتمثل في حمل من الحرير الاطلس واربعة احمال من البسط ، وقد سر السلطان بالهدية سرورا كبيرا وغمر الرسل بالهدايا[5]

---

[1]- **ف.هايد** ،تاريخ التجارة في الشرق الأدنى ج2 ص68-69

[2]- **سعيد عاشور عبد الفتاح**، العصر المماليكي ص 232

[3]- **محمد حمزة اسماعيل الحداد** ، السلطان المنصور قلاوون ص 101

[4]- **ابن عبد الظاهر** ، تشريف الايام والعصور ص 92-104

[5]- **ليلي عبد الجواد** ،علاقة الدولة البيزنطية وسلطة المماليك البحرية ، مجلة كلية الاداب ، العدد 46، جامعة القاهرة 1986 ص28-94

- المبحث الثالث: العلاقات مع الصلبيين في عهد الأشرف خليل قلاوون
- المطلب الأول : الأشرف خليل سلطان البلاط المملوكي
- المطلب الثاني :مفاوضات ومعاهدات الأشرف خليل مع الكيانات الصليبية بالشام
- المطلب الثالث: الأشرف خليل وعلاقاته مع صليبي الغرب الأوروبي
- المطلب الرابع : استراتيجية الأشرف خليل الدبلوماسية تجاه الصليبيين

المطلب الأول : الأشرف خليل سلطان البلاط المملوكي:

جلس الأشرف خليل [1] على عرش السلطنة المملوكية في السابع من شهر ذي القعدة عام 689 /11 نوفمبر سنة 1290 م، بعد وفاة والدة المنصور قلاوون الألفي ، لم تستقر الأوضاع له في البداية ، لتعرض حكمه للمنافسة التقليدية التي تعرض لها معظم سلاطين المماليك من جانب كبراء الأمراء ، حيث واجه عدة تحديات في بادرة حكمه المتمثلة في المؤامرات الداخلية التي كانت ضده.[2] .

استهل السلطان حكمه بالتخلص من المعارضين من رجال الدولة البارزين التي تزعمها الأمير حسام الدين طرنطاي نائب السلطنة ، لينشغل بعد ذلك لترتيب وتنظيم وتثبيت قواعد دولته ، من خلال حرصه على إحلال الأمن في جميع أنحاء البلاد.[3]

بعد أن استقر له الوضع سار على سياسة أبيه الخارجية في التفرغ للجهاد حيث كان مبتغاه الأول هو تحديد مسار العلاقات مع الصلبيين في المشرق، و عقد العزم على محاربتهم والعمل على طرد بقاياهم نهائيا من بلاد الشام ، وتحرير كذلك المناطق التي مازالت بقبضتهم.[4]

---

[1]- تشير معظم المصادر التاريخية ان السلطان الأشرف خليل يعد ثامن سلاطين المماليك البحرية ، دام حكمه ثلاث سنوات ، اتصف بالحزم واللين كما اتصف كذلك بالشدة والغلظة في تعامله داخليا وخارجيا ، حيث لم يترك الأمور سائبة دون موازين ، تكتسيه هيبة ، يقظ الفكر ، حازم الأمور ، سديد الراي ، بارعا سياسيا ، وقد وصف أيضا بالكرم والطيبة والشجاعة والانتصار في الحروب ، كما اتهم أيضا بشرب الخمر وترك الصلاة والصوم والانصراف للهو والمجون وهذا ما يراه ، ابن أياس في كتابه بدائع الزهور تناقضا كبيرا ، فمن غير المعقول لملك قوي استطاع بعزيمة وإصرار أن يطوي صفحة الصلبيين في الشام وأن يقوم بأعمال بعيدة عن شخصيته كالانصراف للملذات والراحة ، وقد كانت نهاية السلطان هو اغتياله أثناء خروجه في رحلة صيد من طرف بعض المتآمرين الأمراء وبقيت جثته ملقاة لمدة يومين ، حتى وراها الثرى رجل قروي يقطن بالمنطقة التي قتل فيها السلطان ، ثم نقلها بعد ذلك أتباعه ودفنت بظاهر القاهرة ، وقد ترك السلطان بعد وفاته من البنات اثنين دون الذكران ، **انظر أبو الفداء** ، المختصر في أخبار البشر ج 4 ص 28، **ابن أياس** ، بدائع الزهورج1 ص 365

[2]- **السير موير وليام** ، تاريخ دولة المماليك في مصر ص 68

[3]- **علي إبراهيم حسن** ،دراسات في تاريخ المماليك ص 58

[4]- **ابن أياس**، المصدر السابق ج 1 ص128

المطلب الثاني: مفاوضات ومعاهدات السلطان الأشرف مع الكيانات الصليبية بالشام (689هـ-692هـ/1290م-1293)

1. المفاوضات قبيل حصار عكا:

اصر السلطان الأشرف خليل على إتمام مشروع الذي بدأه والده المنصور قلاوون وهو إخراج الصليبيين كافة من بلاد الشام ، وفي الجهة المقابلة استفادت حكومة عكا من فترة هدوء نتيجة النزاع الداخلي القائم بعد اعتلاء السلطان الأشرف عرش المماليك [1]

في شهر صفر 690 ه الموافق شباط 1291 م أرسلت حكومة عكا سفارة إلى القاهرة متكونة من وفد دبلوماسي متكون من أعيان عكا وأعضاء من الإسبتارية والداوية وكاتب من البلاط الصليبي كان هدفها هو تهنئة السلطان لتوليه السلطنة وطلب العفو وتجديد هدنة أخرى واستمراريتها ، وفقا للمهادنات السابقة بين الطرفين التي أبرمت أخرها في سنة 1289/689 م[2]

أدرك صليبي عكا خطائهم من هاته السفارة الذي يتعقبها الخطر المملوكي المنتظر، بعد أن عجزوا على تلبية شروط السلطان السالف ، والمتمثلة في تقديم المذنبين في قضية مذبحة التجار الفلاحين المسلمين في عكا وخرقهم للهدنة ، حيث كانت غايتهم كسب الوقت وتعطيل المماليك لعدم القدرة على مواجهتهم، وانتظار المدد من الغرب الأوروبي.[3]

التمس الوفد الدبلوماسي الصليبي من السلطة المملوكية الاستعداد على الموافقة لجميع الشروط دون قيد ، ورد الأشرف كان قاسيا حيث رفض التفاوض والصلح مع الوفد وقام باعتقالهم وإيداعهم في السجن وقد عزم على ذلك كإجراء تحفيزي وتأميني ، رغم أن هذا الإعتقال يعكس الأعراف والشرائع الدبلوماسية التي ترفض إيذاء وقتل واعتقال الرسل والبعثات وانتهت هذه المرحلة بفشل المفاوضات ورفض السلطان لأية حلول سياسية ودبلوماسية.[4]

---

[1]- **را نسيمان** ،تاريخ الحروب الصليبية ج3 ص 695-696

[2]- **شفيق محمود**، المماليك البحرية وقضائهم على الصليبيين ،الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ،2010 ص 89

[3]- **المقريزي** ، السلوك لمعرفة دول الملوك ج 2 ص 222

[4]- **فايز نجيب إسكندر**، السلطان المملوكي الأشرف خليل بن قلاوون وفتح قلعة المسلمين ،مكتبة الإسكندرية ،مصر 1999 ص 11-13

2. المفاوضات أثناء حصار عكا:

بدأت العمليات العسكرية المملوكية بشن هجوم على أسوار المدينة بعد فرض حصارا عليها في شهر ربيع الاخر690/ افريل 1291م في محاولة لإختراق واقتحام حصون وأبواب المدينة ، ورد الصليبيون بقصف بعض مواضع تمركز القوات الإسلامية بالمجانيق ، ولكن الأمر لم يغير شيئا لكلا الطرفين وظل الحصار قائما من الجيش المملوكي[1] .

أرسل مقدم الداوية **لاغليوم دي بوجيه** وفد دبلوماسي أخر إلى معسكر السلطان الأشرف للتفاوض في محاولة منه لإنهاء الحصار الإسلامي على عكا، إلا أنه لم ينجح في مهمته، بعد أصرار السلطان الأشرف على تسليم المدينة، رافضا الإستمرار في التفاوض مع الوفد المبعوث ، وبقي الصليبيون في مقاومة دفاعية ، مع شن عدة هجومات فاشلة بين الحين والأخر.[2]

3. مبادرة الصلح القبرصية أثناء حصار عكا:

بوصول المدد الصليبي من قبرص في شهر جمادى الأولى 690ه/ شهر ماي 1291م يقوده الملك هنري الثاني ، واصل قيادة المعركة ضد المماليك بنفسه ، لكنه أدرك استحالة المقاومة ، بعد أن شاهد حجم تمزق الصليبيين وتشتتهم ،و انطلاقا من الواقع المفروض ، فضل التفاوض والتفاهم مع السلطان في محاولة أخيرة لإعادة السلام ، وأرسل على اثرها رسولين من الداوية إلى المعسكر المملوكي ، طالبا من السلطان استمرار هدنة 682ه/1283م والمجددة سنة 689ه/1289م مع تجديدها مرة أخرى، متوعدا بأنصاف كل هو في صالح السلطان.[3]

استقبل الأشرف خليل الرسولين في خيمته واستلم منهما الرسالة ، رافضا المساومة مؤكدا على تبلية شروطه بدايتها بتسليم مفاتيح المدينة ورد على الرسالة موضحا مطلبه هو التسليم والاستسلام مقابل عهد الأمان بحفظ وحماية خروج الصليبيين من عكا أمنين على أموالهم وأنفسهم، وعدم أخذ المدينة عنوة في حال قبول الشروط.[4]

---

[1]- **أبو الفداء** ، المختصر في أخبار البشر ج 7 ص 32
[2]- **ابن ثغري بردي**، النجوم الزاهرة ج8 ص 9
[3]- **رنسيمان**، تاريخ الحروب الصليبية ج3 ص968
[4]- **بيبرس المنصوري**، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ص 282

4- فشل المفاوضات الصليبية وسقوط عكا:

ظلت المفاوضات قائمة في أخذ و رد، وكانت قاب قوس أو ادنى لإبرام الصلح وفك الحصار، مقابل الموافقة على شروط جديدة ، ولكن الأمور لم تسر على نصابها ، نتيجة تعنت بعض الرعية الصلبيين المقاومين داخل أسوار عكا الذين صاحوا باستمرار المقاومة ، كما قذفت أحد المنجيقات الصليبية محيط معسكر السلطان أثناء جلسة حواره مع الوفد الصليبي ، فكانت ردة الفعل الأشرف هي توبيخ الرسولين بعد أن أوشك على قتلهما، ورفض التفاوض وقرر مواصلة الحصار[1].

لم تنجح مساومات هنري الثاني في إقناع السلطان الأشرف بالعدول عن قراره ، فأستمر في المقاومة ، لكنه لم يلبث أن فشل ،لينهي بقائه بالانسحاب إلى قبرص ، تاركا المدينة إلى مصيرها ، وانتهت بفشل المفاوضات بين الطرفين وسقوط عكا سنة 1291هـ/690 م.[2]

4. معاهدة الاستسلام مع حامية صور:

أسفر سقوط عكا على هروب بعض قادتها من الداوية والإسبتارية إلى حامية صور والاحتماء بحصونها ، و أرسل السلطان الأشرف على اثرها رسلا إلى صاحب الحامية بصور ادم كافران يطلب فيها تسليم الهاربين وتسليم الحامية دون قتال وقد لجا هذا الأخير إلى مفاوضتهم وتوقيع معاهدة استسلام [3]مع الأمير المملوكي علم الدين الشجاعي يوم 18 جمادى الأولى 690 هـ/ الموافق 19 ماي1291م تنص على تسليم المدينة دون قتال مقابل عهد الأمان على أرواح الصليبيين وأموالهم والسماح لهم بمغادرة المدينة تحت حماية ومرافقة ، كما يسمح أيضا للصليبيين والنصارى الذين رفضوا مغادرة الحامية ببقائهم فيها ومعاملتهم كأهل ذمة ويتضح في هذا الجانب المهارة الدبلوماسية التي استعملها السلطان في التفاوض ، حيث نجح في الاستيلاء على المدينة دون قتال ، وتفادى حقن الدماء وعامل الأسرى كأهل ذمة.[4]

---

[1]- **تيسير إبراهيم جندي**، السلطان الأشرف خليل بن قلاوون وسياسته الداخلية والخارجية ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي غير منشورة ، جامعة الخليل ، فلسطين 2012 ص 87-88

[2]- **ابن حبيب** ، تذكرة التنبيه في أيام المنصور وبنيه ج 1 ص 137-138

[3]- **ابن كثير** ، البداية والنهاية ج 13 ص 378

[4]- **آيبك الدوادار** ، كنز الدرر وجامع الغرر ج 8 ص 310

5. معاهدة الاستسلام مع إمارة بيروت:

امر السلطان الأشرف أميره علم الدين الشجاعي بالتوجه إلى بيروت ، المتمسكين بالهدنة والداخلين في طاعة الأشرف بعد أن أعطاهم الأمان[1] ، وقد لقى بوصوله ترحابا من حكامها ،فعمد الأمير بعدها على استخدام الحيلة والدهاء بأمر من السلطان في التفاوض ، بعد ان قام باستدعاء صاحب بيروت وأعوانه ورسلهم للتفاوض، ثم أسروهم بعد ذلك ، فسهل فتح المدينة بمعاهدة استسلام دون قتال [2] ، أما الفعل الذي ارتكبه السلطان جاء نتيجة خلفية قام بها صلبيي بيروت بنقضهم للهدنة المبرمة بينهم وبين المماليك ، بعد أن هاجموا معاقل عندما كانت عكا تحت الحصار ، رغم ذلك فان السلطان بقي على عهده السابق والمتمثل في منح الأمان وعدم استباحة دماء الصلبيين بعد خروجهم من المدينة رغم نقضهم للهدنة ، وتعامل معهم بأخلاق الإسلام وسماحته ومبادئ الدبلوماسية في عدم خرق العهود ونقض الهدن المتفق عليها .[3]

6. معاهدة الاستسلام مع حامية عتليث:

دخلها الجيش المملوكي دون قتال بعد فتح عكا بعد أن هجرها أهلها ، وقد بادر صاحب الحامية باتفاقية استسلام مقابل عهد أمان ، وقد تسلمها المسلمون بتاريخ 03 شعبان الموافق 03 تموز في سنة 690ه/1291م من الطرف الأمير المملوكي بدر الدين بكتاش[4].

7.معاهدة الاستسلام مع مملكة أرمينيا الصغرى:

قام السلطان بمراسلة ملك الأرمن عام 692 ه/1293 م يعلمه بفتح عكا اخر معاقل الصليبيين في المشرق ، ويدعوه إلى اخذ العبرة وتقديم فروض الطاعة والولاء للسلطنة المملوكية ، لكنه لم يستجب لمبادرة الأشرف الدبلوماسية لأنهاء الأزمة ، مما دفع بهذا الأخير بمحاصرة في نفس العام بعض مناطقه والاستيلاء على بهسنا والتوجه إلى منطقة سيس عاصمة الأرمن للاستحواذ عليها، [5] .

---

[1]- **ابن كثير** ، البداية والنهاية ج13 ص 379

[2]- **تيسير ابراهيم جندي** ، الأشرف خليل وسياسته الداخلية والخارجية ص 103

[3]- **رانسيمان** ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ص 712

[4]- **فايز نجيب إسكندر** ، السلطان الأشرف خليل بن قلاوون ص 14

[5]- **بهسنا**: من الحصون الواقعة في شمال الشام تتميز بارتفاعها ، بها بساتين ونهر صغير واسواق تتوسط غرب عينتاب وبينهما مسيرة يومين كاملين ، **انظر ابو الفداء ، تقويم البلدان** ص 263

اضطر **هيثوم الثاني** على اثرها للجوء إلى طلب الصلح والعفو حيث ارسل وفدا دبلوماسي إلى السلطان المملوكي لفتح التفاوض وطلب الأمان والرحمة والولاء للسلطنة المملوكية ، و الرضوخ لجميع الشروط التي يفرضها السلطان ،مقابل السلام والصلح ، كما انزاح صاغرا على دفع الجزية وتقديم جملة من الهدايا الثمينة والتحف لإرضاء السلطان الأشرف وتخليه أيضا على بعض القلاع والحصون المتمثلة في بهسنا مرعش ، وتل حمدون وهذا حفاظا على مملكته وعاصمته ،وانتهت بمعاهدة إتفاق بين الطرفين ، أثبت فيها الدولة المملوكية تفوقها مرة أخرى على الصعيد الدبلوماسي المفروض بالضغط العسكري [1] .

المطلب الثالث : الأشرف خليل وعلاقاته مع صليبي الغرب الأوروبي:

1-العلاقات مع مملكة أراغون:

عملت مملكة أراغون في الغرب الأوروبي على توطيد علاقتها مع المماليك خاصة ، لتحقيق أهدافها وهي السيطرة على طريق تجارة التوابل مع مصر معقل الدولة المملوكية وقد اعتمدت على التبادل التجاري مع مصر كبنية أساسية لبناء اقتصادها ، رغم إعتراض البابا نيكولا الرابع687ه-691ه /1288-1292م على العلاقات التجارية مع المسلمين وتهديداتها بالحرمان ، لكن الدافع الاقتصادي كان الغالب مملكة أراغون تعمل على التقرب من السلطنة المملوكية عن طريق الحلول الدبلوماسية قصد الوصول إلى الموانئ التجارية خاصة بعد انحلال الإمارات الصليبية في الشرق والتي اعتمد عليها الغرب الصليبي في تجارتهم [2].

عقدت مملكة أراغون عدة علاقات دبلوماسية مع المماليك منها معاهدات بين الملك جيمس الثاني والسلطان المملوكي الأشرف ، فكانت بدايتها ، المسالمة والتودد واستقرار النشاط الدبلوماسي من خلال الاتفاقيات السلمية و التجارية وتجديدها كما كان

[1]- **العيني** ، عقد الجمان ج3 ص 149-150
[2]- **سعيد عبد الفتاح عاشور** ، العصر المماليكي في مصر والشام ص 105،117

حالها مع سلاطين المماليك السابقين وقد أبرمت معاهدة سلم وصداقة بتاريخ691/1292م ونصت على .[1]

-توفير الأمان والحماية المتبادلة للرعايا الوافدين على السلطنة المملوكية وعلى الأراضي الإسبانية [2] التابعة لمملكة أراغون وردع أي هجوم عدواني من الغرب الأوروبي ضد الدولة المملوكية أو حتى سواحلها . [3]

2-العلاقة مع جنوة :

وقع الأشرف خليل هدنة لمدة عشر سنوات مع جنوة في عام 690ه/1291م ، بعد تحرير عكا وجلاء الصلبيين من المشرق بأشهر وكان من وراء هاته الهدنة ، هو حماية المصالح التجارية والاقتصادية بين الطرفين ، وتحرير التعامل التجاري المتجمد نتيجة إحداث عكا ، وتامين وحماية التجار الوافدين على البلدين ، وذلك تحسبا لأخطار القرصنة البحرية ، أو رد فعل صليبي في الأفق بعد سقوط أخر ممالكهم الصليبية. [4]

3-العلاقة مع البندقية :

رغم محاولات البابوية وزعيمها نيكولا الرابع في إضعاف الاقتصاد المملوكي ، وإصدار مراسيم الحرمان للممالك الأوربية في الغرب لكل متعامل مع الدولة المملوكية، إلا أن ،تجار أوروبا لم يجد بدائل في التعامل التجاري و الوصول إلى موانئ مصر ،سوى الرضوخ وفتح التعامل الدبلوماسي من خلال عقد معاهدات صداقة وتجارة حفاظا على مواردهم . [5]

سارت البندقية على ما يخدم مصالحها غير مبالية بالمراسيم البابوية بعد ضغط تجارها، فسارعوا في إرسال سفرائهم الى البلاط المملوكي في القاهرة سنة691 ه /1292م

---

[1]- **ابن عبد الظاهر** ، تشريف الأيام والعصور ص 153، 165
[2]- **هايد،ف** ، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ،ج 2 ص 260
[3]- **الحجي حياة** ، العلاقات بين سلطنة المماليك والممالك الإسبانية ص 77
[4]- **ابن عبد الظاهر** ، الألطاف الخفية ج3 ص 45
[5]- **القلقشندي** ، صبح الأعشى ج 14 ص 66-67

يطلبون فيها تأمين تجارتهم مع الدولة المملوكية , فأصدر على اثرها السلطان الأشرف عقد أمانا شريفا ، يضمن لهم الدخول إلى الموانئ دولة المماليك وان يترددوا إلى الثغور الإسلامية امنين مطمئنين وممارسة تجارتهم بكل حرية.[1]

المطلب الرابع : إستراتيجية السلطان المملوكي الأشرف خليل الدبلوماسية تجاه الصليبيين

يرتبط اسم السلطان المملوكي الأشرف خليل بالخروج النهائي للصليبيين من بلاد الشام ،رغم أن مدة حكمه لم تتجاوز ثلاثة سنوات ، فأن سياسته تجاه الصليبيين كانت عدائية تغلب عليها الجانب العسكري والحروب اكثر من الجانب الدبلوماسي. [2]

لكننا لا ننكر المواقف السلمية الحكيمة التي تعامل بها السلطان مع حكام وقادة ممالك صليبي الشام ، فاغلب الحاميات والحصون الصليبية على غرار عكا فتحت بمعاهدات استسلام مع عهود أمان على أهلها ، إضافة إلى نجاحه و تفاديه حقن الدماء ، كما اتخذ أسلوب التعايش السلمي مع الصليبيين الذي رفضوا إخلاء والخروج عن معاقلهم السابقة [3]، وعاملهم كأهل ذمة ، وفق مبادئ الإسلام والدبلوماسية ، دون أن ننسى سياسته المحنكة في تعزيز العلاقات الخارجية مع ملوك الغرب الأوروبي بعد جلا ء أبناء جلدتهم من الشام رغم معارضة الطوائف الدينية البابوية وقد نجح دبلوماسيا في عقد معاهدات تجارية مع بعضهم و إيجاد ثغرة الخلافات بينهم وإشغالهم على التفكير في قيام بحملات صليبية انتقامية[4].

---

[1]- **ابن عبد الظاهر** ، تشريف الأيام والعصور ص ص 165، 169

[2]- **نور الدين خليل** ، الأشرف خليل فاتح عكا، مكتبة بستان المعرفة ، الإسكندرية 2010 ص259

[3]- **ابن عبد الظاهر** ، **تشريف** الأيام والعصور ص 172-173

[4]- **المقريزي** ، السلوك لمعرفة دول الملوك ج1 ص768

- المبحث الرابع : العلاقات مع الصليبيين بعد جلائهم من الشام في عهد الناصر محمد .
- المطلب الأول : السلطان الناصر محمد وسلطنة المماليك.
- المطلب الثاني: العلاقات مع الملوك الصليبيين في الغرب.
- المطلب الثالث: السلطان الناصر والبابوية .
- المطلب الرابع: حصيلة دبلوماسية الناصر محمد مع الصليبيين .

المطلب الأول : السلطان الناصر محمد وسلطنة المماليك

أجمع اغلب المؤرخين المسلمين[1] ، أن حكم السلطان الناصر محمد [2]على المماليك من ازهى مراحل التاريخ المملوكي التي وصلت فيه الدولة إلى ذروتها وازدهارها ، وقد بلغت فترة حكمه مدة ثمان وأربعين سنة مرت على ثلاث مراحل متفرقة ، وما يميز أيضا عصره هو عهد وراثة تخللته فترات اغتصاب لا تكاد تظهر حتى تختفي ثم يعود وارث العرش إلى مكانه .

بداية توليته عرش المماليك كانت سنة 693ه/1293م وهو حدث لا يتجاوز التاسعة من عمره ، فكانت سلطته اسمية ، بعد أن أغتصب عرشه وتم خلعه ولم تدم فترة حكمه سوى عام ، ليعيد تولي السلطنة في المرة الثانية سنة 698 ه/1298 م ، غير أن كثرة المتآمرين عليه ، وإفساد صورته أمام العامة، عجلت بانسحابه لفترة زمنية حتى تستقيم أحوال البلاد ، ليغتصب عرشه للمرة الثانية من طرف مقربيه من الأمراء ، ثم اعتلى بعدها السلطنة للمرة الثالثة بتاريخ 709 ه/1309 م التي كانت من احسن المراحل التي دامت فترتها إلى ما يقارب ثلاثون سنة أو اكثر[3] .

عمل الناصر على تثبيت ركائز مملكته والقضاء على ادعائه في الداخل ونجح في كسب ثقة الرعية ، أما خارجيا فأصبحت دولته إمبراطورية شاسعة الأرجاء وغدت عاصمته القاهرة مركز للتجارة والصناعة ، و كعبة للعلم والفن وقبلة أنظار المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وكون أيضا جيشا قويا تخشاه الدول ، كما امتد نفوذ سلطانه من بلاد النوبة غربا إلى البحر الأحمر شرقا ، ومن أسيا الصغرى شمالا إلى بلاد اليمن والحجاز ، وقد خطب وده ملوك أوروبا وأسيا وسارعوا بالتواصل الدبلوماسي حيث كاتبه الملوك وهابوه وهادوه ، وغدت بذلك مصر في عهده مركزا مهم للأمم الشرقية والغربية[4]

---

[1]- **بيبرس المنصوري** ، زبدة الفكرة ج9 ص172، **أبو الفداء** ، المختصر ج1 ص 09 ابن أياس ، **بدائع الزهور** ج1 ص 157

[2]- تعرض السلطان إلى اعتصاب عرشه في مرحلتين من طرف أمراءه والمقربين اليه ، ففي المرحلة الأولى ساهم بعض الأمراء والقادة في خلعه وعلى راسهم العادل زين الدين كتبغا والمنصور حسام الدين لاجين نظرا لحداثة سنه وفي مرحلة حكمه الثانية ، فقد لعب المظفر زين الدين بيبرس الجاشنكير المعروف ببيبرس الثاني في أبعاده عن الحكم ، ويعتبر أيضا المؤرخ أبو الفداء شاهد عيان في فترة حكمه حيث كان من مرافقيه ، توفي السلطان الناصر محمد في 30 من ذي الحجة سنة 741 ه/ 13جوان 1341 م ، انظر **أبو الفداء** ، **المصدر السابق ج 4 ص56** ، ابن أياس ، **المصدر السابق ج1** ص 152

[3]- ، **المقريزي** ، السلوك لمعرفة دو ل الملوك ، ج1 ص352

[4]- **علي إبراهيم حسن** ، دراسات في تاريخ المماليك البحرية ص 100-102

المطلب الثاني: العلاقات مع ملوك الصليبيين في الغرب:

أضحى جلاء كامل صليبي الشرق من الشام ، إلى كتابة تاريخ جديد في منطقة المشرق ، حيث أصبحت موازين القوى بيد دولة المماليك ، ولم يهضم الصليبيين في الغرب هاته الضربة الموجعة التي فقدوا على اثرها جميع مواردهم وشعائرهم ، التي كانت منفذا لهم في زمن مضى ليس ببعيد، وقد انتهج ملوك أوروبا استراتيجية أخرى في التعامل مع قوة المماليك الجديدة حكام الشام ومصر الحاليين وفق نهج دبلوماسي قائم على ربط علاقات ودية قصد التقرب والوصول والاستفادة فيما اكتسبوه سابقا، خاصة في الجانب التجاري والديني.[1]

1-العلاقة مع ملوك فرنسا:

حرصت فرنسا على التودد والتقرب لبعث علاقات سلمية من جديد ، قصد تحقيق مصالح مع المماليك في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، وقد ارسل الملك الفرنسي شارل الرابع عدة سفارات لدولة المماليك، وكانت في سنوات 722-728 ه/ 1322-1327م غرضها بعث السلم وتوطيد العلاقات الدبلوماسية ببن الطرفين.[2]

أرسل الملك الفرنسي في 729ه/1228م سفارة تحمل هدايا إلى السلطان المملوكي تتمثل في تحف ثمينة مصنوعة من الماس و العاج كشعار تودد ومسالمة إضافة إلى قبول طلبه المتمثل في حماية الرعايا الصليبيين المقيمين بالشام[3]وتحسين معاملتهم ومعيشتهم ،و قد لبى السلطان ذلك ، وباعتلاء العاهل الفرنسي الجديد فيليب السادس سنة 730ه/1229م عرش فرنسا أراد كسب العلاقة الودية مع السلطان المملوكي واستغلالها لصالحه ، متوهما استرجاع مملكة بيت المقدس على طريقة تكرار تجربة الكامل الأيوبي وفريدريك الثاني[4].

---

[1]- **سعيد عبد الفتاح عاشور**، أوروبا العصور الوسطى ، ج1 ص 505-509
[2]- **المقريزي** ، السلوك لمعرفة دول الملوك ج 3 ص 129
[3]- **سعيد عبد الفتاح عاشور** ، العصر المماليكي في مصر والشام ص275
[4]- **سهيل محمد طقوش** ، المرجع السابق ص 259

وقد أرسل سفارة أخرى في نفس العام الذي تربع فيها على عرش فرنسا إلى سلطان المماليك يفاوضه في ذلك وكان رد الناصر محمد قاسيا وبمنتهى الغلظة على البعثة الصلبية المرسلة قائلا (لولا الرسل لا تقتل لا ضربت أعناقكم) [1] وقام بطردهم ولقد لقي هذا التصرف نوع من الحسرة والاستياء من بعض ملوك وأوروبا الذي أعاد العلاقات إلى نقطة الصفر ، إضافة إلى محدودية الإدراك والوعي السياسي والدبلوماسي من طرف الملك الفرنسي ، وقد تراجعت بالتالي العلاقات الدبلوماسية الفرنسية المملوكية وعرفت نوع من الفتور والعزلة إلى غاية قيام المماليك البرجية.[2]

2-العلاقة مع مملكة أراغون :

سهرت مملكة ارغون على توطيد العلاقات الدبلوماسية سواء السياسية او الاقتصادية أو حتى دينية مع دولة المماليك ، فجرت على إثرها سفارات و مراسلات متبادلة بين العاهلين السلطان محمد[3] و الملك جيمس الثاني خاصة في سنوات 699-728ه / 1300-1328 م وكانت فاتحة هاته العلاقات في عام 699ه-1300م والتي تمحورت أغلبها في الحصول على إمتيازات تجارية في بلاد الشام و تسهيل سبل الحج إلى الأراضي المقدسة لرعاياهم وإطلاق سراح السجناء المسيحين وضمان حسن معاملة المسيحيين في الشرق و خلق علاقة صداقة وحسن تفاهم بين الدولة المملوكية ومملكة أراغون.[4]

عمل السلطان في الرد على المراسلة بتاريخ 13 شوال 699 ه/ لشهر02 جويلية 1300 م ، حيث أظهر في مضمون الرسالة نوع من قوته العسكرية أمام صليبي الغرب وانشغاله بالتفرغ لدحر المغول ،كما أشار إلى الموافقة وقد ساعدت هاته المبادرة إلى تقارب وجهات النظر بين البلدين.[5]

---

[1]- **ابن ثغري بردي** ، النجوم الزاهرة ،ج8 ص 196
[2]- **سعيد عبد الفتاح عاشور ، العصر المماليكي في مصر والشام ص275**
[3]- **ابو الفداء** ، المختصر في أخبار البشر ج 3 ص 32-33
[4]- **موير السير وليام** ، تاريخ دولة المماليك في مصر ص 178
[5]- **محمد جمال الدين سرور** ، دولة بني قلاوون في مصر ص 264

أ-السفارة الثانية 702ه/1302م:

طمع الملك جيمس الثاني في امتيازات أوسع مستغلا سماحة الملك السلطان محمد فأرسل إليه سفارة ثانية سنة 702ه-1302م يرجوه فيها بإعادة فتح الكنائس في بلاد الشام مقابل منح الطوائف الإسلامية حق العبادة في أرضه، وقد رد الناصر على الرسالة بالسهر على حسن معاملة الأقباط وإعادة فتح بعض الكنائس ، وقد ذكرت المصادر التاريخية انه تم فتح بعض الكنائس مثل : كنيسة اليعاقبة في حارة زويلة وكنيسة القديس نقولا ، ومنح الأقباط حرية العبادة[1] .

لم تلبث العلاقات الطيبة بين الطرفين ليحدث فتور وعزلة نتيجة الإهانة التي ارتكبها البلاط الاراغوني ضد السفير المملوكي الأمير فخر الدين عام 705ه/ 1306م وقد تبع ردة فعل من البلاط المملوكي بإلقاء القبض على رعايا الصليبيين التابعين لمملكة أراغون ومصادرة أموالهم بالإسكندرية. [2]

ب -إستئناف العلاقات بين السلطان الناصر ومملكة أراغون:

استأنفت العلاقات الدبلوماسية مجددا في عام 714ه/1314 م بعد انقطاع لثمانية سنوات في سفارة الاعتذار التي بعثها الملك جيمس الثاني عن حادثة إهانة الأمير المملوكي فخر الدين ، منتهزا الفرصة لتحسين وضع المسيحين والرعايا الصلبيين الباقين في الشرق فطلب منه إطلاق الحرية الدينية للرعايا المسيحيين و حماية الحجاج القادمين من الغرب الصليبي لبيت المقدس في آراضي الدولة المملوكية[3].

وقد استقبل السلطان المملوكي الوفد بترحاب وحفاوة ورحب بهم في القاهرة وقد وافق على الاعتذار ومجمل الطلبات [4].

[1]- **حسن علي إبراهيم** ، دراسات في تاريخ المماليك البحرية ، ص185-186
[2]- **الحجي حياة** ، العلاقات بين سلطنة المماليك والممالك الإسبانية ص 111
[3]- **محمد عبد المنعم الجمل** ،دولة سلاطين المماليك ورسومهم ،مكتبة الأنجلو المصرية ، ط1 ، ج1، القاهرة 1979 ص ص377-378
[4]- **سهيل طقوش** ، تاريخ المماليك في بلاد الشام ومصر **ص 235**

ج -السفارة الثالثة سنة 718هـ/1318م:

أرسلت سفارة أخرى إلى الدولة المملوكية في سنة **718هـ/1318م** يعترف بها بما قدمه السلطان الناصر من خدمات جليلة ، وقد حرص الملك جيمس على مهاراته الدبلوماسية للحصول على امتيازات أخرى ، خاصة أن السفارات والمراسلات السابقة كانت في صالح المسيحيين .دون نسيان العلاقات الطيبة القائمة و المعاملة الرفيعة للسلطان تجاه مملكة أراغون ، حيث قام عام **721هـ/1321م** بمراسلة أخرى يطلب فيها برجاء تخصيص الإخوان الدومينيكان الأورغوانيين حماية وإدارة القبر المقدس ،و أن يسلم السلطان للوفد المرسل الأثار المقدسة التي تحوي في بعض أجزاء من صليب الصلبوت وجسم القديسة بربارة ، تقديرا لهاته الصداقة المتقاربة.[1]

كان رد السلطان الناصر محمد على الرسالة دبلوماسيا مدخلا عامل الطمأنينة لملك أراغون في معاملة النصرانيين في المشرق.[2]

د- السفارة الرابعة 728هـ/1328م:

طلب الملك جيمس الثاني من خلال السفارة المرسلة في شهر شوال 728 هـ لمنتصف أوت 1328 م بإحلال الفرنسيسكان مكان الدومينيكان في القيام بخدمة القبر المقدس وقد صحب الرسول الاراغوني رسول مندوب فرنسي في هاته السفارة إلى القاهرة ، ولم يلبث أن وقع اختلاف وصدام بين الرسولين المبعوثين[3] حول إشاعة منح فرنسا حق تملك رعاية القبر المقدس من طرف السلطان بعد أن أكرم وفادة السفير الفرنسي ، وعلى إثرها دبر مؤامرة ضده ، وأوعز للسلطان بان السفير الفرنسي يخفي نوايا سيئة ضد السلطنة المملوكية ، وقد تأثر السلطان بما سمع ورفض منح راعية القبر المقدس لفرنسا وأساء معاملة السفير.[4]

---

[1]- **محمد جمال الدين سرور**، دولة بني قلاوون في مصر ص 263
[2]- **محمد سهيل طقوش**، تاريخ المماليك في بلاد الشام ومصر ص 288
[3]- **المقريزي** ، السلوك لمعرفة دول الملوك ج2 ص 370
[4]- **أبو الفداء** ، المختصر في أخبار البشر ج 4ص 119

إستمرت العلاقات الجيدة بين الدولتين حتى بعد وفاة الملك جيمس الثاني ، وقد توطدت مجددا باستمرار المسالمة وتبادل الهدايا والرسائل الودية مع خليفته الملك الفونسو الرابع.[1]

3-العلاقة مع البندقية 702هـ/1302م:

أرسلت البندقية سنة 702هـ/م1302وفدا دبلوماسيا إلى المماليك ، لتحسين وبعث العلاقات الدبلوماسية وتجديد المعاهدات التجارية التي حصلت عليها في عهد السلاطين السابقين، رغم قرارات البابوية المحرمة في التعامل مع المماليك بعد جلاء الصليبيين من الشام، وقد تم الاتفاق على تجديد توقيع معاهدة تجارية بين الطرفين على سيرة في عهد السلاطين السابقين، المتمثلة في إمتيازات بالإعفاء من نصف الرسوم الجمركية، وحماية تجارهم ومتاجرهم، وحرية ممارسة عباداتهم، كما تعهدت البندقية بجلب السلع والمتاجر الحربية التي حرمتها البابوية مثل الحديد والخشب بشرط أن يسمح السلطان الناصر محمد بتصدير سلع وبضائع مصرية بقيمتها ، كما تم الاتفاق على تعيين سفير مؤقت للبندقية بالإسكندرية، وقد توطدت المعاملات التجارية والعلاقات الدبلوماسية حتى عهد المماليك البرجية.[2]

4-العلاقات مع الدولة البيزنطية705هـ/1305م:

حرصت الدولة البيزنطية على استمرار العلاقات الجيدة مع المماليك ، حيث أرسل الإمبراطور اندرونيقوس الثاني سنة 705هـ/م1305 بوساطة ملك الكرج دافيد الثاني هدية ورسالة مضمونها فتح كنيسة المصلبة ببيت المقدس وأن تكون الكرج في طاعته، وقد عمل السلطان بإجابتهم بفتح كنيسة اليعاقبة بالقاهرة ومعبد اليهود [3]، وقد كان الإمبراطور حريصا على صداقة السلطان الناصر ، بإرسال الهدايا بين الحين والأخر وقد سعى على التحالف مع سلطنة المماليك ضد الغرب الصليبي ، خاصة بعد أن رفض المشروع الصليبي المتمثل في خنق دولة المماليك

[1]- **ابن ثغري بردي** ، النجوم الزاهرة ،ج8 ص 175
[2]- **سعيد عبد الفتاح عاشور** ، العصر المماليكي ص 235-240
[3]- **حسن إبراهيم حسن**، دراسات في تاريخ المماليك ص 187

اقتصاديا عن طريق التجارة البحرية تمهيدا لاحتلالها حربيا وقد صمم على توطيد العلاقة الودية مع المماليك والسير على السياسة الدبلوماسية لإسلافه الملوك.[1]

المطلب الثاني:_السلطان الناصر والبابوية :

انتهج البابا يوحنا الثاني والعشرون نفس أسلوب الملك الفرنسي شارل الرابع ، حيث كثف من إرسال المراسلات وسفراء الكنائس البابوية في سنة 730ه الموافق 1230 وكذلك في سنة 731ه-1231 م إلى السلطان الناصر المملوكي في مصر كان معظمها تدعوا إلى التودد والمسالمة وقد حرص في مراسلاته وبعثته الدبلوماسية ، على الإطمئنان على حسن معاملة المسيحين والصلبيين [2] من قساوسة ورعايا مقيمين في الشام ومصر مقابل المعاملة بالمثل للمسلمين، الوافدين على الغرب الأوروبي والخصول على امتيازات دينية في المقام الأول ، وقد وعده السلطان الناصر بالإجابة على طلبه في الوقت المناسب [3].

الواقع في تلك الفترة ان دولة المماليك عملت على الحفاظ على العلاقات الودية مع جميع الدول الغير الإسلامية خاصة ،حيث سعت جاهدة في حماية الرعايا الأجانب سوآءا صلبيين أو غيرهم وربطت هاته العلاقات أيضا بالتبادل التجاري ، وقد أضحت القاهرة قبلة للسفراء من من الغرب والشرق وقد ساعدت كذلك بتواجد القناصل الأوربية الصليبية في اكبر المدن والموانئ المتواجدة بالرقعة المملوكية يخطبون ود السلطان ويطلبون مساعدته ويسارعون إلى مسالمته وقد انعكس التواصل الدبلوماسي إيجابيا على الدولة ،خاصة في مجال التجارة.[4]

1-السلطان الناصر محمد ومملكة أرمينية الصغرى:

ما يعرف أن مملكة أرمينية الصغرى ظلت خاضعة للسلاطين المماليك السابقين بدأ من الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون وإبنه الأشرف خليل ، وبقي الحال على ذلك حتى اعتلى السلطان الناصر محمد عرش المماليك ، وقد إغتنم الملك الأرميني العداء بين المماليك والمغول

---

[1]- **محمد جمال الدين سرور**، دولة بني قلاوون في مصر ص 263

[2]- **ابن كثير** ، البداية والنهاية ج 13 ص 292
[3]- **محمد سهيل طقوش** ، المرجع السابق ص 292
[4]- **ابن تغري بردي** ، النجوم الزاهرة ،ج 8 ص188

الذين كثفوا من حملاتهم على بلاد الشام ، ورجع بذلك إلى سيرته الأولى في الامتناع عن دفع الجزية المفروضة عليه.[1]

أرسل السلطان الناصر عدة حملات عسكرية على الأراضي الأرمينية وقد عجز الملك الأرميني **ليو الخامس** في كسر الحصار المفروض عليها في الفترات الزمنية **720ه/744ه-1320م-1344م** وقد اضطر إلى المبادرات الدبلوماسية[2] المتمثلة في طلب الهدنة والولاء وقد قوبلت الهدنة بشروط تتمثل في إعادة دفع الجزية المعلقة ودفع مبلغ مقدر ب خمسين 50 الف فلورين من ضرائب التجارة البحرية ، وان يترك الخراج لمدة ثلاث سنوات ،مع عقد هدنة لمدة خمسة عشرة سنة ، لكن نهايتها كللت بنقض الهدنة بعد فترة وجيزة .[3]

فتح جزيرة أرواد سنة 702ه/1302م:

بعد سقوط عكا انتهى الصليبيون في الشام ، فأتخذ ما بقي منهم جزيرة أرواد[4] مقرا لهم وبنوا قلاعا وحصونا يحتمون بها ، وقد راسلوا للسلطان الناصر محمد يهددونه باسترجاع ميراث أجدادهم من إقطاعات وممتلكاتهم المنهوبة ، وقد رد للسلطان بتسليم وجلاءهم نهائيا من جزيرة أرواد ، مقابل التامين على انفسهم وبمواصلة تعنتهم ، بعد إغارتهم على سكان المدن الساحلية ببلاد الشام ، أرسل السلطان أسطولا بحريا وحاصر الجزيرة ، وأنتهى القتال بتسليم المدينة وأسر نحو خمسمائة أسير. [5]

المطلب الرابع: حصيلة دبلوماسية الناصر محمد مع الصليبيين في الغرب:

يعتبر طول مدة حكم السلطان الناصر محمد في دولة المماليك و المقدرة بإثنان وثلاثون سنة دليلا كافيا على قوة دولته وثباتها واستمراريتها في الساحة سواء كان ذلك عسكريا أو اقتصاديا أو سياسيا بما فيها الجانب الدبلوماسي ، فخبرة وشخصية السلطان كانت كافية لترسيخ

---

[1]- **المقريزي** ، السلوك لمعرفة دول الملوك ج2 ص 214

[2]- **وائل عبد الحق الضمور** ،الأمير بيبرس المنصوري ودوره في التأريخ لدولة المماليك ، دار السفير للنشر ، عمان 2009 ص 115

[3]- **لامية وادي** ، دولة المماليك في عهد السلطان محمد بن قلاوون ص 100

[4]- **جزيرة أرواد**، احد الجزر المتواجدة على الساحل الشامي على مقربة من القسطنطينية ، فتحها المسلمون ستة 54 ه انظر الحموي ، معجم البلدان ج2 ص 209

[5]- أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ج4 ص 35-36

مظاهر العمل الدبلوماسي لدولته على نهج أجداده أمام الدول الإسلامية والأجنبية وبالأخص الصليبيين في الغرب الأوروبي ، فقد حرص على امتصاص الغضب الصليبي وكسر الروح الانتقامية والحماسية البابوية بعد جلاء أبناء جلدتهم من الشام من خلال التعامل الودي والسلمي فعقد المعاهدات ولبى الطلبات وحالف المستنجدين ووطد العلاقات إيجابيا من خلال اتفاقيات التجارة واكتساب الامتيازات والمصالح المشتركة ، فجعل من هؤلاء ينشغلون بذاتيتهم ويهملون وحدتهم .[1]

أعطى السلطان أيضا نموذجا مميزا في الدبلوماسية في توثيق عرى الصداقة بينه وبين الملوك والأمراء الصليبيين في الغرب ، حيث عمل على إرجاع بوادر العلاقات السلمية وتمحورت دلائلها في حسن معاملة المسيحيين المقيمين، وتشجيع التجار الأوربيين [2]في بعث تجارتهم بين محور الشام ومصر ، كما عمل على تأمين وحماية مقدساتهم وشعائرهم المتبقية في المشرق ، فكسب بذلك ثقة ملوكهم وأمرائهم. [3]

ومن الجانب الأخر أصبح البلاط المملوكي في المشرق الإسلامي ، محط رحال السفراء الأوروبيين الوافدين من الغرب ، حاملين رسائل وهدايا ملوكهم يؤكدون فيها صداقتهم ومودتهم ، حتى صارت القاهرة مركز دولي ، ذاع صيتها بين ملوك أوروبا والدول الأجنبية الأخرى . كما فرضت الهيبة الدبلوماسية من خلال ميزة سفراءها و حسن استقبال الوفود والرسل فأعطت صورة عن نمط العلاقات الدبلوماسية للصلبيين الأوروبيين في الغرب بالأخص مع سلطنة المماليك في عهد السلطان الناصر محمد بعد رحيلهم وخروجهم من ارض الشام. [4]

---

[1]- **المقريزي** ، السلوك لمعرفة دول الملوك ،ج3 ص 163
[2]- **توفيق اليوزبكي** ، تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المماليكي ص 57
[3]- **حسن إبراهيم حسن** ، دراسات في تاريخ المماليك ص 189
[4]- **محمد سهيل طقوش** ، تاريخ المماليك في بلاد الشام ومصر ص 293

الخاتمة

وبدراسة موصفة لموضوع الدبلوماسية بين المماليك البحرية والصليبيين، توصلنا إلى جملة من النتائج لعل أهمها:

- ✓ نشأة الدولة المملوكية رسمت معها ميلاد الدبلوماسية التي قامت على مخلفات الصراع الصليبي الأيوبي في الحملة الصليبية السابعة على مصر ، حيث كانت عاملا مساعدا على استخلاف الأيوبيين ، والظهور كغريم جديد للصليبيين هدفه إبراز الشرعية والحفاظ على ثوابت الوجود الإسلامي في المشرق بالوسائل السلمية أو الحربية في ظل التواجد الصليبي في الشام .
- ✓ بداية العلاقات بين المماليك والصليبيين ،لم تأخذ الطبيعة السلمية في التعامل المباشر، فالعمل الدبلوماسي كان قائما في بدايته على ما تحدده الحروب و المعارك قبل قيامها أو عند إنتهائها من خلال عقد معاهدة صلح أو فداء أسرى أو هدنة مؤقتة ، ومع مرور الزمن أرتقى التواصل إلى مجال مفاوضات التحالف و الحياد السلمي و ذلك لتحقيق أهداف مسطرة ، فالطرف المملوكي يعمل على بقاء الدولة المملوكية الحديثة التكوين ومناهضة الأيوبيين حول شرعية الحكم ، والتفرغ إلى صد الخطر المغولي الزاحف ،أما الطرف الصليبي فكان يبحث على إعادة هيكلة وتوحيد إماراته و ضمان البقاء في أرض الشام ، نتيجة الضعف والتفكك والصراعات الداخلية .
- ✓ رسم إزدهار وتوسع وهيمنة الدولة المملوكية على الأمصار و ارتقاء نشاطها الدبلوماسي أيضا ،بداية بفترة الظاهر بيبرس الذي نجح بفضل دبلوماسيته في أن يحيط تحركاته العسكرية ضد أعدائه بسياج متين من المعاهدات والإتفاقيات الخارجية ليضمن تقوية جبهته وكسب أعوان وحلفاء ضد خصومه ، كما انتهج في مساره أسلوب الأرجوحة من المهادنات المتكررة والمسالمة مع الصليبيين

تارة والضغط عليهم وعدائهم تارة أخرى ، إضافة الى الترصد واستغلال ثغرات ضعفهم والتفرغ إلى معارضيه داخليا .

- ✓ –قامت الحياة السلمية في فترة المهادنة بين المماليك والصليبيين على المسالمة والمؤازرة والمصافاة ، وكف الأذية والأضرار حسب نصوص المراسلات بين الطرفين .
- ✓ : ما يميز عصر الازدهار المملوكي أيضا هو تهاطل السفارات الأجنبية وخاصة الصليبية على عاصمة البلاط المملوكي في القاهرة بدءا من الشرق واستمرارها في الغرب حيث أصبحت مركزا سياسيا واقتصاديا تأتيها الوفود والبعثات من كل حدب.
- ✓ كانت البعثات الدبلوماسية المتبادلة قائمة على سفارات مؤقتة وليست دائمة ، وفق المهمة المسطرة لكل رسول أو سفير تنتهي سفارته بإنتهاء مهمته ، وما يلاحظ أيضا أن العامل المشترك بين الطرفين هو العناية والتدقيق في إختيار السفراء التي تجمع بينهم صفات السياسة والقضاء والعلم والكفاءة وروح المسؤولية والذكاء والحنكة والخبرة الكافية ، وقد أثبتوا نجاحهم في المهام الدبلوماسية التي أوكلت إليهم وخير مثال : سفارة الأمير فارس الدين أقطاي المستعرب الى عكا وبيروت وسفارة إبن عبد الظاهر الى أنطاكية وسفارة المبعوث الدبلوماسي الفرنسي يوحنا فالنسيين إلى السلطان المعز آيبك.
- ✓ حضيت معاملة الرسل والسفراء بين الطرفين على حسن الإستقبال والتكريم بما يليق بمقام دولتهم ومركزهم ، فقد حرص الظاهر بيبرس مثلا، على إعطاء مظاهر العرف الدبلوماسي بعناية فائقة وتحضير مسبق ، وقد ترتب في حفاوة استقبال الوفود في إقامتهم المؤقتة والسهر على أمنهم ، كما عمل على صياغة أسلوب

جديد ، والمتمثل في مرافقة وحماية الرسل بعد إنهاء مهامهم والرجوع إلى إمارتهم.

- ✓ إتخذت المراسلات والمكاتبات بين المماليك والصليبيين أسلوب التعظيم والتجبيل للحكام وفقا بما تقتديه الدبلوماسية ، وقد ثبت ذلك في مراسلات الظاهر بيبرس إلى بوهيمند صاحب أنطاكية و المنصور قلاوون مع أميرة بيروت ، إضافة إلى مراسلات التهاني والمجاملات التي كان يرسلها ملك أراغون جيمس الثاني الى السلطان الناصر محمد بن قلاوون.
- ✓ عمل سلاطين المماليك في عصر قوتهم على الإلتزام بمعايير الدبلوماسية في عقد المعاهدات مع الصليبيين بما يرضي الطرفين واقرارها بحلف عهد الأمان، إضافة الى الختم والتوقيع على بنود الإتفاقيات واحترام مدة الهدنة وتطبيق حتى شروط مدة التمهيل بعد انقضائها ، رغم أن موازين القوى كانت صالحهم إلا أنهم لم يكونوا السابقين في نقض الهدن .
- ✓ كما شمل التعامل الدبلوماسي أيضا على التحديد الجغرافي الدقيق بين دولة المماليك ومختلف الإمارات الصليبية ،حيث دونت في أغلب المعاهدات وصف مفصل لمناطق الصراع بين الطرفين والتي تدخل ضمن الاتفاقيات الرسمية بين بينهما.
- ✓ المهادنات ومعاهدات الصلح مع الصليبيين في عهد المنصور قلاوون لم تكن محل ضعف أو سليلة للعمليات الحربية ،بل كانت أيضا حلا مؤقتا تفرغا عن انعكاسات الأوضاع الداخلية المتأزمة التي كان يعيشها كل طرف.

- ✓ سعى الصليبيون في ممارسة أسلوبهم الدبلوماسي مع السلطان قلاوون وبنيه من خلال إتباع سياسة المهادنة والمسالمة والمجاملات والتودد إليهم وتجنب القتال قدر الإمكان، ووقوفهم على الحياد دون تحالف أو تدخل وحرصهم على عدم معاداة المماليك ،وكان بذلك أفضل وسيلة للحفاظ على كيانهم بسبب ضعفهم وتشتتهم وكذا كسب الوقت أملا في استفاقة صليبية من الغرب تعيد إليهم مكانتهم ، ولكن سرعان ما نقضوا العهود وعجل برحيلهم وسقطت أخر معاقلهم في عكا.
- ✓ إستطاع حكام دولة المماليك البحرية من خلال ممارستهم الدبلوماسية التي اتسمت بالحنكة وبعد النظر الى قدرة تجديد الإتصال والتعامل السلمي مع الصليبيين في الغرب بعد جلاء أبناء جلدتهم من الشام ، حيث قاموا برسم خريطة سياسية مبنية على شعار الحياد و السلم والأمان ، بعد أن كانوا على وشك فتح عنوان جديد لحملات صليبية استردادية بالتحريض البابوي، ولقد نجحوا في بناء علاقات سلمية جديدة مع الغرب الصليبي حيث تجسدت في أواصر الصداقة والمجاملات وتبادل الهدايا وتوجت أيضا بالمعاهدات التجارية والامتيازات والمصالح المشتركة بين الطرفين، وبالتالي كسبوا خصومهم التقليديين وساهموا في توطيد العلاقات السلمية بصيغة جديدة .

الملاحق

ملحق رقم:01

خريطة تبين توسع دولة المماليك في الشام

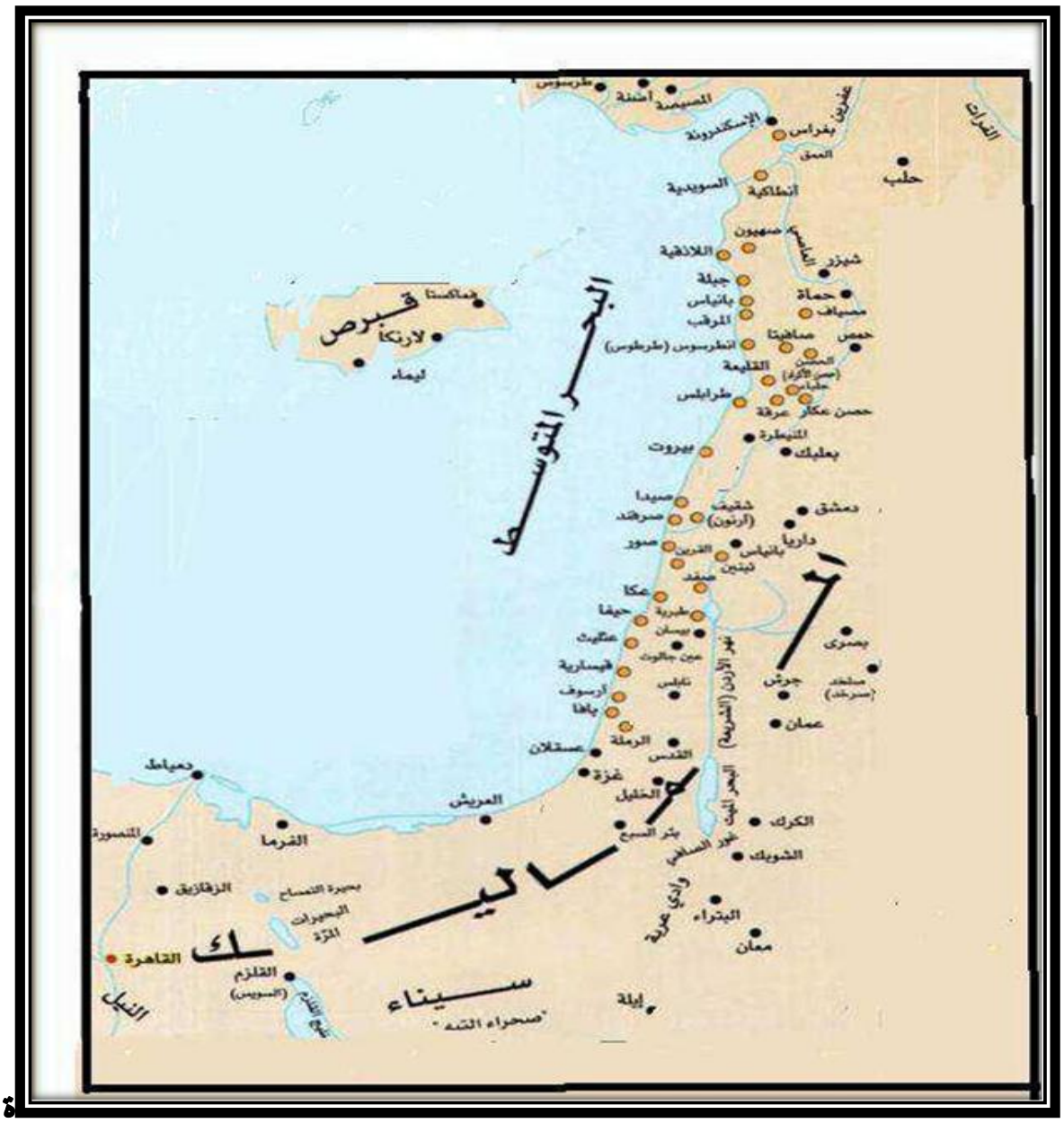

تبين توسع دولة المماليك في الشام

نقلا عن شوقي أبو خليل ، اطلس التاريخ العربي الإسلامي ص 90

ملحق رقم 02:

قلعة الجبل بمصر

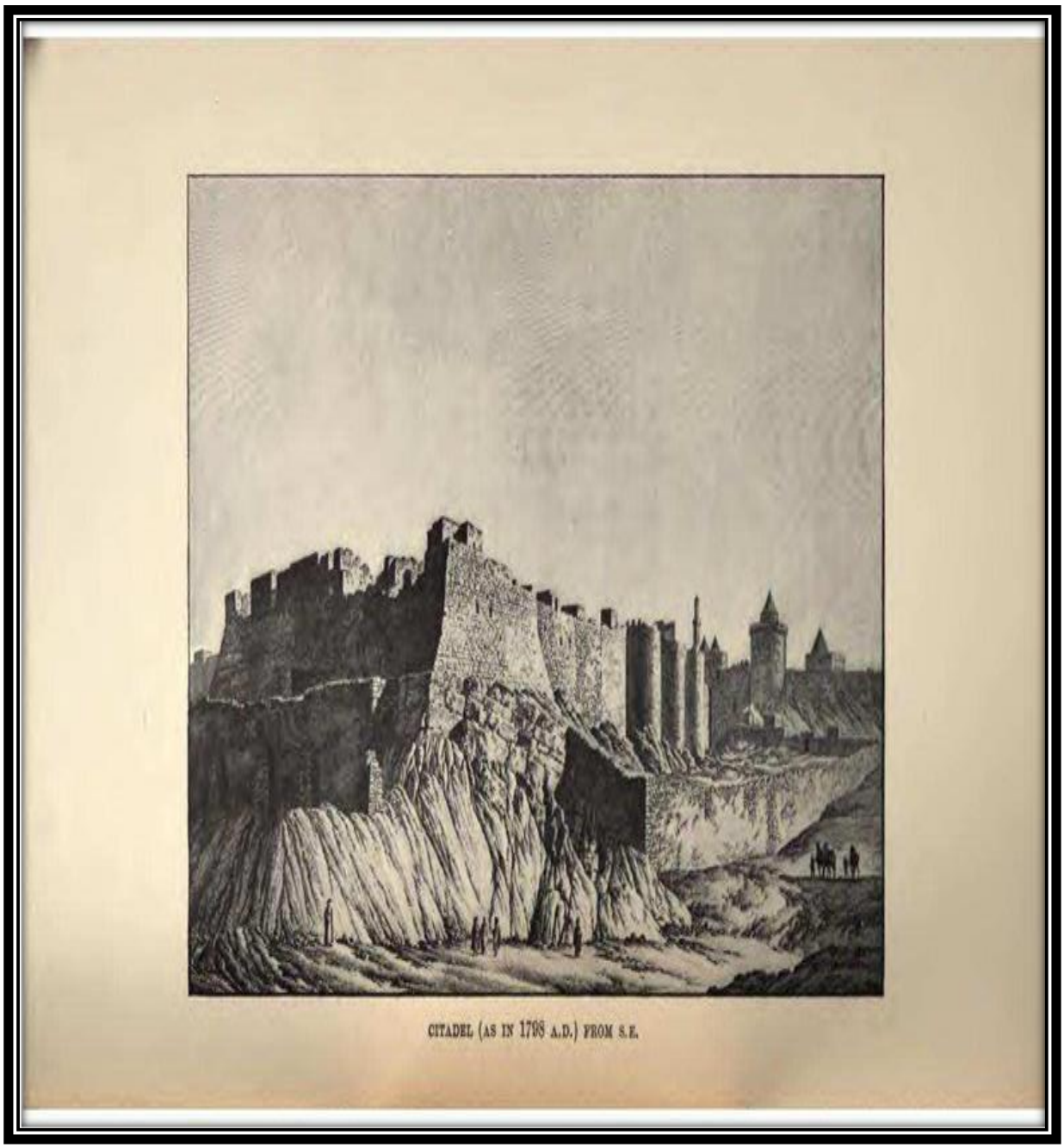

نقلا عن شوقي أبو خليل ، أطلس التاريخ العربي الإسلامي ص 42

-ملحق رقم 03:

لوحة لرسم تخيلي لفنان إنجليزي توضح تحرير المماليك لعكا

نقلا عن سامي بن المغلوث ، اطلس الحملات الصليبية ص 104

ملحق رقم:04

حصار الأشرف خليل لعكا

نقلا عن شوقي أبو خليل ، أطلس التاريخ العربي الإسلامي ص 88

ملحق رقم: 05

خريطة تبين الاقليم الجغرافي لدولة المماليك

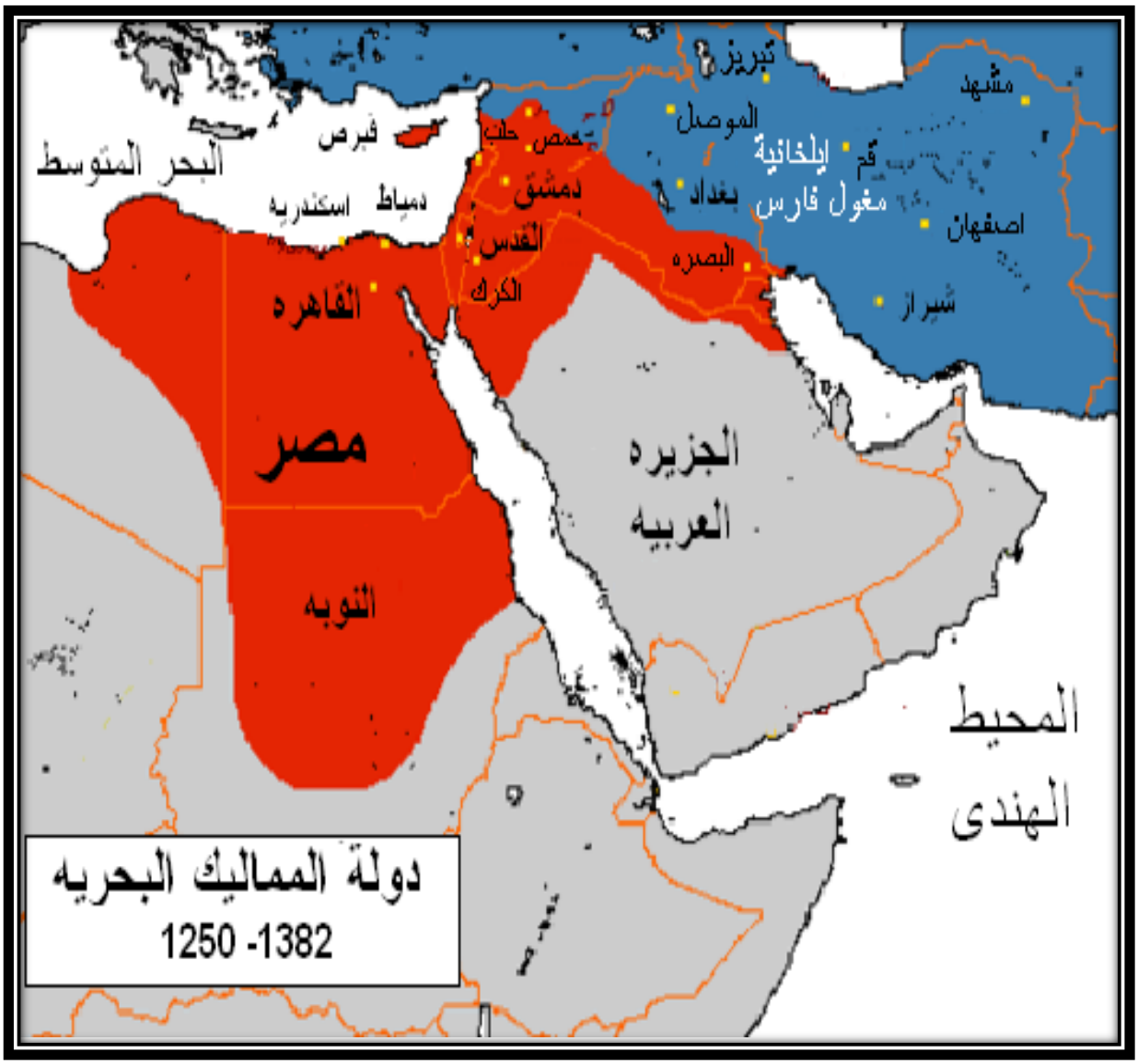

نقلا عن شوقي أبو خليل ، أطلس التاريخ العربي الإسلامي ص 88

ملحق رقم:06

نص الهدنة المعقودة بين السلطان الملك الظاهر بيبرس وبين الاستبارية المتغلبين على حصن الاكراد والمرقب وعكا، وذلك سنة 665 ه/ 1267 م

استقرت الهدنة المباركة الميمونة بين مولانا السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبي الفتح بيبرس الصالحي النجمي وبين المقدم الكبير الهمام فلان مقدم بيت الاستبار الفلاني بعكا والبلاد الساحلية وبين فلان مقدم حصن الاكراد وبين فلان مقدم حصن المرقب وجميع الإخوة الاسبتار لمدة عشر سنين متوالية وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات أولها يوم الاثنين ا ربع رمضان سنة خمس وستين وستمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام على أن جميع المملكة الحمصية والشيزرية والحموية وبلاد الدعوة المباركة واقع عليها الاتفاق المبارك ومستقرة لها هذه الهدنة الميمونة بجميع حدود هذه الممالك المعروفة وبلادها الموصوفة وقلاعها وضياعها وسهلها وجبلها وعامرها ومعطلها وطرقاتها ومياهها وقلاعها وحصونها على ما يفصل في كل مملكة ويشرح في هذه الهدنة المباركة للمدة المعينة إلى آخرها وعلى أن المستقر بمملكة حمص المحروسة أن جميع المواضع والقرى والاراضي التي من نهر العاصي وتغرب إلى الحد المعروف من الغرب لبلد المناصفات وبما فيها من الغلات صيفيا وشتويا والعداد وغيرها من الفوائد جميعها تقرر أن يكون النصف من ذلك للسلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين أبي الفتح بيبرس والنصف لبيت الاسبتار .وعلى أن كلا من الجهتين يجتهد ويحرص في عمارة بلد المناصفات المذكورة بجهده وطاقته ومن دخل إليها من الفلاحين بدواب أو من التركمان أو من العرب أو من الاكراد أو من غيرهم ويكون النصف للسلطان والنصف لبيت الاسبتار.وعلى أن الملك الظاهر يحمي بلد المناصفات المقدم ذكرها من جميع عسكره وأتباعه ومن هو في حكمه وطاعته ومن جميع المسلمين الداخلين في طاعته كافة وكذلك مقدم بيت الاسبتار وأصحابه يحمون بلاد مولانا السلطان الداخلة في هذه الهدنة.

نقلا عن القلقشندي، صبح الأعشى ج14 ص 34-35

ملحق رقم :07

نص الهدنة التي عقدها السلطان الملك الظاهر بيبرس سنة 667 ه/ 1269 م مع ملكة بيروت

(...استقرت الهدنة المباركة بين السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس وبين الملكة الجليلة المصونة الفاخرة فلانة ابنة فلان مالكة بيروت وجميع جبالها وبلادها التحتية مدة عشر سنين متوالية أولها يوم الخميس سادس رمضان سنة سبع وستين وستمائة الموافق لتاسع أيار سنة ألف وخمسمائة وثمانين يونانية على بيروت وأعمالها المضافة إليها الجاري عادتهم في التصرف فيها في أيام الملك العادل أبي بكر بن أيوب وأيام ولده الملك المعظم عيسى وأيام الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز والقاعدة المستقرة في زمنهم إلى آخر الأيام الظاهرية بمقتضى الهدنة الظاهرية بمقتضى وذلك مدينة بيروت وأماكنها المضافة إليها من حد جبيل إلى حد صيدا وجميع ما في هذه الأماكن من الرعايا والتجار ومن سائر أصناف الناس أجمعين والصادرين منها والواردين إليها من جميع أجناس الناس والمترددين إلى بلاد السلطان فلان وهي الحميرة وأعمالها وقلاعها وبلادها وكل ما هو مختص بها والمملكة الأنطاكية وقلاعها وبلادها وجبلة واللاذقية وقلاعها وبلادها وحمص المحروسة وقلاعها وبلادها وما هو مختص بها ومملكة حصن عكا وما هو منسوب إليه والمملكة الحموية وقلاعها وبلادها وما هو مختص بها والمملكة الرحبية وما هو مختص بها من قلاعها وبلادها والمملكة البعلبكية وما هو مختص بها من قلاعها وبلادها والمملكة الدمشقية وما هو مختص بها من قلاعها وبلادها ورعاياها وممالكها والمملكة الشقيفية وما يختص بها من قلاعها وبلادها ورعاياها والمملكة القدسية وما يختص بها والمملكة الحلبية وما يختص بها والمملكة الكركية والشوبكية وما يختص بها من القلاع والبلاد والرعايا والمملكة النابلسية والمملكة الصرخدية ومملكة الديار المصرية جميعها بثغورها وحصونها وممالكها..)

نقلا عن القلقشندي ، صبح الأعشى ،ج14 ص43-45

ملحق رقم :08

رسالة الظاهر بيبرس إلى أمير أنطاكية بعد فتحها (666 ه/ 1268 م)

(..وبعد أن أتم الله الفتح على السلطان الظاهر بيبرس، أرسل رسالة إلى أمير أنطاكية نصها: "قد علم القومص الجليل المبجل المعزز الهمام الأسد الضرغام فخر الأمة المسيحية كبير الأمة العيساوية (بيمند) المنتقلة مخاطبته –بأخذ أنطاكية منه– من البرنسية إلى القومسية؛ ألهمه الله رشده، وقرن بالخير قصده، وجعل النصيحة محفوظة عنده؛ ما كان من غزونا طرابلس ، وغزونا له في عقر الدار، وما شاهده بعد رحيلنا من إه ا رب العمائر، وهدم الأعمار، وكيف كنست تلك الكنائس من على بساط الأرض، ودارت الدوائر على كل دار، وكيف جعلت تلك الخسائر من على من الأجساد على ساحل البحر ، وكيف قُتلت الرجال، واستخدمت الأولاد، وتملكت الحرائر، وكيف قطعت الأشجار، ولم يترك إلا ما يصلح لأعواد المجانيق –إن شاء الله والستائر؛ وكيف نهبت لك ولرعيتك الأموال والحريم والأ ولاد والمواشي، وكيف استغنى الفقير، وتأهب العازب، واستخدم الخديم، وركب الماشي، هذا وأنت تنظر نظر المغشي عليه من الموت، وإذا سمعت صوتا قمت فزعا: "عل ي هذا الصوت"، وكيف رحلنا عنك لكن رحيل من يعود، وأخرناك وما تأخيرك إلا لأجل معدود؛ وكيف فارقنا بلادك وما بقيت فيها ماشية، ولا جارية إلا وهي ملكنا جارية، ولا سارية إلا وهي بين أيدي المعاول سارية، ولا زرع إلا وهو محصود، ولا موجود إلا وهو منك مفقود، وما منعت تلك المغائر التي في رؤوس الجبال الشاهقة، ولا تلك الأودية التي هي في التخوم مخترقة والعقول خارقة، وكيف سقنا عنك ولم يسبقنا إلى مدينتك أنطاكية خبر، وكيف وصلنا إليها وأنت لا تصدق أننا نبعد عنك، وإن بعدنا فسنعود على الأثر، وها نحن نعلمك بما تم، ونفهمك بالبلاء الذي عم...)

نقلا ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ص 309-313

ملحق رقم : 09

نص الهدنة التي عقدت بين الملك المنصور قلاوون وملكة صور سنة 684 ه/ 1285 م

(بسم الله الرحمن الرحيم: استقرت الهدنة المباركة بين مولانا السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين، سلطان الاسلام والمسلمين قسم امير المؤمنين وولده، وولى عهده الملك السلطان الملك الصالح علاء الدنيا والدين على خليل امير المؤمنين، وولده الملك الاشرف صلاح الدين خليل– خلد الله سلطانهما وأدام دولتهما – وبين الملكة الجليلة مالكة صور حال استقرار هذه الهدنة ونائبها بمملكة صور وهو القومص الجليل (سيرريم ونيسكند) لمدة عشر سنين كوامل متواليات متتابعات أولها يوم الخميس الرابع عشر من جمادى الاول سنة اربع وثمانين وستمائة للهجرة النبوية(صلوات الله على صاحبها وسلامه الموافق لثامن عشر تموز سنة ألف وخمسمائة وستة وتسعين للإسكندر بن فيليبس اليونانى وآخرها الرابع عشر من جمادى الاول من سنة اربع وتسعين وستمائة الموافق للثامن عشر من تموز سنة ألف وستمائة وخمسة للإسكندر، يتبع بعضها بعضا على حكم ما استقر عليه الحال الى آخر ايام الملك الظاهر –رحمه الله – متتاليات الساعات والايام والشهور والسنين الى آخرها على جميع البلاد الاسلامية الداخلة في ممالك بلاد(مولانا السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحي) قسيم امير المؤمنين، وبلاده وقلاعه ومدنه وحصونه، وما اشتملت عليه مملكة الديار المصرية، وما فيها من الثغور والسواحل والقلاع والمدن والمملكة الشامية وما اشتملت عليه من الثغور والقلاع والحصون والمدن والثغور الساحلية و والموانئ.والبلاد البعلبكية الحمصية والحموية والفتوحات الشريفة بحصن الاكراد وحصن عكار، وما يضاف اليها ودخل في جملتها من ثغور وحصون وسواحل، والمملكة الحلبية والفتوحات الانطاكية ...)

نقلا عن المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ج1 ص390-395

ملحق رقم :10

نص اليمين الذي أقسم بموجبه حكام عكا الفرنج من أجل احترام الهدنة التي عقدت بينهم وبين السلطان الملك المنصور قلاوون

والله والله والله وبالله وبالله وبالله وتالله وتالله وتالله وحق المسيح وحق المسيح وحق المسيح وحق الصليب وحق الصليب وحق الصليب وحق الأقانيم الثلاثة من جوهر واحد المكنى بها عن الأب والابن وروح القدس إله واحد وحق الصليب المكرم الحال في الناسوت وحق الإنجيل المطهر وما فيه وحق الأناجيل الأربعة التي نقلها متى ولوقا ويوحنا ومرقس وحق التلامذة الاثني عشر والاثنين وسبعين والثلاثمائة وثمانية عشر المجتمعين للبيعة وحق الصوت الذي نزل من السماء على نهر الأردن فزجره وحق الله منزل الإنجيل على عيسى بن مريم روح الله وكلمته وحق السيدة مارية أم النور ومارية مريم ويوحنا المعمودي وحق الصوم الكبير وحق ديني ومعبودي وما أعتقد ه من النصرانية وما تلقيته عن الآباء والأقساء والمعمودية إنني من وقتي هذا قد أخلصت نيتي في الوفاء للسلطان الملك المنصور ولولده الملك الصالح ولأولادهما بجميع ما تضمنته هذه الهدنة المباركة التي انعقد الصلح عليها على مملكة عكا وصيدا وعثليث وبلادها الداخلة في هذه الهدنة التي مدتها عشر سنين كوامل وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات أولها يوم الخميس ثالث حيزران سنة ألف وخمسمائة وأربع وتسعين وأعمل بجميع شروطها وألتزم الوفاء إلى انقضاء مدتها وإنني والله وحق المسيح وحق الصليب لا أتعرض إلى بلاد السلطان وولده ولا من سائر الناس أجمعين ولا إلى من يتردد منهم إلى البلاد الداخلة في هذه الهدنة بأذية ولا ضرر في نفس ولا في مال وإنني والله وحق ديني ومعبودي أسلك في المعاهدة والمهادنة والمصافاة والمصادقة وحفظ الرعية الإسلامية المترددين في البلاد السلطانية والصادرين منها و كف الأذية والعدوان عن النفوس والأموال وألزم الوفاء بجميع شروط هذه الهدنة إلى انقضائها ما دام الملك المنصور ولا أنقض هذه اليمين ومتى خالفتها ونقضتها فأكون بريئا من ديني واكون مخالفا للكنيسة ويكون علي الحج إلى القدس الشريف ثلاثين حجة حافيا ويكون علي فك الف أسير مسلم من أسر الفرنج وإطلاقهم وأكون بريئا من اللاهوت

نقلا عن المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ج1 ص390-395

ملحق رقم: 11

نص اليمين التي حلف بها الملك المنصور قلاوون على الوفاء بالهدنة المعقودة بينه وبين (صليبيي عكا 682 ه/ 1283 م)

(... والله والله والله وبالله وبالله وبالله وتالله وتالله وتالله والله العظيم الطالب الغالب الضار النافع المدرك المهلك عالم ما بدا وما خفي عالم السر والعلانية الرحمن الرحيم وحق القران ومن أنزله ومن أنزل عليه وهو محمد بن عبد الله وما يقال فيه من سورة سورة وآية آية وحق شهر رمضان إنني أفي بحفظ هذه الهدنة المباركة التي استقرت بيني وبين مملكة عكا والمقدمين بها على عكا وعثليث وصيدا وبلادها التي تضمنتها هذه الهدنة التي مدتها عشر سنين كوامل وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات أولها يوم الخميس خامس ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وستمائة للهجرة من أولها إلى آخرها وأحفظها وألتزم بجميع شروطها المشروحة فيها وأجري الأمور على أحكامها إلى انقضاء مدتها ولا أتأول فيها ولا في شيء منها ولا استفتي فيها طلبا لنقضها ما دام الحاكمون بمدينة عكا وصيدا وعثليث وهم كافل المملكة بعكا ومقدم بيت الروم ومقدم بيت الاستبار ونائب مقدم بيت الاستبار إلى الآن ومن تولى بعدهم في كفالة مملكة أو مقدم بيت بهذه المملكة المذكورة وافين باليمين التي يحلفون عليها في ولدي الملك الصالح ولأولاده على استقرار هذه الهدنة المحررة الآن عاملين بها وبشروطها المشروحة فيها إلى انقضاء مدتها ملتزمين أحكامها وإن نكثت في هذه اليمين فيلزمني الحج إلى بيت الله الح ا رم بمكة حافيا حاس ا ر ثلاثين حجة ويلزمني صوم الدهر كله إلا الأيام المنهي عنها –ويذكر بقية شروط اليمين إلى آخرها– ثم يقول والله على ما نقول وكيل)

نقلا عن ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ج7 ص 270–272

ملحق:12

جدول يبين اسماء سلاطين المماليك البحرية (648ه-741ه/1250م-1340م)

السلطان	سنوات الحكم	مدة الحكم
1-شجرة الدر	648 هـ /1250م	80 يوما
2-المعز عز الدين آيبك	648هـ-655هـ / 1250م-1257م	07 سنوات
3- نور الدين علي بن المعز آيبك	655هـ-657هـ/1257م-1259م	02 سنتان
4- المظفر سيف الدين قطز	657هـ-658هـ/1259م-1260م	01 سنة
5-الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري	658هـ- 676هـ/1260م/1277م	17 سنة
6- السعيد بن الظاهر بيبرس	676هـ-678هـ/1277م-1279م	02 سنتان
7- بدر الدين سلامش بن الظاهر بيبرس	678هـ/1279م	اقل من سنة
8- المنصور سيف الدبن قلاوون	678هـ-689هـ/1279م-1290م	11 سنة
9- الأشرف خليل بن قلاوون	689هـ-693هـ/1290م-1293م	03 سنوات
10- الناصر محمد بن قلاوون (السلطنةالاولى)	693هـ-694هـ/1293م-1294م	01 سنة
11- العادل كتبغا المنصوري	694هـ-696هـ/1294م-1296م	02 سنتان
12- الناصر حسام الدين لاجين	696هـ-698هـ/1296م-1299	02 سنتان
12-الناصر محمد بن قلاوون (السلطنة الثانية)	698هـ-708هـ/1299م-1309م	10 سنوات
13-ركن الدين بيبرس الجانكشير	708هـ-709هـ/1309م-1310م	01 سنة
14- الناصرمحمد بن قلاوون (السلطنة الثالثة)	709هـ-741هـ/1310م-1340م	30 سنة

نقلا عن سليم محمود رزق : موسوعة عصر سلاطين المماليك ص120

المصادر والمراجع

- القران الكريم

1-المصادر العربية

1-ابن الأثير: عزالدين أبو الحسن علي بن أبي الكريم محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت630ه/1233م) الكامل في التاريخ أجزاء 09-11 دار صادر بيروت 1966 م.

2-ابن إياس: محمد بن أحمد الحنفي(ت930ه/1523م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج 5، تح: محمد مصطفى، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة 1984م.

3-ابن آيبك: أبي بكر بن عبد الله الدوادار (ت 736ه/1432م) ، كنز الدرر وجامع الغرر ، ج7 ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، قسم الدراسات المعهد الإسلامي ، القاهرة 1972م

4-ابن ثغري بردي :جمال الدين ابي المحاسن يوسف(ت:874ه/1470م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة.1982م.

5-**ابن الجوزي:** أبي الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد (ت:597ه/1200 م)، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد ، ضبطه وشرحه نعيم زرزور، ،دار الكتب العلمية، ط1بيروت 1984 م.

(-،-)المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ،إعداد: إبراهيم شمس الدين ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج2 ، ط1، بيروت 1993م.

6-ابن حبيب : الحسن بن عمر(ت779 ه/1377م) ، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه , تحقيق محمد محمد أمين الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة 1982م.

7-ابن خردذابة : أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت :300ه/ 912م)، المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، ليدن 1886م.

8- **ابن خلدون :عبد الرحمن محمد** (ت 808 ه/1406م)، العبر و ديوان المبتدأ الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، أجزاء 2-5 ، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000 م.

9-**ابن خلكان شمس الدين:** هو احمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر المكنى أبا العباس (ت 681 ه/1282م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج، 5تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1949م.

10-ابن خياط :أبو خليفة بن خياط الليثي (ت 240ه/860م) ، تاريخ خليفة ابن خياط ،تح: اكرم ضياء العمري ،مطبعة الآداب بالنجف الأشرف ، ط3 ، العراق 1967م.

11-**ابن شاهين :**، الملطي : عبد الباسط بن خليل(ت 920 ه/1514م) نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين , تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي, مكتب الثقافية الدينية , ط1، القاهرة ، 1987 م.

12-**ابن شداد** :عز الدين محمد بن علي إبراهيم (ت 684ه/1285م) ، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تحقيق يحي عبادة ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي،دمشق 1978م.

(-،-) تاريخ الملك الظاهر بيبرس ، تحقيق احمد حطيط ، مركز الطباعة الحديثة ، بيروت 1983م دمشق 1978م.

13-ابن عبد الظاهر :محي الدين عبد الله بن نشوان (ت:692ه/1292 م)، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور ، تحقيق: كامل مراد ، الشركة العامة للطباعة والنشر ،القاهرة 1962م

(-،-)الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ،تحقيق : عبد العزيز الخو يطر ،مطبعة القوات المسلحة ، الرياض 1976 م.

14- ابن العميد ،عبد الله جرجس بن ابي ياسر بن يوسف بن العميد، (ت 673 ه/ 1274م) ، أخبار الأيوبيين ، مكتبة الثقافة الدينية للنشر ، بور سعيد ،(د،ت)

15-ابن العماد الحنبلي: أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي (ت1098ه/1686 م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق عبد القادر الارناؤوط ،محمود الارناؤوط ،ط1 ، دار ابن كثير للنشر دمشق ، 1985

16-**ابن الفرات** :ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت:807ه/1404م) تاريخ ابن الفرات (تاريخ الدول والملوك) ، تحقيق: قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين ، الجامعة الأمريكية ، بيروت 1938م.

18-**ابن الفراء:** أبي علي الحسين بن محمد(ت 458 ه/1065 م)،تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة 1948م.

19-**ابن القلانسي** :حمزة بن أسد بن علي (ت:555ه/1160م)، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق: امدر وز، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت 1932م

20-**ابن كثير:** الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير القريشي الدمشقي (ت 744 ه/1343 م)البداية والنهاية، أجزاء 5-17،، مكتبة المعارف ، الرياض 1992م.

21- **ابن منظور:** أبي الفضل الأفريقي جمال الدين محمد بن مكرم (ت 11ه/1311م)، لسان العرب , أجزاء 2-4 تح عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، (د-ت).

22- **ابن هشام:** أبو محمد عبد الملك بن هشام المغافري (ت 213ه/833 م)، سيرة ابن هشام ،ج2 ،تح: محي الدين ابن عبد الحميد، دار الفكر ، ط1 ، (د.ب) 1981م

23-**ابن واصل جمال:** الدين محمد بن سالم (ت 697 ه/1298م) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، أجزاء 4-6 ، تحقيق جمال الدين الشيال ، المطبعة الأميرية، القاهرة 1957م.

24-**ابن الوردي:** زين الدين عمر بن مظفر(ت 749ه/1349م) تاريخ ابن الوردي،(تتمة المختصر في أخبار البشر)، ج2 تحقيق: احمد رفعت البراوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1996 م.

25-**أبو الفداء:** المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي (732ه/1331 م) المختصر في أخبار البشر، اجزاء1 ،2،3،4 تح: محمد زينهم، محمد غرب وآخرون، المطبعة الحسينية المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة،(د.ت)

(--)تقويم البلدان ، دار الطباعة المحروسة (د،ب) 1850م.

26 -.**الإدريسي** :أبي عبد الله ،محمد بن عبد الله بن إدريس(ت: 559/1164 م)،نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، المجلد الأول ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2002م

27-**الأصطخري** ، أبو إسحاق إبراهيم محمد الفارسي الأصطخري الكوفي (ت346ه/957م) ، المسالك والممالك تحقيق محمد جابر عبد العال ، مراجعة محمد شفيق غربال ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مصر 1961م.

28- **البدر العيني** :محمود بن أحمد(ت 855ه /1451م) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ج 2.1 مصر، 2010 م.

29- **البلاذري** : احمد بن يحي بن جابر بن داوود(279ه/892م) ، فتوح البلدان ، دار مكتبة الهلال (د.ط) بيروت 1988م.

30. **البغدادي** : أبو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي (ت 463ه/1070م) ، تاريخ بغداد، تاريخ مدينة السلام ،دار الكتاب العربي ، بيروت (د،ت)

31-**البغدادي:** صفي الدين بن عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت 739ه/1338م) ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع مج3 ، تح: علي محمد البجاوي ،دار الجيل ، ط 1 ، بيروت 1992م.

32-الحنبلي : احمد بن إبراهيم بن نصر الله (ت 876ه/1471م)، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، تحقيق ناظم رشيد، دار الحرية للطباعة ، بغداد 1978م.

33-الذهبي: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان قايماز(ت 748ه/1347م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ،حوادث ووفيات 691-700 ه ،جزء 3،5 تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتب العلمية ، ط1 بيروت 2000م

(-،-) سير أعلام النبلاء ، رتبه وزاده واعتنى به حسان عبد المنان ،بيت الافكار الدولية ، بيروت 2004

34- سبط ابن الجوزي : شمس الدين بن يوسف بن قزاوغلي(ت654ه/1256م)،مرأة الزمان ، مرأة الزمان في تواريخ الاعيان ، حققه محمد رضوان عرقسوسي،ج8،دائرة المعارف العثمانية ، حيدر باد ، الدكن 1952م.

35-السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر بن محمد (ت911ه/1505م) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، ج 3.2.1، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط1، القاهرة 1925م.

(-،-) تاريخ الخلفاء ، تحقيق :محمد بن محي الدين ،دار الأفاق، بغداد 1983م.

36-**الطبري**: محمد بن جرير المكنى با أبو جعفر الطبري (ت 310ه/922م)، تاريخ الأمم والملوك تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط4 ،دار المعارف ، القاهرة 1977م

37-**الطرطوشي:** أبو بكر بن محمد(ت 520 ه/1126م) سراج الملوك، حققه محمد فتحي أبو بكر، تقديم شوقي ضيف، دار المصرية اللبنانية، مصر، 1999 م.

36- **القلقشندي**، أبو العباس شهاب عبد الله بن احمد (ت 821ه/1418م) صبح الأعشى في صناعة الأنشاء ، اجزاء.14.13.10.8.5.3.2 ،شرحه وعلقه يوسف علي الطويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1987م

37-**المسعودي :** أبو الحسن علي بن الحسن (ت 346ه/957 م)،مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار الأندلس، بيروت ،(د،ت).

38-**المقدسي أبو شامة:**، عبد الرحمن بن إسماعيل (ت 539 ه/1144م) ، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط2 بيروت، 2002م.

39- **المقريزي :** تقي الدين أبي العباس احمد بن علي (ت 845ه/1440م) السلوك لمعرفة دولة الملوك أجزاء 1-4 تحقيق محمد عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية ط1 بيروت 1997 م.

40-المنصوري :ركن الدين بيبرس الناصري الخطائي الدوادار (ت725ه/1326م)

(--)التحفة المملوكية في الدولة التركية , تحقيق عبد الحميد صالح حمدان , الدار المصرية اللبنانية, الطبعة الأولى , القاهرة, 1987 م.

(--)مختار الاخبار ، تاريخ الدولة الايوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة 702 ه تحقيق عبد الحميد صالح حمدان ،دار المصرية اللبنانية ، ط1 ، القاهرة 1993م

(--) زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، تحقيق دونالد ريتشارد ، المعهد الالماني للأبحاث الشرقية ، ط1 ، بيروت 1998م.

41- **النويري:** شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري (ت 733ه/1333م) نهاية الأرب في فنون الأدب ج31،32 تح: لسيد الباز العريني ، مركز تحقيق التراث، القاهرة 1992م.

42- **الواقدي** :أبو عبد الله عمر الواقدي (ت:207ه/833 م)، فتوح الشام ،ج1 ،دار الجيل ، (د،ط). بيروت (د.ت).

43- **اليعقوبي** : احمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت :284ه/897م)، تاريخ البلدان ، ج2 ، المكتبة المرتضوية ،العراق 1918م.

44-اليونيني : موسى بن أحمد بن قطب الدين (ت 726ه/1327 م) ذيل مرآة الزمان , دار الكتاب الإسلامي , الطبعة الثانية , القاهرة ، 1992م.

45- **ياقوت الحموي** : شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت:626ه/1228م) معجم البلدان 5 أجزاء ، دار صادر، بيروت 1977م.

2-المراجع العربية :.

1) **إبراهيم احمد العدوي**، السفارات الإسلامية في أوروبا في العصور الوسطى ،دار المعارف، مصر 1958م.

(-،-)الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية ،مكتبة النهضة ،القاهرة (د.ت)

2) **إبراهيم ياسين الخطاب** ،القدس بين أطماع وتفريط الملك الكامل الأيوبي ،دار المناهج ، ط1 ، الأردن 2001م.

3) **أحمد إسماعيل الجبوري وأياد علي الهاشمي** ، التاريخ الدبلوماسي، دار الفكر ،ط1،الاردن 2015م.

4) **أحمد أمين سليم**، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، دار اليقظة العربية ، بيروت 1989م.

5) **أحمد حطيط** ، قضايا من تاريخ المماليك السياسي والحضاري (648-923ه/1250-1517م)، الفرات للنشر والتوزيع ، لبنان ،ط1 ،2003م.

(-،-)حروب المغول ،دار الفكر اللبناني ،ط1 ، بيروت 1994م.

6) **احمد عودات وأخرون** ، تاريخ المغول والمماليك ،دار الكندي للنشر ، (د.ب) 1990م.

6) **احمد مختار العبادي** ، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ،دار النهضة العربية ، بيروت 1986م.

(--)في تاريخ الأيوبيين والمماليك ،دار النهضة العربية ،بيروت 1995 م.

7) **أسامة أبو طالب** ،الدولة البيزنطية ،دار البداية،ط1، الأردن 2014م.

8) **أشرف صالح محمد سيد**، الدبلوماسية الايوبية الصليبية 1191-1196، شركة الكتاب العربي ، لبنان 2008 م.

9) **إكتمال اسماعيل** ، الحملات المغولية وأثارها الاجتماعية والاقتصادية على بلاد الشام ،دار رسلان ،دمشق 2008م.

10) **بركات جمال**، الدبلوماسية ماضيها وحاضرها ، مطبعة الأهرام ، القاهرة 1991م.

11) **توفيق سلطان اليوزبكي** ، تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المماليكي ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، ،الموصل 1976ك.

12) **جوزيف نسيم يوسف** ،هزيمة لويس التاسع على ضفاف النيل ،مؤسسة المطبوعات الحديثة ، القاهرة 1972م.

(--)العدوان الصليبي على بلاد الشام ، دار النهضة ، بيروت 1981م.

(--)دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، دار المعرفة الجامعية ،مصر ،2006م.

13) **الحجي حياة** ، العلاقات بين سلطنة المماليك والممالك الاسبانية، مؤسسة الصباح، الكويت ، 1980 م.

14) **حسين محمد عطية** ،امارة انطاكية الصليبية والمسلمون ،دار المعرفة الجامعية، ط1 مصر1979م.

(--) - دولة الظاهر بيبرس في مصر , دار الفكر العربي , القاهرة 1960 م

15) **سعدون عباس نصر الله** ، رحيل الصليبيين عن الشرق في العصور الوسطى ،دار النهضة العربية ،بيروت 1995م.

16) **سعيد: عاشور عبد الفتاح** . الظاهر بيبرس، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ،1963م.

(--)مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ،دار النهضة العربية ،بيروت 1972 م.

(--) ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، بيروت 1976 م. (--)، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، جامعة بيروت العربية ،ط1 ، بيروت 1977م.

(--) ، الحركة الصليبية ، مكتبة الأنجلو مصرية ، ج1-2 ،القاهرة ،1986م.

(--) بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته ،عالم الكتب ، ط1 ، القاهرة 1987م.

(--)العصر المماليكي في مصر والشام , , مكتبة الأنجلو المصرية , ط 2 , القاهرة 1994م.

(--)، قبرص والحروب الصليبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،2002

17) **سليمان الرحيلي** ، السفارات الإسلامية إلى الدولة البيزنطية ، مكتبة التوبة ، الرياض 1983م.

18) **الشافي محمد عبد اللطيف** ، العالم الإسلامي في العصر الأموي ،دار الوفاء،ط1 ، القاهرة 1984م.

19) **شفيق محمود**، المماليك البحرية وقضائهم على الصليبيين ،الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ،2010م.

20) **صفوان طه حسن** ، تاريخ الأيوبيين والمماليك ،دار الفكر، ط 1 ،عمان 2010

21) **عبد المنعم ماجد** ،التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة 1988م.

22) **عز الدين فودة** ، النظم الدبلوماسية ، مكتبة الآداب ،ط2 ،بيروت 1989م.

23) **عزمي عبد محمد أبو عليان** ،مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصلبيين في عهد المماليك دار النفائس، الأردن ،1994م.

24) **عزيز سوريال عطية** ، الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب ،دار الجيل للطباعة ، القاهرة (د.ت).

25) **علي إبراهيم حسن** ، دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عصر الناصر محمد بوجه خاص ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1944م.

26) **علي حسين الشامي** ،الدبلوماسية نشأتها وتطورها وقواعدها ،دار الثقافة للنشر والتوزيع ط3،عمان 2007م.

27) **عمر كمال توفيق** ، الدبلوماسية الاسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين ،مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع ،الإسكندرية 1986م.

28) **عمران محمود سعيد** ، الحملة الصليبية الخامسة ،دار المعارف، ط1،القاهرة 1985م.

29) **فايد حماد عاشور** ، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى ،دار المعارف، القاهرة 1972م.

30) **فايز نجيب إسكندر**، السلطان المملوكي الأشرف خليل بن قلاوون وفتح قلعة المسلمين ،مكتبة الإسكندرية ،مصر 1999م.

31) **فؤاد عبد المعطي الصياد**، المغول في التاريخ ،دار النهضة العربية ،ج1 ،بيروت 1980م.

32) **قاسم عبده قاسم**، عصر سلاطين المماليك ،دار الشروق، القاهرة 1983م.

(--)، ماهية الحروب الصليبية ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة 1993م.

(--)، السلطان المظفر سيف الدين قطز بطل معركة عين جالوت، دار القلم ،ط1،دمشق 1998م.

(--) ،في تاريخ الأيوبيين والمماليك ، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة 2010م.

33) **قاسم عبده قاسم ، علي السيد علي** ، الأيوبيين والمماليك ،التاريخ السياسي والعسكري ،عين للدراسات والبحوث ،ط1،القاهرة ،1995م.

34) **كرد علي** ،خطط الشام،4 أجزاء، المطبعة الحديثة ،دمشق 1925 م.

35) **ليلى عبد الجواد إسماعيل** ،تاريخ الأيوبيين والمماليك في مصر والشام ،دار الثقافة العربية، القاهرة (د.ت).

36) **محمد بيومي مهران** ، دراسات في الحضارات العربية القديمة ،دار المعرفة ، الإسكندرية ، 1989 م.

37) **محمد حمزة إسماعيل الحداد** ، السلطان المنصور قلاوون ، مكتبة مدبولي ، القاهرة 1979م.

38) **محمد سهيل طقوش** تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام دار النفائس ،ط1، القاهرة 1997م.

(-،-)تاريخ الفاطميين في شمال إفريقية ومصر وبلاد الشام ،دار النفائس ،ط 2، بيروت 2007م.

(-،-)تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة، دار النفائس ،ط2،بيروت 2008م.

(-،-)تاريخ الخلفاء الراشدين ،دار النفائس ، ط2 ، بيروت 2011م.

(-،-)تاريخ الدولة الأموية ،دار النفائس ،ط7 ، ببيروت 2010م.

(-،-)تاريخ الحروب الصليبية (حروب الفرنجة في المشرق)،دار لنفائس،ط1،بيروت 2011م.

38) **محمد جمال الدين سرور** :دولة بني قلاوون في مصر , , دار الفكر العربي , القاهرة 1948 م.

39)-**محمد عبد المنعم الجمل** ،دولة سلاطين المماليك ورسومهم ،مكتبة الانجلو المصرية ، ط1 ، ج1، القاهرة 1979م.

40)**محمد مرسي الشيخ** ،عصر الحروب الصليبية في الشرق ، الإسكندرية ،2004م.

41) **محمد مصطفى زيادة** ، حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة ،دار المجلس الأعلى لرعاية الفنون و الآداب ، ط1 ، القاهرة (د.ت).

42) **محمود سعيد عمران** ،تاريخ الحروب الصليبية 1096-1291،دار المعرفة الجامعية ، القاهرة 2000 م.

(-،-) المغول والأوربيون والصليبيون وقضية القدس ،دار المعرفة الجامعية ، بيروت 2003م.

43) **منذر الحايك** ، العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية ،الأوائل للنشر والتوزيع ، ط1 ،ج2.1 دمشق 2006م.

44) **نادية محمود مصطفى** ، العصر المملوكي من تصفية الوجود الصليبي الى الهجمة الثانية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ط1 ، القاهرة 1996م.

45) **نسيم جوزيف** ، دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، دار المعرفة الجامعية ،مصر ،2006م.

46) **نور الدين خليل** ، الأشرف خليل فاتح عكا، مكتبة بستان المعرفة ، الإسكندرية 2010م.

47) **وائل عبد الحق الضمور** ،الأمير بيبرس المنصوري ودوره في التأريخ لدولة المماليك ، دار السفير للنشر ، عمان 2009م.

48) **يوسف حسن غوانمة** ، معاهدات الصلح بين المسلمين والفرنج ،دار الفكر ، ط1 ، الأردن 1995م.

ثالثا :المصادر والمراجع الأجنبية المعربة:

أ-المصادر:

1) **فوشيه الشار تري** ، تاريخ الحملة في القدس ، ترجمة زياد العسلي ،دار الشروق ،ط1، عمان 1990م.

2) **جوا نفيل** ، القديس لويس ،حياته وحملاته على مصر والشام ، ترجمة حسين حبشي ،دار المعارف ،ط1 ، القاهرة (د،ت).

ب- المراجع:

1) **أرنست باكر** ، الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني، دار النهضة العربية ، بيروت 1990م.

2) **بردج أنتوني** ،تاريخ الحروب الصليبية ترجمة احمد سبا نو و نبيل الجيرو دي ،دار قتيبة ،دمشق 1985م

3) **جوناثان رايلي سميث** ، الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية ، ترجمة محمد فتحي الشاعر ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة 1999م.

4) **جيريمي بلاك** ،تاريخ الدبلوماسية ،ترجمة، احمد علي سالم ،مكتبة مؤمن قريش ،ط1،ابوظبي ،2013 م.

5) **دوللو لويس** ، التاريخ الدبلوماسي ،ترجمة :سموحي فوق العادة ،منشورات عويدات ،بيروت 1982 م .

6) **رنسيمان ستيفن**، تاريخ الحروب الصليبية ج 2، 3، ترجمة السيد الباز العريني ، بيروت ، دار الثقافة ، ط 1 بيروت 1968م.

7) **غروسيه**، الحروب الصليبية ، ترجمة: السيد الباز العريني دار النهضة العربية ،بيروت 1982م.

8) **كاهن كلود**، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ،ترجمة احمد الشيخ ، ط1، القاهرة 1995م.

9) **ما ير هانس** ، تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة عماد الدين غانم (د،ن) ، ج1(د،ب) 1985م.

10) **موير : السير وليم** ، تاريخ دولة المماليك في مصر , ترجمة محمود عابدين وسليم حسن ,القاهرة , مكتبة مدبولي , الطبعة الأولى القاهرة , 1995م

11) **ميخائيل زابوروف** ، الصليبيون في الشرق ، ترجمة الياس شاهين ،دار التقدم ،موسكو 1986م

12) **نيكولسن ،هارولد** ، الدبلوماسية ،ترجمة :محمد مختار الزقزوقي ، مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة 1957م.

(-،-)تطور المنهج الدبلوماسي، ترجمة : محمد مختار الزقزوقي، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة 1965م.

13) **هوبرت فيشر**، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة : الباز العريني القاهرة 1969م.

14) **هايد، ف**، تاريخ التجارة في الشرق الادنى في العصور الوسطى ، 4 أجزاء ،ترجمة : رضا محمد رضا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1991م.

15) **وليام ،ديو رانت** ،قصة الحضارة، ترجمة نجيب زكي محمود ،دار الجيل ،ج بيروت 1988م.

رابعا المراجع الأجنبية :

1 -**Grousset** ، histoire des croisades et du royaume franc de Jérusalem 3 vols paris 1948.

2-**Haarmann**, The Mamluk System of Rule in the Eyes of Western ،London 1968.

3-**Michel pierre** ،histoire de France Genève 1995.

خامسا –الرسائل العلمية :

1) **تيسير إبراهيم جندي**، السلطان الأشرف خليل بن قلاوون وسياسته الداخلية والخارجية ، رسالة نيل درجة ماجستير في التاريخ الإسلامي ، غير منشورة ، جامعة الخليل ، فلسطين 2012م.

2) **حروب محمد**، دور المماليك في تصفية الوجود الصليبي من فلسطين وبلاد الشام(648-690ه/1250-1291 م)، رسالة دكتوراه غير منشورة ،جامعة عين شمس وجامعة الأقصى ، مصر ، 2009م.

3) **خالد حسين الدكيفي** ، لويس والنشاط الفرنسي الصليبي ، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراة في تاريخ العرب والإسلام ، غير منشورة ، جامعة دمشق ، سوريا 2011

4) **سلوى رشيد إسكندر**، التاريخ السياسي والعسكر ي للدولة المملوكية في عهد الظاهر بيبرس(358-676ه/1260-1277م) ، رسالة لنيل درجة الماجستير في تاريخ العرب والإسلام ،غير منشورة ، جامعة دمشق، سوريا 2009م.

5) **لامية وادي** ، دولة المماليك في عهد السلطان الناصر محمد(693-742ه/1293-1342م) رسالة نيل درجة ماجستير في التاريخ الوسيط ،غير منشورة ، جامعة بوزريعة 2، الجزائر 2011م.

6) **محمد سالم محمد صلاح** ،ا لمفاوضات والمعاهدات بين المماليك البحرية والصليبيين في بلاد الشام (648-784ه/1250-1382م)، رسالة نيل درجة ماجستير في التاريخ الإسلامي ، غير منشورة ،جامعة غزة ، فلسطين 2017م.

سادسا الدوريات:

1) **دريد عبد القادر نوري** ، سياسة المنصور سيف الدين قلاوون تجاه القوى الصليبية في الشام ،مجلة ادب الرافدين العدد الأول ج9 ، (د.ب).

2) **ليلي عبد الجواد** ،علاقة الدولة البيزنطية وسلطة المماليك البحرية ، مجلة كلية الاداب ، العدد 46، جامعة القاهرة 1986م.

3) **جاسم محمد جاسم الجرجري**، العلاقات السياسية بين المماليك والفرنج خلال الفترة 648ه/ 915 ه / 1250م/1509 م ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، العدد 08 مج 14، العراق 2008

سابعا الموسوعات:

1) الزيدي : مفيد موسوعة التاريخ الإسلامية العصر المملوكي, , دار أسامة ، الأردن **2003م.**

2)–**سليم محمود رزق** : موسوعة عصر سلاطين المماليك, المطبعة النموذجية ط 2 , القاهرة , 1962 م.

3)–**سامي بن عبد الله بن احمد المغلوث**، اطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطي ، مكتبة العبيكان ،ط1 ، الرياض 2009م.

4) **شوقي أبو خليل** ، اطلس التاريخ العربي الإسلامي ،دار الفكر ، ط5 ،دمشق 2002م.

المحتويات :

شكر وعرفان.....

إهداء.....

مقدمـــــــة.....أ.- م

الفصل الأول: الدبلوماسية في أواخر العصر الأيوبي (616ه-648ه/1219م1250م)

المبحث الأول: الدبلوماسية وتاريخها عبر العصور..... 15-31

المبحث الثاني : معاهدات واتفاقيات السلام بين الكامل والصليبيين 32-38

المبحث الثالث: العلاقات الأيوبية الصليبية في عهد الصالح نجم الدين أيوب....39-45

المبحث الثالث: المفاوضات مع الصليبيين في عهد المعظم تورا نشاه.....46-50

الفصل الثاني :الدبلوماسية بين المماليك والصليبيين (648 ه-658ه/1250-1257م).

المبحث الأولى: ظهور المماليك والصليبيين في المشرق الآسلامي 51-62

المبحث الثاني: مفاوضات الصلح وفداء الأسرى بين شجر الدر والصليبيين.....63-70

المبحث الثالث :مشروع التحالف المملوكي الصليبي في عهد المعز آيبك 71-82

المبحث الرابع : محايدة صليبي عكا في عهد المظفر قطز 83-94

الفصل الثالث :الدبلوماسية مع الصليبيين في عصر هيمنة المماليك (658ه-741ه/1260م-1340م)

المبحث الأول : الدبلوماسية مع الصليبيين في عهد الظاهر بيبرس.....95-113.

المبحث الثاني : المعاهدات والمهادنات مع الصليبيين في عهد المنصورقلاوون.....114-125

المبحث الثالث : العلاقات مع الصلبيين في عهد الأشرف خليل قلاوون.....126-136

المبحث الرابع: العلاقات مع الصليبين بعد جلاءهم من الشام في عهد الناصر محمد135-144

خاتمة.....145-148

الملاحق.....149-161

قائمة المصادر والمراجع.....162-177

فهرس المحتويات 178-179